الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

موسومة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

موسومة بـــ:

الأمراض في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط وآفاق المعرفة الطبية

إعداد الطّالبة:

مسعودة رقاد

إشراف الأستاذ:

أ.د محمد عليلي

مساعد مشرف:

د. حاج عيسى إلياس

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللّقب	الرّتبة	مؤسسة الانتماء	الصّفة
أ.د شرف عبد الحق	أستاذ	جامعة ابن خلدون-تيارت	رئيساً
أ.د عليلي محمد	أستاذ	جامعة ابن خلدون-تيارت	مشرفا ومقرّرا
د. حاج عيسى إلياس	محاضر "أ"	المدرسة العليا للأساتذة عبد الرحمن طالب عبد الرحمان-الأغواط	مشرفا ومساعدا
أ.د بوخاري عمر	أستاذ	جامعة ابن خلدون-تيارت	مناقشاً
د. زلماط إلياس	محاضر "أ"	جامعة ابن خلدون-تيارت	مناقشاً
د. بوداعة نجادي	محاضر "أ"	جامعة ابن خلدون-تيارت	مناقشاً

السّنة الجامعية: 1445-1446هـ/2024-2025م

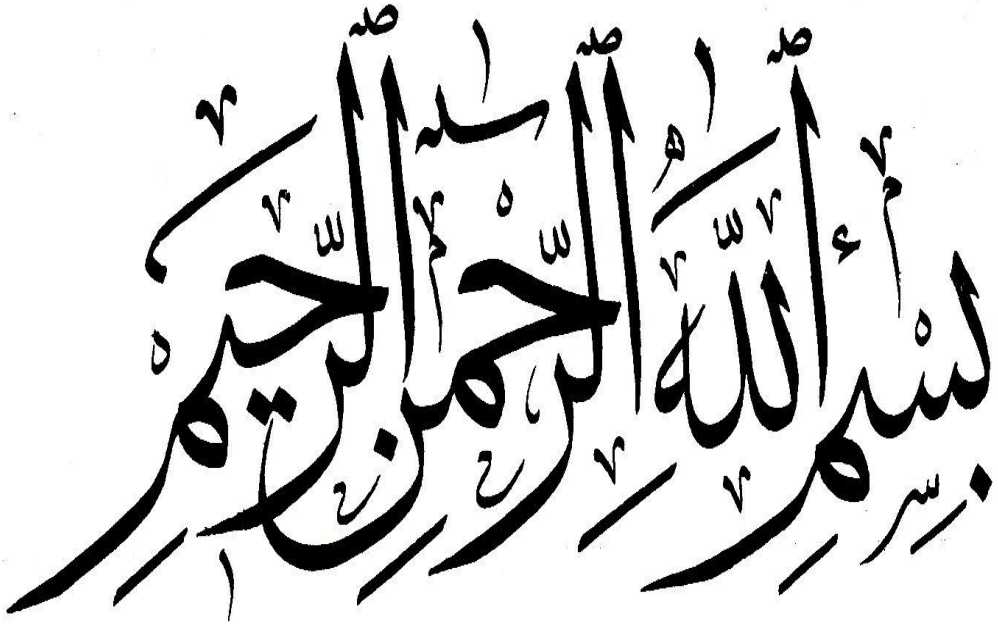
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى والديا الكريمين، أطال الله في عمرهما وحفظهما ورعاهما.

إلى من لا يعوضهم لي الدهر، وسندي في الدنيا إلى إخوتي: عبد الرحمن، حبيب، بوعمامة، محمد.

وإلى أخواتي نادية وعزة وأمينة، إلى البراعم الصغار.

إلى أخواتي التي لم تلدهم أمي: عفراء، جهيدة، نسرين، سهيلة، مغوال مخطارية، مسعي فوزية، بولنوار أمال، وأهدي عمل هذا إلى زوجي ورفيق دربي درقاوي طارق عبد العزيز، الذي كان سند لي في كل خطوة أخطوها، حفظه الله ورعاه.

إلى أولادي فلذات كبدي وأنوار عينيا: رائد قصي وساجد إياد.

إلى عائلة زوجي: عبد القادر، فاطمة، أمينة، جميلة، كمال، رميساء، هاجر، يونس، أنفال، وإلى كل عائلة درقاوي وبولنوار وجرادي.

وإلى كل الأهل والأقارب.

دمتم لي شيئا جميلا لا ينتهي ولا يغيب أبدا.

كما أهدي عملي هذا إلى كل الأساتذة الكرام، وإلى جامعتي جامعة ابن خلدون– تيارت–

وكل الطاقم العامل بها كل باسمه وكل بمقامه.

إلى وطني الغالي الجزائر، وإلى كل شهداء غزة.

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا على أداء هذا الواجب، ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

واقتداء بالقران الكريم وبهدي سنّة سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد عليه أزكى الصلوات والتسليم

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد** ﴾ "سورة إبراهيم الآية:9

فالحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه

وعملا بحديثه صلى الله عليه وسلم" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

بعد شكر الله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحص، فبفضله ثم بتوفيق منه بلغت هذه المرحلة أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل، وفي تذليل ما واجهني من صعوبات، ونخص بالذكر الدكتور الفاضل عليلي محمد نظير قبوله الإشراف على هذا العمل، وتحمله مشقة متابعة وتقديم النصح والإرشاد عبر مختلف مراحله لإنهائه، وإخراجه في هذه الحلة، فبمجهوداته استطاع هذا العمل أن يرى النور.

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور المساعد حاج عيسى إلياس، كما أنقدم بالشكر للجنة المناقشة وإلى كل أساتذتي في قسم التاريخ، الذين كانوا بالحق قدوة يحتذى بهم، ويضرب بهم المثل. أقول لكم من هذا المنبر شكرا لكم ووفقكم الله وسدد خطاكم.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من كان لي سندا وداعما ومساعدا في إتمام هذه الأطروحة.

قائمة المختصرات

الكلمة	الاختصار
الجزء	ج
المجلد	مج
التحقيق	تح
التعليق	تع
المراجعة	مر
التقديم	تق
الترجمة	تر
الشرح	شر
الصفحة	ص
من الصفحة كذا إلى الصفحة كذا	ص ص
وجه المخطوط	و
ظهر المخطوط	ظ
القرن	ق
الهجري	هـ
الميلادي	م
الطبعة	ط
دون طبعة	د ط
دون تاريخ النشر	د ت
Page	P
Ibid	المصدر نفسه

مقدمة

يحظى موضوع الأمراض في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بأهمية بالغة، نظرًا لما يكشفه من معطيات دقيقة حول الوضع الصحي والمعيشي لسكان المنطقة، وذلك من خلال رصد أنواع الأمراض التي سادت آنذاك، وتتبع أسبابها وعوامل انتشارها وتحولاتها الاجتماعية والطبية.

وقد تنوّعت هذه الأمراض بينما هو عضوي، كأمراض الرأس والجهاز الهضمي والتنفسي، والأمراض الجلدية وغيرها، وما هو مرض نفساني كالخوف والقلق واليأس، بما يعكس تعدّد مظاهر الاختلال الصحي في المجتمعات الوسيطة، كما تباينت أنماط العلاج المتّبعة بين الطب الشعبي المستمد من الموروث المجتمعي، والطب العلمي القائم على التصور العقلاني والتجربة العلمية على يد الأطباء، والطب الروحي المرتبط بالممارسات الدينية والصوفية، وأولى المعالجون والأطباء أهمية بالغة بالجوانب الوقائية، للحيلولة دون تفشي العدوى بين السكان، زمن انتشار الأمراض المعدية.

وسلطت الدراسة الضوء على واقع المنظومة الصحية ومؤسساتها العلاجية لاسيما البيمارستانات والصيدليات، ودورها الفعّال في كبح ومواجهة الأمراض التي كانت منتشرة، كما ساهمت في استقراء ملامح المنظومة الطبية، وتجلياتها في بناء مقومات حضارية تركت بصمتها في مسار العلوم الطبية بفضل أطباء وصيادلة المغرب الأوسط، الذين ساهموا من خلال مؤلفاتهم في تشييد سرح الحضارة بالغرب الإسلامي.

أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية الموضوع في كونه من المواضيع التي تندرج ضمن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وهو من المواضيع المهمّة، والتي بإمكانها المساهمة خلق آفاق علمية جديدة.

دوافع اختيار الموضوع

ومن الأسباب والدوافع التي ساقتني لاختيار هذا الموضوع؛ هو رغبتي في تسليط الضوء على جانب مهم من التاريخ الإجتماعي للمغرب الأوسط، والمتعلق بالوضع الصحي لسكانه، وآفاقه الطبية في العصر الوسيط، ويمكن تقسيم هذه الدوافع إلى دوافع ذاتية ودوافع علمية وهي كالآتي:

1-الدوافع الذاتية:

وتكمن في الرغبة للتطرق إلى حلقة مفقودة من حلقات تاريخ المغرب الأوسط في شقه الاجتماعي والاقتصادي، والذي يندرج ضمن التاريخ الجديد، وتاريخ الحوليات، ومن أجل محاولة إثراء حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بالمغرب الأوسط خلال الحقبة الوسيطة، وخصوصا لما له علاقة بالمساهمة في إثبات هويته وثقافته، وإظهار الإسهامات العلمية والطبية لفئات مجتمعه من أطباء وصيادلة وفقهاء وغيرهم، ومساهمتهم الفعّالة في بناء سرح الحضارة في المغرب الإسلامي.

2-الدوافع العلمية:

لا غرو في القول بأن الدراسات المتعلقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي، أصبحت في الوقت الراهن تستقطب العديد من الباحثين في الدراسات التاريخية، لما لهذه المواضيع من تأثير واضح على مختلف الجوانب الأخرى، والذي يمكن من خلاله الكشف عن حقائق جديدة وسد ثغرات في جوانب مختلفة في التاريخ.

فضلا عن أن موضوع الأمراض، لا يبعد عن مشاغل وهموم واقعنا المعاصر، كون أن الأمراض لا يمكن حصرها في زمن من الأزمان، ولا في مجتمع من المجتمعات، وهذا في حد ذاته كفيل بالاهتمام؛ لا من أجل الرغبة في معرفة ما وقع بالماضي، بل لإغناء الفكر واستخلاص العبر، لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، بناء على النظرية الخلدونية القائلة: " اعلم أن التاريخ فن غزير المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أصول الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، حتى تتم فائدة الاقتداء بهم".

الإشكالية:

وعلى ضوء هذا التصور، تبلورت الإشكالية التالية: تعرض المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إلى العديد من الأمراض، فماهي هذه الأمراض التي حلت بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية تساؤلات حول الأسباب والعوامل التي أوجدتها، وماهي الطرق والأساليب المعتمدة في مواجهتها؟ وما مدى الوعي الصحي لدى أفراد المجتمع؟ وماهي تداعيات

وانعكاسات هذه الأمراض مختلف الأصعدة؟ وكيف تجلت المعرفة الطبية في المغرب الأوسط؟ وماهي الممارسات الطبية المتداولة في إطار البحث عن العلاج؟

الدراسات السابقة:

ومن الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الأمراض في السياق المغاربي الوسيط، نجد أطروحة دكتوراه التي أنجزها صديقي محمد، بعنوان "الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين 5-7هـ/ 11-13م"، بجامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، خلال السنة الجامعية 2020-2021م، وقد عالجت الجوانب العلمية والتنظيمية المتعلقة بالخدمات والرعاية الصحية وتتبع تطور مهنة الطب وأنواعه فضلا عن رصد بعض الأمراض، وطرق معالجتها وفق الإمكانيات الطبية والمعرفية المتاحة آنذاك.

وقد جعلت من هذه الدراسة مرجعا مهما في فهم الخلفية الإجتماعية الثقافية للممارسات الطبية في المغرب الإسلامي، وقد استفدت منها في جمع وترتيب المادة العلمية والمنهج المتبع، وفي التعرف على مختلف الأمراض التي واجهها المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة الزمنية، كون أن المغرب الأوسط جزء من المغرب الإسلامي، لكن هذه الأطروحة كانت عامة ومحدد بفترة زمنية ولم تخصص حيزا كافيا للمغرب الأوسط من ناحية الأمراض التي عرفتها سكانه، ولم يتطرق إلى أشهر أطباء هذا الإقليم، وهي الجوانب التي تسعى أطروحتي إلى استكمالها وتسليط الضوء عليها، وذلك من خلال التعمق في ذكرها، بالاعتماد على ما بحوزتي من مؤلفات علمية.

كما تضمن كتاب تلمسان في العهد الزياني جزئيات مهمة تمحورت حول الوضع الصحي لسكان تلمسان في الفترة الزيانية حيث تطرق إلى ذكر أهم الأمراض المنتشرة، وطرق علاجها وأهم الأطباء الذين عاصروا الفترة الزيانية.

وهذا في ما يخص الدراسات السابقة التي اعتمدت عليها خلال عملي.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على مناهج متعددة ومتكاملة، بما يضمن مقاربة علمية دقيقة للموضوع، وذلك على النحو الآتي:

– المنهج التاريخي: تم توظيفه لاستقصاء تطور الطب والصيدلة في المغرب الأوسط عبر الحقب المختلفة، من خلال تحليل السياقات السياسية والاجتماعية التي أثّرت في نشأة المؤسسات العلاجية، وتتبّع سِيَر الأطباء والمشتغلين بالمهن الصحية.

– المنهج التحليلي: استُخدم لتحليل النصوص الطبية والفقهية، ككتب النوازل، والحسبة، والمناقب، بهدف استخراج المفاهيم الطبية، وتفكيك البنية المعرفية التي شكّلت الممارسة العلاجية، مع ربطها بالواقع المجتمعي والسلطوي.

– المنهج الوصفي: اعتمد في عرض الظواهر الطبية والاجتماعية كما وردت في المصادر، مثل وصف البيمارستانات، تنظيم الحرف الطبية، وأدوار المحتسب، مع تقديم صورة دقيقة عن واقع المهنة الطبية في الحواضر المغاربية.

– المنهج الكمي: تم توظيفه بشكل داعم في حصر عدد الأطباء، البيمارستانات، وتكرار المصطلحات الطبية في النصوص المدروسة، مما ساعد على بناء تصور إحصائي يُعزز النتائج التحليلية، ويُبرز مدى انتشار الممارسة الطبية في البيئة المدروسة.

وقد أتاح هذا التداخل المنهجي بناء رؤية شاملة ومتوازنة، تجمع بين التأصيل التاريخي، والتحليل المفاهيمي، والوصف الميداني، والدقة الإحصائية، بما يخدم أهداف الأطروحة ويُثري نتائجها.

خطة الدراسة:

قمت بوضع خطة بحث وفق النسق العلمي المتعارف عليه في البحوث التاريخية، واستهللت العمل بفصل تمهيدي وثلاثة فصول، ثم ختمت العمل بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها، كما ضمنت العمل بمجموعة من الملاحق التي خدمت الموضوع.

الفصل التمهيدي: عنونته بـ" مفاهيم ومصطلحات طبية، الجغرافية وسياسية، وضع مصطلحات ومفاهيم طبية للمرض، ووضعت مفهوما للطب وأخلاقياته، وقمت بتحديد المجال الجغرافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط، تحدثت فيه عن المغرب الأوسط من خلال كتب الرحالة والجغرافيين، ثم عرجت على الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط.

وقسمت الأطروحة إلى ثلاثة فصول جاءت على النسق الآتي:

الفصل الأول: عُنون بـ " الأمراض في المغرب الأوسط(الأسباب، الأنواع والانعكاسات)

قمت بتقسيمه إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول كان تحت عنوان: أسباب الأمراض، والمبحث الثاني وُسّم بـ" أنواع الأمراض تطرقت فيه إلى ذكر الأمراض المتوطنة بالمغرب الأوسط الأمراض العضوية والنفسية، والمبحث الثالث وُسّم بـ: الانعكاسات، تطرقت فيه إلى ذكر جملة من الانعكاسات والسلوكات التي ظهرت داخل مجتمع المغرب الأوسط كظاهرة السحر والشعوذة، وزيارة الأضرحة والاستشفاء بالمتصوفة، كما عرجت على ظاهرة التسول وعرّجت إلى الجانب المشرق الذي خلفته تلك الأمراض والمتمثل في الآثار التحفيزية، والمتمثلة في جهود السلطة الحاكمة ودور الفقهاء والمتصوفة في مواجهة الأمراض، كما تحدثت عن التكافل الاجتماعي بين أفراد مجتمع المغرب الأوسط.

أما الفصل الثاني عُنون بـ" طرق وأساليب العلاج في المغرب الأوسط، وضم أربعة مباحث:

المبحث الأول كانت عنوانه" الطب الشعبي وأساليب العلاج فيه بين التداوي بالأعشاب الطبية والحيوانات والعلاج بالماء والحمامات المعدنية، كما تحدثت عن الحجامة والفصد كأساليب للعلاج في الطب الشعبي. وأما المبحث الثاني عنونته بالطب الروحاني المتمثل في طب الأولياء الصلحاء، والعلاج بالرقية والبركة، كما أضفت العلاج بالسحر، كأسلوب تم تداوله من طرف سكان المغرب الأوسط. وأما المبحث الرابع فعنونته بالأساليب الوقائية التي اعتمدها سكان المغرب الأوسط، كاتباعهم النظافة والتغذية السليمة وانتهاجهم أسلوب العزل والحجر الصحي.

والفصل الثالث وُسم بـ" واقع وآفاق المعرفة الطبية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، الذي تضمن ثلاث مباحث، أول مباحثهُ عنوان بـ الفكر الطبي في المغرب الأوسط:تطوره، تنظيمه، وآفاقه المعرفية، تحدثت فيه عن روافد علم الطب بالمغرب الإسلامي، وكيف انتقلت الحركة الطبية إلى المغرب الأوسط لوجود عدة عوامل ساهمت في ذلك، أما المبحث الثاني كان عنوانه" المؤسسات العلاجية ودورها في بناء آفاق المعرفة الطبية في المغرب الأوسط، تكلمت فيه عن البيمارستانات والصيدليات، التي وجدت بحواضره، والمبحث الثالث بعنوان الأطباء والإنتاج العلمي والطبي في المغرب الأوسط، تناولت فيه ذكر أشهر الأطباء الذين عرفهم المغرب الأوسط، أو ممن اتخذوا حواضر المغرب الأوسط دار مقام، وتحدثت عن إنجازاتهم الطبية والصيدلية .

وختمت العمل بخاتمة وضمنتها ببعض التوصيات والإرشادات، وأهم النتائج المتوصل إليها.

خاتمة: أبرز فيها النتائج المستخلصة من الدراسة، والإجابة على الإشكالية المطروحة.

الملاحق: وضمنت الدراسة بمجموعة من الجداول والصور، والخرائط التوضيحية التي تتماشى والموضوع.

قائمة المصادر والمراجع:

وفي الختام ذكرت المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز الموضوع.

نقد المصادر والمراجع:

تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، تبعا لطبيعة الموضوع بين مدونات التاريخ السياسي وكتب الرحلة والجغرافيا والبلدان وكتب الفقه والنوازل والحسبة وكتب التصوف والمناقب والرقائق، وسأذكر الأهم منها مرتبة حسب أهميتها بالنسبة لهذه الدراسة وهي:

أولا-***المصادر:***

1-كتب الطب والأدوية المفردة وعلم النبات

يتناول هذا الصنف من الكتب أنواع النباتات وخواصها والأمراض التي تستخدم لها كدواء وخصوصا النباتات الطبية، وقد استفدت منها في التعريف بالنباتات الطبية والعطرية التي تحتاج في بعض الأحيان إلى الشرح والتعريف بها ومن هذه الكتب نذكر:

كتاب الحاوي في الطب لأبو بكر الرازي (ت 313هـ / 925م)

موسوعة طبية موسّعة، استعنت بها لتأصيل المفاهيم السريرية ولتحليل الممارسة الطبية العقلاني

كتاب ابن الجزار القيرواني (ت369هـ / 979م) طب الفقراء والمساكين ويعتبر كمختصر لكتابه زاد المسافر، حيث يذكر فيه المؤلف الأمراض المتداولة وأسبابها وأصنافها والأدوية النافعة والزهيدة الثمن والتي يمكن للطبيب أن يعتمد عليها ويصفها للناس، سيما الفقراء والمساكين منهم وأدرج ذلك في مقدمة كتابه. واستفدت منه في الأدوية المستخدمة في علاج بعض العلل التي كانت متواجدة في المغرب الأوسط.

كما اعتمدت على كتابه طب المشائخ وحفظ الصحة وهو لا يقل أهمية عن طب الفقراء والمساكين، واستفدت منه، في ذكر كيفية تأثير الهواء على البدن، واستخلصت منه كيفية حفظ الصحة بالأغذية والرياضة كجانب وقائي وعلاجي في نفس الوقت.

كتاب القانون في الطب لابن سينا(ت427هـ / 1037م)

اعتمدت عليه في ذكر عوامل المسببة للأمراض، وشرح بعض الأمراض فهو موسوعة طبية لا غنى للباحث في ميدان الطب والأمراض عنها.

كتاب" جامع لمفردات الأدوية والأغذية"، الذي يعدّ موسوعة صيدلانية وطبية، ألفها عالم ونباتات والصيدلاني والطبيب ابن البيطار العشاب ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المالقي الأندلسي (تـ 646هـ/1248م) بحيث يحتوي على أزيد من 1400 نوع من الأعشاب والعقاقير الطبية، مع شرح لقيمتها العلاجية وكيفية استخدامها، وقد زار المغرب الأوسط خلال رحلته العلمية ومرّ بمدينة بجاية سنة617هـ/ 1220م، واستفدت منه في تعريف النباتات الطبية التي كان سكان المغرب الأوسط يستعملونها في علاج بعض الأمراض.

كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (ت646هـ / 1248م)

واستعنت به لفهم الاستخدامات الصيدلانية لبعض النباتات، وتحليل حضور أدويته في وصفات الأطباء المحليين. وله مؤلف آخر وهو المغني في الأدوية المفردة، وهو ملخص طبي عن استعمال النباتات الطبية لعلاج مختلف الأمراض ومرتب من الرأس إلى انتهاء أصابع القدمين.

وكتاب "عمدة الطبيب في معرفة النبات" لابي الخير الإشبيلي (ت القرن 6هـ/12م)، ويعدّ كتابه مرجعا مهم جدا في علم النباتات الطبية، حيث جمع فيه أسماء النباتات وخواصها العلاجية من خلال تجاربه الشخصية، وقد استفدت منه في تعريف بعض النباتات وخواصها الطبية.

وهذه الكتب عبارة عن معاجم تتضمن أسماء النباتات وخواصها العلاجية وطرق الاستطباب بها، ونجد فيها إشارات إلى بعض النباتات الطبية التي كانت تنمو ببلاد المغرب الأوسط لا سيما عند ابن البيطار.

2-كتب التراجم والطبقات

اعتمدت في هذه الدراسة على عدد من كتب التراجم والطبقات، كان أهمها:

كتاب طبقات الأطباء والحكماء ابن جلجل سليمان بن حسان الأندلسي (ت سنة 384هـ/ 994م) يُعدّ من أوائل من صنّفوا في تاريخ الطب باللغة العربية، ورجعت إليه في ترجمة بعض الأطباء الذين تداول زكرهم في متن الأطروحة.

كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء "لابن أبي أصيبعة موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي(ت668هـ/1270م)، ويحتوي هذا الكتاب على تراجم لأطباء

اليونان والرومان والهنود والعرب والفرس، واحتوى على أكثر من ثلاثمائة وثمانين طبيب وحكيم ومهندس ومنجم، وقد أفادني في ترجمة الأطباء، وبعض الصيادلة الذين كانوا بالمغرب الإسلامي والأندلس.

كتاب الدراية فيمن عُرف من العلماء ببجاية للغبريني (ت. بعد 701هـ) وهو مصدر محلي مهم جدا، رجعت إليه لاستخراج تراجم بعض الأطباء والعلماء الذين عاشوا في بجاية. حيث ترجم للعديد من الأطباء والحكماء،.

3-كتب النوازل:

إن أهمية كتب النوازل الفقهية تكمن في كونها تحتوي على معلومات دقيقة عن مجريات الحياة اليومية لمجتمع مدن المغرب الإسلامي، فهي تقدم مادة علمية غزيرة من خلال ما النوازل التي تخص أفراد المجتمع من حيث الصحة والمرض، وكل ماله علاقة بالمنظومة الصحية، وحكم الدين في مختلف النوازل المتعلقة بها.

كتاب *"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب"*، لأحمد بن يحي الونشريسي(تـ914هـ/1508م) قسّمه صاحبه إلى ثلاث عشرة جزءاً، وهو من المصادر التي تحدثت عن المرض ومسألة العدوى والفرار من الطاعون واختلاف الفقهاء حول هذه المسائل.

4-كتب الحسبة:

من بين كتب الحسبة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة نذكر:

كتاب "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر" لأبي عبد الله محمد العقباني(تـ871هـ/1466م)، وهو المصنف الوحيد في الحسبة لدى فقهاء المغرب الأوسط، وقد زاوج فيه صاحبه بين النظري والتطبيق، وبين السؤال والجواب وبين الفعل والحكم الشرعي، وحوى على معلومات جدُّ قيمة حول تلمسان، وقد استفدت منه كثيرا في التوصل إلى القيم الاجتماعية والإسلامية القائمة على الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، حيث ذكر العقباني(تـ871هـ/1467م) جملة من المنكرات والتجاوزات التي كانت تقع بتلمسان، كما حاولت استنباط كل ماله علاقة بالأمراض والطب والممارسات الدخيلة كالغش والتدنيس التي كانت تطوله، وكيف وقف المحتسب بالمرصاد لكل من سولت له نفسه القيام بذلك.

إلى جانب كتاب "**رسالة في الحسبة**" لابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي(ت 528هـ/1134م).

و"**كتاب في آداب الحسبة**" لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي، الذي عاش في القرن 7هـ/13م، تناول فيه أصول الحسبة وأخلاقيات المحتسب، وقد ساعدني في معرفة دور المحتسب في ضبط النظام العام، ومراقبة أسعار السلع في الأسواق في العصر الوسيط.

5-كتب الرحلة والجغرافية:

اعتمدت في هذه الدراسة على كتب الجغرافيين ومن بين هذه الكتب: كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** "لأبي عبيد الله بن عبد الله الأندلسي البكري(تـ487هـ/1094م)، هو قطعة من كتاب المسالك والممالك، وقد زودنا بمعلومات عن أحوال بلاد المغرب والأندلس.

كتاب "**معجم البلدان** "لصاحبه ياقوت بن عبد الله الرومي أبوعبد الله شهاب الدين الحموي(تـ626هـ/1228م)، يعد موسوعة جغرافية شاملة، وقد زودنا بمعلومات ووصف لبلاد المغرب، ولا غنى للباحث عنه في تحديد المواقع، ومعرفة الأماكن.

كتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" أبو عبد الله الشريف الإدريسي عاش خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ألف كتابه هذا وهو مصدر هام لما يقدمه من معلومات حول المغرب الأوسط وغطائه النباتي.

كتاب" تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ابن بطوطة وهو محمد بن عبد الله بن محمد(تـ770هـ/1368م)، وامتدت رحلته من الأندلس غربا إلى بلاد الصين شرقا، ومرّ خلال رحلته بسواحل البحر الأبيض المتوسط، وقد امدنا بمعلومات حول عادات وتقاليد السكان وبعض الأمراض التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، والوعكات الصحية التي تعرض إليه هو في حد ذاته، وتحدث عن الطاعون الأسود والأوضاع التي عاشتها البلاد من جرائه.

كتاب "وصف إفريقيا" للحسن بن محمد الوزان الفاسي المشهور بليون الإفريقي (تـ957هـ/1550م)، وهو كتاب مهم جدا لاحتوائه على معلومات غزيرة وقيمة حول الأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة في بلاد المغرب الإسلامي، وطرق العلاج المستعملة أنذلك، ناهيك عن ذكره لجغرافية المنطقة والطرق والمسالك وحواضر المغرب الأوسط حيث تكلم عن مملكة الزيانيين والحفصيين بما في ذلك بجاية وقسنطينة، وغيرها من المعلومات التي أفادتني كثيرا في إنجاز هذا العمل.

6-كتب المناقب

ومن بين كتب المناقب التي استفدت منها في الدارسة نذكر:

كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات التادلي (تـ617هـ/1120م)، ترجم هذا الكتاب للكثير من المتصوفة، كما يكشف لنا الجانب الإجتماعي للمتصوفة في حياتهم، وإسهاماتهم في التوعية، والدور الذي لعبوه أثناء الأزمات من مساعدات للفقراء والمرضى، ومساهمتهم في الجانب الطبي.

كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم (تـ1014هـ)، وهو من المصادر المهمة في ترجمة المتصوفة والعلماء، بالمغرب الأوسط وإبراز دورهم في الحياة الإجتماعية.

و**كتاب "أنس الفقير وعز الحقير" لابن قنفذ القسنطيني (تـ810هـ/1408م)**، وقد خصصه للقطب أبي مدين شعيب(تـ594هـ/ 1198م) وشيوخه وأصحابه وتلاميذه، وقد استفدت منه في التعريف ببعض الشخصيات والمجاعات التي حلت ببلاد المغرب عامة.

7-كتب التاريخ العام

كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" *لعبد* الرحمن بن خلدون (**تـ808هـ/1406م**)، لترجمة الشخصيات لا غنى للباحث عنه. ويعد من أهم الكتب التي تناولت تاريخ البشرية جمعاء، وضمنه صاحبه العلامة بن خلدون بأخبار وأحداث سياسية وعسكرية واجتماعية، واستفدت منه كثيرا في مختلف محطات البحث، حيث أن ابن خلدون لم يغفل عن ذكر ما حل بالدول من أزمات ومجاعات، وأسهب في ذكر ما حل بتلمسان زمن الحصار المريني، يعد من المصادر المهمة، كون المؤرخ عايش الأحداث.

وكتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، لابن أبي زرع الفاسي(**كان حيّا سنة726هـ/1325م**)، تضمن الكتاب أحداث مهمة عن الحروب والمجاعات، وما ترتب عن هذه الأزمات من غلاء في أسعار السلع، واعتمدت عليه في رصد الأحداث السياسية في المغرب الأوسط، وما واكبتها من أزمات ومحن، أثّرت سلبا على الوضع الصحي.

وكتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكريا يحي بن خلدون (**تـ780هـ/1378م**)، عاصر الدولة الزيانية وأرّخ لملوكها، وتضمن الكتاب ذكر للأزمات التي تعرضت لها الدولة الزيانية، ودور سلاطينها في مواجهتها، وخصوصا ما تعلق بالمجاعات.

وكتاب *" المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن"* ابن مرزوق محمد التلمساني (**تـ781هـ/1379م**) وهذا الكتاب من المصادر المهمة في التاريخ، كونه عاصر الأحداث السياسية

وما نتج عنها من آثار اقتصادية واجتماعية في تلك الفترة، وقد أفادني في معرفة العلاقة بين الدولتين المرينية والزيانية خاصة الجانب السياسي، والحروب والصراعات التي فرضت على تلمسان، وما نجم عنها من أزمات وأمراض ومجاعات.

ثانيا: المراجع:

اعتمدت في هذه الدراسة مجموعة من المراجع التي ساعدتني في إنجاز العمل ومن بينا نذكر:

كتاب "**دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**" لصاحبه عويس عبد الحليم ويعد من المراجع المتخصص في تاريخ المغرب الأوسط، حيث تحدّث عن قلعة بني حماد التي كان لها دور هام في التطور الحضاري، الذي عاشه في بنو حمّاد، واستفدت منه في الدور الريادي في ميدان الطب، والأعشاب الطبية التي كانت تزخر بها القلعة.

وكتاب "**تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الإقتصادية والثقافية**" لمؤلفه حساني مختار وقد استفدت منه في أسباب الأمراض التي عرفها المجتمع في الدولة الزيانية، وخصوصا المجاعات التي ضربت الدولة.

وكتاب"**تلمسان في العهد الزياني**" لعبد العزيز فيلالي، يعد من أبرز المؤرخين المعاصرين المهتمين بدراسة التاريخ مدينة تلمسان، وتم توظيف كتابه في فهم السياق الاجتماعي والحضاري للدولة الزيانية، حيث تطرق إلى الأمراض التي انتشرت بتلمسان، وطرق علاجها وذكر الأطباء الذين عاشوا في كنفها، وقد اعتمدت عليه في جل فصول دراستي، لكونه قد استنبط المعلومات الخاصة بالأمراض من مخطوطات لم أستطع الحصول عليها.

الصعوبات:

يتعرض أي باحث إلى جملة من العراقيل التي تعترض طريقه أثناء إنجازه للبحث، ومن بين الصعوبات التي واجهتني قلة المصادر التي تتحدث عن التاريخ الاجتماعي للمغرب الأوسط، وإن وجدت فهي لاتزال مخطوطا في المملكة المغربية، غير أن هذه العراقيل والصعوبات لم تثن من عزيمتي ووصلت بالعمل إلى الحال الذي عليه اليوم.

الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات طبية وجغرافية وسياسية

أولا: مفاهيم واصطلاحات طبية

ثانيا: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط

ثالثا: التطور السياسي للمغرب الأوسط

لا يخلو عصر من العصور في تاريخ البشرية جمعاء، من الأمراض والكوارث الطبيعية والأزمات، كونها شديدة الالتصاق بالإنسان، ولا يمكننا أن نحددها بالزمان ولا بالمكان، ولا حتى بالأجناس، والمغرب الإسلامي كغيره من بقاع العالم، كان عرضة للعديد من الأمراض التي اجتاحت أقاليمه (المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى) في الفترة الوسيطية، وكانت لها الأثر البالغ على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

أولا– مفاهيم واصطلاحات طبية

سأتطرق في هذه الجزئية إلى ذكر تعريفات لغوية واصطلاحية؛ لبعض المفاهيم الطبية التي تخدم موضوع الأطروحة

1– تعريف المرض

تعددت المصطلحات والمفاهيم بين جمهور علماء اللغة والأطباء والباحثين؛ حول مصطلح المرض:

أ– المرض من القرآن والسنّة النبوية الشريفة:

يكتسي " المرض " في التصور الإسلامي مفهوما مركزيا يتجاوز النظرة الفسيولوجية إلى أفق معرفي وروحي وأخلاقي واسع، وقد ورد ذكره في مواضع مختلفة من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، للدلالة تارة على العلّة الجسدية، وتارة أخرى على الداء الذي يصيب القلوب والأفكار، وإزاء هذا التعدد الدلالي اقتضت الدراسة، وإلى تأصيل مفهوم المرض من خلال الشريعة الإسلامية إشارات، حيث ورد في القرآن الكريم لفظ المرض في العديد من الآيات الكريمة، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ**﴾[1]، وفي قوله تعالى أيضا:﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُوْنَ**﴾[2]، ومعنى الآية الكريمة هو الشك والنفاق وهو مرض ليس مرضا جسديا، إنما هو مرض في الدين مكانه القلب أي زادهم الله مرضا بما أنزله عليهم من

1– سورة الشعراء، الآية، 80.

2– سورة البقرة، الآية: 9.

القرآن، فشكّوا فيه[1]، والمرَضُ في القلب فتورٌ عن الحق، وفي الأبدان فتور الأعضاء وفي العين فتور النظر[2]، ويرادف المرض الوجع والعلة والداء والوصب والضر والضراء، والضنى: الذي هو المرض المدْنَف الذي يلزم صاحبه الفراش، ويُشرفه على الموت[3].

وتأتي السنة النبوية لتُكمل هذا المعنى، كما في قوله صلى الله عليه وسلم، **{تَدَاوَوْا فَإِنَّ الله عزّ وجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاء إلا وَضَعَ لَهُ دَوَاءٌ غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الهَرَمْ}**[4]، فالمرض إذا سنة كونية واختبار للعبد في صبره وعلاقته مع الله، لذلك وجب على الإنسان التحلي بالصبر إذا مسَّه ضُرٌّ، وأن لا يجزع منه، كما عليه تتبُع أسباب العلاج، وتفويض أمره لله تعالى بالتضرع والدعاء، وهذا الأمر لا يخرج الإنسان من دائرة التكليف، ولا يدعوه للاستسلام، بل يُوجب عليه السعي من أجل طلب العلاج وذلك بالأخذ بالأسباب، إيمانا بأن الشفاء من عند الله تعالى، وقد جاء النص القرآني مؤكدا هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **ثُمّ كُلِ مِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَسْلُكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيْهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[5].

وتعزز السنة النبوية مفهوم التداوي وطلب الشفاء بوسائل العلاج والتّطبُّب المعروفة[6]، فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه تداوى[1] وأمر بالتداوي[2]، وروى الإمام مسلم في صحيحه؛

1- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان 2000م، ص 91.

2- ابن منظور، المصدر السابق، ص 4181.

3- علي بن سعيد العبيدي، آثار رحمة الله في المرض والموت، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية – كلية التربية، جامعة الملك خالد- أبها،(د ت)، ص353.

4- أبو داوود، المصدر السابق، ص 5. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الإصفهاني، موسوعة الطب النبوي، درا وتح: مصطفى خضر دونمز التركي، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2006م /1427هـ، ص198.

5- سورة النحل، الآية، 69.

6- أميمة أبو بكر، هدى السعدي، النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية (ق7م- ق17م)، ط 2، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، مصر، 2004، ص6.

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: {**لِكُلِ دَاء دَواءٌ؛ فَإِذَا أصيب دَوَاءُ الدّاء بَرَأ بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَل**}[3]. ويدل الحديث على أن لكل مرض علاج، وهذا العلاج مرهون بنجاح الطبيب أو المريض في معرفة الدواء الأنجع، وكل ذلك بتقدير الله تعالى.

ب- لغة:

عرّف ابن منظور المرض على أنه السقم، وهو نقيض الصحة والعافية، ويكون إطلاق ذلك على الإنسان والحيوان على حد سواء، فمرض فلان مرضاً فهو مارضٌ، ومريضٌ. ويقال أتيت فلانا؛ فأمرضته أي وجدته مريضا، أما المِمْرَاضُ: الرجل المِسْقَامُ، والتَّمَارُضُ: أن يرى من نفسه المرض؛ وهو ليس بمريض، ومُراضٌ بالضّم؛ داء يقع في الثمرة فتهلك[4].

أما البستاني صاحب كتاب "محيط المحيط" قال أن المرض هو فساد المزاج، وإظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها، وقيل هو حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل، ويأتي في مقابلها الصحة، ويضيف على ذلك ويُخصّص أن المرْض بسكون الراء، يختص بالنفس، وبفتحها فهو متعلق بالجسم، فمرض الحيوان مرْضاً مرَضاً، يُقصد به اضطربت طبيعته بعد صفائها واعتدالها وأظلمت، فهو مرْضٌ ومَرِيْضٌ ومارض، كما يقصد به كل ما خرج بالإنسان عن حد الصحة من علة وفتور ونقصان وظلمة[5].

1- حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا جرير- يعني ابن حازم- حدّثنا قتادة عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم {**اِحْتَجَمَ ثَلَاثًا فِي الأَخدَعَيْن والكَاهِلِ**}. ينظر: أبو داود، سنن أبي داود، تح وتع: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قربللي، ج6، طبعة خاصة، دار الرسالة العالمية و الإدارة العامة، دمشق، الحجاز، 2009م/ 1430هـ، رقم الحديث: 3860، ص 10.

2- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق، تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا، 2011م، ص 3.

3- أبو الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، ط2، دار طيبة، الرياض، 2006م، رقم الحديث: 2204، ص 1050.

4- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1999م، ص ص 4180- 4181.

5- بطرس البستاني، محيط المحيط، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ص846.

وعند الجوهري المرض هو السَّقم، والسُّقم، كما أنه وافق ابن منظور في تحديد مفهوم المرض وقال: مرض فلان وأمرضه الله، وعين مريضة فيها فتور[1]، والمرض: السَّقم وهو نقيض الصحة، أو هو خروج الجسم عن حالة الاعتدال التي تعني قيام أعضاء البدن بوظائفها المعتادة، مما يعوق الإنسان عن ممارسة أنشطته الجسدية، والعقلية، والنفسية بصورة طبيعية، وفي معجم مقاييس اللغة يدل على ما يخرج به الإنسان عن حدِّ الصحة؛ وجمع المريض مَرْضَى وأمرضه: أعلَّه ومرَّضَه: أحسن القيام عليه في مرضه[2].

وعرفه الفيروز الأبادي: مرض ومريض ومارض جمع مراض ومرضى ومراضى أو المرض، يقصد به إظلام الطبيعة بعد صفائها واعتدالها، وخصصه فيقول بالفتح يعني علة بالقلب خاصة[3]، والمرَض بفتح الرَّاء يختص بالجسم، وبسكونها يتعلق بالنفس[4].

ج-اصطلاحا:

قال جمهور الأطباء على المرض؛ بأنه كل إعتاق الأفعال عن أن يجري مجاريها الطبيعية في الحسن من غير واسطة، وضده الصحة، وهو هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان مضادة لصحة صحيحة سليمة؛ ومن الناحية الطبية أيضا عن المرض: هو هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان، يجب عنها بالذات آفة في الفعل وجوبا أوَّليًّا[5]، وذلك إما مزاج غير طبيعي، وإما تركيب غير طبيعي، ومعناه انحراف بعض أعضاء الجسم عن وظائفها البيولوجية[6].

1- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اعتنى به: أحمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، دط، 1430هـ/2009م، ص 1106.

2- ابن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، (د ط)، دار الفكر، مصر، 1979م، ص311.

3- الفيروز الأبادي، القاموس الحيط، تح وتع: آنس محمد وزكريا جابر، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص1525.

4- بطرس البستاني، المرجع السابق، ص846.

5- أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصحاري، معجم الماء أول معجم طبي لغوي في التاريخ، تح: هادي حسن حمودي، ج3، ط 2، عمان، 1436هـ/2015م، ص 359.

6- ابن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه، محمد أمين الضنّاوي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1420هـ/1999م، ص103.

وفي المنظور الأنثروبولوجي للمرض، يعني أن المرض مفهوم ثقافي نسبي يهتم بالمعتقدات الثقافية المتعلقة بالمرض؛ وهو يختلف في توصيفه من مجتمع لآخر، ومن ثقافة إلى أخرى أي أن المجتمع هو من يحدد من هو الشخص المريض ومن هو غير مريض، فما يعتبر مرضا في مجتمع ما قد لا يعدّ مرضا بالنسبة لمجتمع آخر، ومثال ذلك أمراض نزلات البرد، والتوعّك الصحي التي لا تعتبر أمراضا في المفهوم الشعبي؛ لاتسامها بالبساطة؛ فهي تعالج محليا ودون الرجوع إلى الطبيب، وهو الحال بالنسبة لأمراض المفاصل التي يتم معالجتها بوصفات منزلية، لاعتقاد سائد أنه مرض مزمن لا ينفع معه الطبيب[1]، ويقول ابن الأعرابي: أصل المرض النقصان، فبدنٌ مريضٌ أي: ناقص القوة، وقلب مريضٌ أي: ناقص دين[2]، وقال ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) أن الأصل في الأمراض كلها إنما هي الأغذية[3].

2- تعريف الطب:

إن علم الطب من أشرف العلوم التي لابد للإنسان أن يتعلمه، لأنه يهتم بصحة البشر الجسدية والنفسية، ولأن جسد المرء أمانة من الله تعالى وجب عليه حفظه وحمايته من كل الشوائب، وبالأخص من الأمراض، وقد جاءت السنة النبوية الشريفة شارحة ومكملة لما جاء في القرآن الكريم من حثّ على التداوي والبحث عن العلاج، وبذلك فإن الطب في الإسلام مشروع في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد قال عنه الإمام الشافعي(تـ204هـ/820م) رضي الله عنه: " العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان"، فأما علم الأديان فهو ما تعلّق بالفقه، وعلم الأبدان فهو الطب، ومن الأمور

1- محمود ذكار، (هرمينوطيقا المرض بين العلمي والأنثروبولوجي: مقاربة جديدة في فهم المرض)، مجلة أنثروبولوجيا، مج2، ع1، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 01-03-2016م، ص 83.

2- الصحاري، المصدر السابق، ج3 ص 359.

3- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، ج2، ط ، دار البلخي، دمشق، 2004م، ص 115.

التي لا غنى للناس عنها ما جاء في هذه المقولة "صنفان لا غنى للناس عنهما، الأطباء لأبدانهم، والعلماء لأديانهم"[1].

أ– لغة:

عرف ابن منظور الطب بأنه علاج الجسم والنفس[2]، ويعرفه الفراهيدي فيقول: هو السحر، والمطبوب المسحور، والطب من تطبُّب الطبيب، والعالم بالأمور، ويقال هو من طب أي عالم وطب[3].

وفي المعجم الوسيط: هو الرفق وحسن الاحتيال والسحر والدأب والعادة[4]، والطُب مثلثة الطاء: علاج الجسم والنَّفس، يَطُبُّ، ويَطِبُّ، والرفق، والسِّحر، وبالكسر: الشهوة، والإرادة والشأن[5]، وبالفتح: الماهر الحاذق بعمله كالطَّبيب [6].

ب–اصطلاحا:

اعتبر الطب عبر التاريخ علما أزليا، ولا يجوز نسب هذا الفن إلى بلد خاص أو مملكة معينة أو قوم عن سائر الأقوام، إذ من الممكن أنه كان موجودا عند أمة قد انقرضت، ولم يبقى من أثرها شيء، ثم ظهر عند قوم آخرين[7]، فعندما احتاج الإنسان إلى معالجة الأبدان التي تخرج عن نشاطها الطبيعي، جاءت المداواة كطرق لتسكين الآلام، حتى إذا وصلنا إلى زمن النبي عليه الصلاة والسلام وجدناه يتبع أساليب طبية مختلفة أطلق عليها الطب النبوي.

وقد دعت الحاجة بوحي الإلهام والتجربة إلى تطوره، وفي هذا الصدد قال ابن أبي أصيبعة (ت1270/668م) "وبالجملة قد يكون من هذا – ويقصد الإلهام– وما وقع بالتجربة والإتقان

1– أبو الحسن سعيد بن هبة الله البغدادي العشاب، المغني في تدبير الأمراض و معرفة العلل والأعراض، تح: محمد ياسر زكور، مرا: عمر الفاروق محمد غصن، ط1، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/2011م، ص9.

2– ابن منظور، المصدر السابق، ص2630.

3– الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 41.

4– ابن منظور، المصدر السابق، ص2631.

5– أحمد رضا، المرجع السابق، مج3، ص578.

6– الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 989.

7– محمد عبد الرحيم، الطب في الشعر العربي، ط1، دار راتب الجامعية، بيروت لبنان، 1419هـ/1999م، ص 6.

والمصادفة، أكثر مما حصّلوه من هذه الصناعة"، والمعنى مما سبق، أن الطب لم يكن مجرد علم تم اكتسابه من الكتب، بل كان نتاج تجارب علمية معتمدين فيها على ملاحظة تأثير العلاجات المختلفة[1].

ثم قال أيضا:" ثم تكاثر ذلك بينهم، وعضده القياس بحسب ما شدّده وأدتهم إليه فطرتهم، فاجتمع لهم من جميع ذلك أشياء كثيرة؛ ثم إنهم تأملوا تلك الأشياء، واستخرجوا عللها والمناسبات التي بينها، فتحصل لهم من جميع ذلك قوانين كلية ومبادئ عامة"[2]، والمقصود أنهم طوّروا معارفهم؛ باعتمادهم على القياس والاستنتاج؛ لمختلف العلاجات والتجارب التي قاموا بها، وأصبحت أكثر دقة بعد عمليات البحث المتواصل؛ من أجل الحصول على الحلول وتحسين العلاجات بفضل الفطرة البشرية التي جُبلوا عليها[3].

وعلم الطب علم يُعرف بأحوال بدن الإنسان، من صحة ومرض ومزاج وأخلاط وغيرها، مع أسبابها من المأكل وغيرها، وعرّفه ابن الأكفاني بأنه علم يُبحث فيه عن بدن الإنسان؛ من جهة ما يصح ويمرض، لإلتماس الصحة وإزالة المرض[4].

وقد ذكر الكثير من القدماء؛ أن الطب ظهر في ثلاث جزائر في وسط الإقليم الرابع أحداها تسمى رودس[5]والثانية تسمى فنيدس والثالثة" قو"، التي هي بلد أبقراط(تـ357 ق.م) الذين يقال أن أصله كلداني، وبعضهم قال بأن المستخرج للطب، هم السحرة من أهل اليمن، وأخرون قالوا سحرة

1- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، تح: ودرا: عامر النجار، ط 1، دار المعارف، قاهرة، مصر، 1992م، ص 6.

2- المصدر نفسه، ج1، ص 7.

3- هيكل نعمة الله و إلياس مليحة، موسوعة علماء الطب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م، ص ص8-9.

4- أبو يحي زكريا الأنصاري، خزانة العلوم في تصنيف الفنون الإسلامية ومصادرها، شرح رسالة اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، شر وتع: عبد الله نذير أحمد، (د ط)، دار البشائر الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، (د ت)، ص 161.

5- **رودس**: بضم أوله، جزيرة في البحر من الثغور الشامية، ورودس حصن إغريقيا في الأرض الكبيرة مقدار عشرين ميلا وبينها وبين قبرص عشرون ميلا، وقال عنها أبو نصر الفارابي أنها جزيرة كانت مقرا لتعليم الفلسفة وباللغة الإغريقية تعني الورد. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، 1975م، ص 278.

بابل أو سحرة فارس، وهناك من قال أن منبته الهند، وهناك من قال بالصقالبة [1]، وممن ردُّوه لله تعالى قالوا إنه إلهام بالرؤيا أو بالتجربة[2].

وذكر ابن أبي أصيبعة (ت668/1270م) اختلاف الآراء والأقوال حول الطب فقال:" اعلم أن تحقيق أول حدوث الطب عسير؛ لبعد العهد واختلاف آراء القدماء فيه... وانقسموا إلى فرقين[3]، الفريق الأول يقول إنه خلق مع الإنسان، والفريق الثاني يقول إنه مستخرج بعده إما بإلهام من الله تعالى كما ذهب أبقراط(تـ357ق- م)[4]وجالينوس، وجميع أصحاب القياس وشعراء اليونان، وإما بالتجربة كما ذهب إليه التجريبيين[5]، وهو علم بقوانين وعرّفه أبو بكر الرازي (ت311هـ/923م)، بأنه علم يبحث في بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض، لالتماس حفظ الصحة وإزالة المرض، تُعرف منها أحوال أبدان الإنسان من جهة الصحة وعدمها، ومن يكون حذقا بهذا العلم يسمى طبيبا[6].

1- القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص 75.

2- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج1، ص ص12-13.

3- المصدر نفسه، ص13بتصرف.

4- **بقراط**: يكتب بقراط وأيضا أبقراط، من أهل اسقلابيوس، كان يسكن مدينة " قو" وهي مدينة حمص من أرض الشامات، تكلم في الطب وألف كتبا منها: الفصول، تقدمة المعرفة، أفيذيميا، وكتاب الأمراض الحادة، وكتاب الجبر والخلع، وطبيعة الإنسان، والأخلاط وغيرها من الكتب، كان فاضلا ناسكا يعالج المرضى، طوافا جوالا، وتلميذه من بعده فولونيس عاش خمسا وتسعين سنة، صبيا ومتعلما ست عشرة سنة، وعالما ومعلما تسعا وسبعين سنة، توفي سنة (357ق م). ينظر: ابن جلجل أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، 1985م، ص 16وص 153.

5- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج1، ص 14.

6- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، أخلاق الطبيب، تق و تح: عبد اللطيف محمد العبد، ط 1، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1397هـ/1977م، ص 17.

فالطب هو علم وفن، الغرض منهما هو علاج المرض أو منع وقوعه[1]، وعرّف ابن خلدون (تـ808هـ/1406م) الطب على أنه صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية[2]، وذلك بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، ومعرفة أسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها[3]، كما أن الطب صناعة لا يمكن للفرد الوصول إليها، إذا لم يحذ فيها بأثر السابقين، ولن يبلغ مبلغه لوحده ولو أفنى جميع عمره فيها، لأن مقدارها أطول من عمر الإنسان بكثير[4].

ويطلق لفظ طبيب على من كانت حرفته الطب أو الطبابة، وجمعه:" أطباء وأطبّة"، ومهنته معالجة المرضى، ويصبح عالما بالطب إذا حذق بمهنته وكان رؤفا لطيفا بمرضاه[5]، وجاء في لسان العرب لفظ الطبيب على أنه رجل طب، وطبي عالم بالطب والطبيب الرفيق، والطبيب الحاذق من الرجال، الماهر بعلمه، وكل حاذق بعلمه طبيب عند العرب، والحاذق بالأمور العارف بها، ويسمى الطبيب من يعالج المرضى[6].

والطبيب عند ابن خلدون(تـ808هـ/1406م)، هو من يحاذي المرض، ويعاينه بما تقتضيه طبيعة المرض، وبالنظر إلى الفصل والسّن[7]، وإمام الأطباء بنظره هو جالينوس (تـ118هـ/200م)[8]،

1- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، ج2 ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1991م، ص41.

2- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 268.

3- المصدر نفسه، ج2، ص268. حسن عاصي، تاريخ العلوم عند العرب، ط1، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م، ص 51.

4- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني، تحفة النّاظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، (د ط)، دماس، فرنسا، 1967م، ص255.

5-أحمد رضا، المرجع السابق، ص578.

6- ابن منظور، المصدر السابق، ص 2631.

7- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 268.

8- **جالينوس**: هو عالم يوناني ولد بآسيا الصغرى، ببلدة برغمش سنة 131هـ، درس الطب في اليونان وآسيا الصغرى ثم توجه إلى الإسكندرية، كما برع في الفلسفة وجميع العلوم الرياضية، كما كان عالما بعلم التشريح ومن أمهر الجرّاحين وتوفي بروما سنة 200م، وهناك من قال 218م على الأرجح. ينظر: ابن جلجل، المصدر السابق، ص 41. ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق،ج1، ص 307. ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص268.

وينبغي على الطبيب أن يكون فيلسوفا[1]، فالطبيب هو الشخص الذي يعرف ما يضر الإنسان، فيساعد المريض على استعادة الصحة المفقودة، أو يحفظها[2].

ج- أخلاقيات الطب:

يتميز الطب بجملة من القوانين والأخلاقيات؛ التي اعتبرت تشريعات وقوانين تضبط هذا العلم، وتضمنت الصفات التي تميّز الطبيب المسلم عمّن سواه، والتي لابد أن يتوسم ويكون شديد الالتزام بها؛ والتي تعتبر بحد ذاتها من مكارم الأخلاق، التي شرعها الدين الإسلامي أذكر:

1- إخلاص النية لله تعالى وطلب الأجر، واستشعار مراقبة الله له، وصيانة النفس عن اللهو والطرب[3]، وتصفح الكتب وتوسيع المعارف حتى إنْ سئل الطبيب، يكون له دراية وعلم ويستطيع الإجابة، وعليه أن يكون ذو علم ومعرفة بالطب[4]، فمن شروط هذه المهنة المعرفة لقوله صلى الله عليه وسلم: **{مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلم مِنْهُ طِبٌ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُو ضَامِنٌ}**[5].

وذكر العقباني(تـ871هـ/1467م) في كتابه تحفة النّاضر وغنية الذّاكر، الشروط التي لابد للطبيب الالتزام بها، والتي نقلها عن رئيس المتطببين وفلاسفة المسلمين الشيخ محمد بن زكريا الرّازي(تـ311هـ/923م) في مختصره المسمى "بالمنصوري"، والذي أفرد به بابا ذكر فيه مهنة الطبيب، والطبيب في منظوره هو من أفنى ماضي زمانه في تصفح كتب الأطباء والطبيعيين، وكان ممن جالس المتكلمين والمتناظرين، وقد شاهد المرضى؛ وقلبهم أمام كثير من الأطباء والمرضى، فمن اجتمعت فيه

1- ابن جلجل، المصدر السابق، ص 17.

2-ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، الطب النبوي، تق ومرا: عبد الغني الخارق، دار الفكر، بيروت، 1957م، ص112.

3- الرازي، أخلاق الطبيب ، ص19.

4- المجوسي علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية المعروف بالملكي، رقم:139.ص 41.

5- ابن ماجة، شروح سنن ابن ماجة، تع: رائد صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، عمان، 2007م، رقم الحديث: 3466، ص 1283.

هاتان الخصلتان؛ فهو طبيب فاضل عالم في نظره، أما من كان أميا أو عاميا لا يفهم الكلام، ولم يجالس أصحاب الاختصاص؛ فلا ينبغي الوثوق به، ولا يظن أن عنده خيرا[1].

2- على الطبيب الرفق بالمريض، وحفظ أسراره، فمن أسرار المهنة أن لا يفشي سر مريضه، حيث أنه هناك من المرضى من يكتم مرضه عن أقرب الناس إليه، لذلك وجب كتمان أسرار مرضاه[2].

3- ووجب على الطبيب الحاذق، أن يغض بصره إذا عالج النساء، وأن يقصد موضع الضرر؛ فيكبر في أعين الناس وتتسامع به الخاصة والعامة، ويعلو قدره وشأنه؛ فيزداد همة ورفعة[3].

وقد نوهت كتب الحسبة، بضرورة الإهتمام بالطب، ومحاسبة كل من يضر بالإنسان، لذلك فقد شرعت الشريعة الإسلامية قوانين ونصوص، سعى المحتسب على تطبيقها وأن يكون بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الغش أو ادعاء ممارسة مهنة الطب عن جهالة، إذ ينبغي على الأطباء كثرة تجربهم[4]، ومطالعتهم لكتب الطب ككتاب "محنة الطبيب" ليوحنا بن ماسويه (تـ857/243م)، وما شرطه جالينوس(تـ118هـ/200م) في فصول هذا الكتاب، وما شرطه أبقراط(تـ370قبل الميلاد) على نفس وعلى سائر المتطببين، وأن يمتحن الأطباء قبل شروعهم في مداواة الناس، وأن يحلفوا على أنهم لا يعطوا لأحد دواء قاتلا، ولا يشيرون به، ولا يقدموا للنساء "العوسج" ولا المعجون الذي يعرف باسم "المرهم"، لأنه كان يقتل الأجنة، وعلى الأطباء الذين يعالجون النسوة؛ بأن يغضوا أبصارهم ولا يفشوا أسرار مرضاهم[5].

ومن ضروريات الطب أن يمتلك الطبيب أو المعالج، أدوات طبية يستعملها في ممارسة مهنته، لعلاج المرضى، مثل كلبات الأضراس ومكاوي الطيحال، وكلبات العلق وزرّاقات القولونج وملزم

1- العقباني، المصدر السابق، ص257.

2- الرازي، أخلاق الطبيب، ص 27.

3- المصدر نفسه، ص 30.

4- لمزيد من المعلومات حول مهنة الطب وأخلاق الطبيب ومسؤولياته. ينظر: الرازي، أخلاق الطبيب، ص 28 وما بعدها. أبو حذيفة إبراهيم بن حمد، نفح الطيب في أداب وأحكام الطبيب، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1990م، ص ص19-35.

5- العقباني، المصدر السابق، ص340 .

البواسير، ومخرط المناخير ومنجل النواصير، وقلاب التشهير، ورصاص السقيل (التثقيل) ومفتاح الرحم وقدح الشّوصة[1]، وغير ذلك مما يحتاج إليه في صناعة الطب[2].

ووضعت الحسبة شروط وقوانين، تضبط مهنة عمل كل من الكاحلين والجراحين والجبارين، لوكان لابد أن تكون بحوزة كل منهم أدوات خاصة بمهنتهم؛ فالمعالج بالفصد مثلا لا يمكن أن يباشر بفصد المريض، إلا من اشتهر بمعرفته بتشريح الأعضاء والعروق، والمفاصل، والشرايين، ويكون على علم بمعرفة تركيبها، وبعد تمرنه على عروق ورق السلق حتى تستقيم يده، ويحافظ على أنامله من الصلابة، ويراعي بصره باستعمال الأكحال المقوية للنظر، ولا يفصد إلا في مكان مضيء، وبآلة ماضية، وأن يكون عنده آنية معلومة المقادير ليعلم مقدار ما يُخرجه من الدم[3]، ولا يفصد مريضا، وهو منزعج لأن ذلك يشكل خطرا على المريض، وأن يكون معه أدوات منها كبة من حرير وآلة القيء، ودواء الصبر ونافجة مسك[4].

كما أفردت كتب الحسبة؛ جملة من الشروط التي يجب على المحتسب مراعاها مع الكحالين والجبارين، فأما الكحالين فكان لزاما عليهم أن يكونوا على معرفة بكتاب حنين بن إسحاق(ت260هـ/873م)، وبالأخص المقالات العشر في العين، وعلى علم بأمراض العين، ومن واجبات الكحّال؛ أن يكون لديه أدوات يستعملها في علاج المرضى مثل: صنافير السبل والظفرة ومحك الجرب ومباضع الفصد ودرج المكاحل[5].

1- الشيرازي عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، مخطوط نهاية الرتبة في طلب الحسبة، رفاعية، رقم:272 N.Fص 90.

2- لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع والأدوات الطبية التي استعملت، لدى مختلف الأطباء من جراحين وجبارين وأطباء العيون وغيرهم. ينظر: راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، 2009م، ص ص48-58.

3- ابن عبدون، رسالة في الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، 1934م، ص 33.

4- الشيرازي، المصدر السابق، ص ص341-342.

5- محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، تح: محمود شعبان، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1976م، ص 258.

كما كان المحتسب يختبر الجبارين بطرح أسئلة عن عدد عظام الإنسان؛ وبأن يعلموا أن عددها هو مائتا وثمانية وأربعون عظما، وصورة كل واحد منها وموضعه، ليرده إلى مكانه إذا انخلع ويجبره إذا انكسر، وعليه أن يكون على دراية بكتب الجبر، وأمّا الجراح فكان ينبغي عليه أن يكون عالما بكتاب جالينوس(ت200م/118هـ) المعروف بقطاجانس، وأن يكون له معدّات منها فأس الجبهة، ومنشار القطع ومجرفة الأذن والمراهم وغيرها[1].

سَهَر جهاز الحسب والمحتسب على تنظيم كل مهنة، والوقوف بالمرصاد لكل من خولت له نفسه التلاعب بضوابط الأمن العام للمدن بما فيذلك الوضع الصحي في المغرب الأوسط.

ثانيا: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط:

اعتبر المغرب الأوسط طيلة الفترة الوسيطية، مجالا حيويا بامتياز، حيث تميز بتنوع أقاليمه الجغرافية والمناخية، والامتداد الجغرافي شاسع، فهو يمتد من نهر ملوية غربا إلى حدود المغرب الأدنى شرقا (تونس)، كما أنه يعتبر امتدادا للمغرب الإسلامي الكبير.

1- لمحة جغرافية عن المغرب الإسلامي:

قبل التطرق لحدود المغرب الأوسط كإقليم قائم بحد ذاته؛ لابد من التعرف على المغرب الإسلامي الكبير، حيث قال ابن خلدون(ت808هـ/1406م) إن لفظ المغرب إنما دل على مكان من الأمكنة المقابلة لجهة المشرق، وحدّه من الغرب البحر المحيط ومن جهة الشمال البحر الرومي، ومن جهة الجنوب العرق الذي يمثل سياجا بين بلاد السودان وبلاد البربر[2]، ويعترضه عند المغرب الأوسط الحمادة وهي أرض محجّرة تقع بين واد مصاب وبلاد ريغ، ووراءه من جهة الجنوب بعض بلاد

1- محمد بن محمد بن أحمد القرشي، المصدر السابق، ص 346.

2- ابن خلدون، العبر، ص 1602.

الجريد[1]، وأنهار معدودة في تسابيت[2] وتيكورارين[3] في قبلة المغرب الأوسط؛ وذكر أن بحر القلزم المنفجر من بحر اليمن والهابط على سِمت الشمال، وبانحراف يسير إلى المغرب حتى ينتهي إلى القلزم والسويس وبعده مصر، وهذا آخر المغرب عند أهل الجغرافيا، ويدخل فيه إقليم مصر وبرقة[4].

فلفظ المغرب يراد به تلك البلاد الممتدة من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي[5]؛ الذي يشمل المناطق الواقعة في الجهة المقابل للمشرق[6]، وهي بلاد واسعة الأرجاء شاسعة الأراضي، حدّها من مليانة[7]، وهي آخر حدود إفريقيا إلى آخر جبال السوس؛ التي وراءها البحر المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس[8].

1- **بلاد الجريد:** هي البلاد التي ينبت بها الجريد أي النخيل، وهي تضم مدينة توزر وقفصة ونفزاوة والحامة وقابس، يمتد هذا الإقليم من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، وتتميز بالحرارة المرتفعة وكثرة الجفاف، لا تنبت فيها حبوب، ومنتوجها التمر الجيد. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 150.

2- **تسابيت:** إقليم بصحراء نوميديا يبعد عن شرق سجلماسة بحوالي 250ميلا، يضم أربعة قصور وقرى عديدة في تخوم ليبيا على الطريق المؤدية من فاس وتلمسان، لا تنبت أرضهم سوى التمر. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 133.

3- **تيكورارين:** منطقة في صحراء نوميديا ، تبعد عن شرق تسبت بنحو مائة وعشرين ميلا، سكانها أغنياء يشتغلون بالتجارة ، يبيعون سلعهم في بلاد السودان، تضم حوالي خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية. ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص 133.

4- ابن خلدون، العبر، ص1602- 1603.

5- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د ط)، مكتبة الأسرة، مصر، 1992م، ص 24.

6- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 9.

7- **مليانة:** تقع بالقرب من مدينة أشير بين تنس والمسيلة، وهي مدينة كبيرة من بنيان الروم، جددها زيري بن مناد (334-360هـ/945-971م) في القرن4هـ/10م، وهي حصينة مشيدة على سفح جبل يسمى نكار، وتميزت بخصب أراضيها وكثرة زروعها وبساتينها لعذب مياهها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 547. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نش وتع: سعد زغلول عبد الحميد، (د ط)، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، 1985م، ص171. الحميري، المصدر السابق، ص 547.

8- اليعقوب، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ/2002م، ص180.

ويرجع أصل تسميت المغرب إلى وقوعه في مغرب الشمس، وهو مصطلح جغرافي عام، أطلق على المناطق الواقعة من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي، بحيث تنتشر بمحاذاة البحر المتوسط في الشمال، وتتوغل في عمق الصحراء الكبرى إلى الجنوب[1].

وقد اختلف الجغرافيون المسلمون في تحديد مدلوله، فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى الأندلس، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مثل صقلية[2]، وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردانيا[3]وقورسيقا وجزر البليار، بالإضافة إلى الجزر الشرقية وهي ميورقة[4]ويابسة[5].

أما الاصطخري (تـ 340هـ/951م) فقال عن المغرب بأنه ينقسم إلى نصفين، نصف من الشرق ونصف من الغرب، وكلاهما يمتدان على بحر الروم، فأما القسم الشرقي منه فهو يمثل برقة[6] وإفريقية وتاهرت[7] والسوس[1]وزويلة[2]، وحدّه من الشرق مصر والواحات؛ حتى ينتهي إلى بلاد النوبة[3]،

1- وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005م، ص 48.

2- **صقلية**: جزيرة عظيمة ضخمة حصينة، كثيرة البلاد والقلاع، فتحت من طرف المسلمين سنة 212هـ/827م، فتحها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير القيروان، حيث بعث إليها أسد بن فرات، عرفت ازدهارا وتطورا تحت حكم المسلمين إلى أن تعرضت لهجوم النورمان وسقطت سنة 484هـ/1091م. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص ص 366-367.

3- **سردانية**: جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي مدينة عامرة، وهي رأس المجاز إلى جزيرة قرشقة، أصل سكانها روم أفارقة متبربرة متوحشون من أجناس الروم، بها معادن الفضة الجيدة، واسمها مشتق من ساردوس بن هرقل، وقد بعث لها موسى بن نصير ابنه فاتحا لها سنة 87هـ، فأصاب بها سبيا كثيرا وغنائم ويكثر بها المرجان. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 314-315. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص143.

4- **ميورقة**: هي جزيرة في بحر الزقاق، فتحها المسلمون سنة ثمان وخمسمائة، ولي عليها محمد بن علي بن غانية المسّوفي وهو أول ولاة بني غانية. ينظر: الجميري، المصدر السابق، ص567.

5- **يابسة**: جزيرة تلي جزيرة ميورقة ويقال لهذه الجزيرة و لمنورقة بنتا جزيرة ميورقة، وأقرب برا لكورة دانية، وهي جزيرة حسنة كثيرة الأعناب والكروم. ينظر: المصدر نفسه، ص 616. وينظر أيضا: أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص9.

6- **برقة**: مدينة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال، افتتحها عمرو بن العاص سنة 21هـ ، وهي أول منبر ينزله القادمون من ديار مصر إلى القيروان. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 91.

7- **تاهرت**: بفتح الهاء وسكون الراء، والتاء فوقها نقطتان: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب تاهرت القديمة والأخرى المحدثة، بينها وبين المسيلة ست مراحل وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الأندية والضباب والأمطار، وتقع في الإقليم الرابع=

وغربه البحر المحيط، وشماله بحر الروم، وجنوبه رمل من حد البحر المحيط و يمتد من وراء سجلماسة[4] إلى زويلة، وأما النصف الغربي فهو الأندلس[5].

وذكر المقدسي(ق4هـ/10م) حدود بلاد المغرب الإسلامي، وقسمه هو الآخر إلى مناطق هي: برقة إفريقية، تيهرت، سجلماسة، السوس الأقصى، صقلية، الأندلس، فاس، طنجة وإقليم الزّاب[6].

وتعرف الأقاليم الواقعة في الجهة الغربية لمصر، والتي تشمل على شمال القارة الإفريقية الممتدة إلى المحيط الأطلنطي باسم "بلاد المغرب"، وهي تضم حاليا، بلاد ليبيا بأقاليمها الثلاثة (برقة وطرابلس وفزان)، كما تضم تونس، والجزائر بصحرائها الممتدة إلى تخوم السودان، ثم المغرب الذي كان

=حسب ما ذكره صاحب الجغرافيا، وكانت تسمى قديما بعراق المغرب، وكان لها أسوار وأربعة أبواب هي: باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن تقع في سفح جبل، يقال له جزُّول ولها قصبة مشرفة على السوق تدعى المعصومة، وتأسست على أرضها الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م) ودام حكم الرستميين مائة وثلاثين سنة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص ص8-9.

1- **السوس**: السوس الأقصى، وهي مدن كثيرة وبلاد واسعة، يشقها وادي ماست يصب في البحر المحيط، وبها تقع قرية تارودانت وهي أخصب بلاد المغرب وأكثرها فواكه وخيرات وقاعدتها ايكلي، ومن مدنها لمطة وغيرها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 330.

2- **زويلة**: مدينة كبيرة قديمة تقع في الصحراء بالقرب من بلاد الكانم، من بلاد السودان افتتحها عقبة بن نافع سنة 22هـ/643م. ينظر: المصدر نفسه، ص 296.

3- **بلاد النوبة**: هي مدينة صغيرة منها إلى النيل أربعة أيام، أهلها مياسير لباسهم الجلود المدبوغة وأزر الصوف، يشرب أهلها من الآبار ومعظم طعامهم الذرى والشعير. ينظر: المصدر نفسه، ص 585.

4- **سجلماسة**: مدينة تقع في صحراء المغرب، بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، وهي من أعظم مدنه، بنيت سنة 140هـ/757م، أسسها مدرار بن عبد الله، كان رجلا من أهل الحديث، ويقال أنه لقي بإفريقية عكرمة مولى ابن العباس رضي الله عنه وسمع منه، وقد اجتمع بهذا الموضع جماعة من بربر تلك النواحي حتى بلغ عددهم أربعين رجلا، قدموا مدرار على أنفسهم وشرعوا في بناء سجلماسة، ولها اثنا عشر بابا وبساتين ونخل كثير، سجن بها أبو عبد الله الشيعي وسقطت سنة296هـ/909م على يد الدولة العبيدية. ينظر: الحميري، المصدر السابق ص ص 205-306.

5- الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927م، ص 32.

6- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، ليدن، ص ص215-216.

يعرف باسم مراكش[1]، الذي يمتدّ بحدوده إلى تخوم السينغال والنيجر، كل هذه الأقاليم مجتمعة تمثل وحدة طبيعية وتاريخية مشتركة[2].

وقال الناصري صاحب كتاب "الإستقصا" بأن لفظ المغرب كان يطلق على ناحية من الأرض، حدّها من جهة مغرب الشمس البحر المحيط المعروف بالكبير، وهذا حسب عرف أهل المغرب[3]؛ وأما الحدود الجغرافية للمغرب فهي تتسع حتى تشمل شبه الجزيرة الإيبيريا من جبال البرانس إلى المحيط الأطلسي، بما تضم من كور ومدائن؛ ثم ما يلي بلاد الأندلس جنوبا على الشاطئ الإفريقي من مراكش إلى تونس، إلى حدود مصر الغربية، ولاتساع حدوده تمَّ تقسيمه إلى ثلاث أقسام هي:

المغرب الأدنى: ويقصد به إفريقية وهو أول أقاليم المغرب، وأقربه إلى مركز الخلافة في المشرق العربي، وتمتد حدوده من طرابلس حتى بجاية غربا وقاعدته القيروان[4]، وهي قاعدة بلاد إفريقية وأم مدائنها[5].

المغرب الأوسط: وسُمِّي بالأوسط لتوسطه المغربين الأدنى والأقصى؛ وحدوده من بجاية إلى وادي ملوية وجبال تازة في المغرب؛ ويضم معظم بلاد الجريد، وقاعدته تلمسان[6]. ويشمل بلاد الجزائر حاليا، وكانت عاصمته تاهرت في عهد الدولة الرستمية الإباضية[1].

1- **مراكش**: تقع شمال أغمات على بعد اثنى عشر ميلا، بناها يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين في صدر سنة سبعين وأربعمائة، وقيل سنة 459هـ،وكانت دار إمارة لمتونة وقاعدة ملكهم، ثم ملكها عبد المؤمن بن علي بعد انقراض دولة بني تاشفين، وكانت أعظم وأكبر مدن المغرب الأقصى في الدولتين المرابطية و الموحدية. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 541.

2- مصطفى محمد مسعد، انتشار الإسلام في قارة إفريقية – في مصر والسودان وبلاد المغرب وشرقي إفريقية، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ2000م، ص415.

3- أبو العباس أحمد خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب لأقصى، تح وتع: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ص127.

4- **القيروان**: مدينة في بساط من الأرض مديد، في الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة بحر صفاقس وقابس، كان بها سور قديم بناه محمد بن الأشعث بن عقبة بن نافع 144هـ. ينظر: أبو عبيد البكري المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن و أندري فيري، ج1، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص675-676.

5- الحميري، المصدر السابق، ص 486.

6- **تلمسان**: بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تِنمسان، بالنون عوض اللام، من مدن المغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، فأما الحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، وأسموها=

المغرب الأقصى: وعاصمته ترددت بين فاس[2] ومراكش[3]، وحدود هذا الإقليم من واد ملوية إلى مدينة آسفي[4] على ساحل المحيط الأطلسي غربا، ومن أشهر حواضره مدينة فاس عاصمة الدولة الإدريسية، ومراكش عاصمة المرابطين ثم الموحدين[5].

واختلف المؤرخون والرحالة في ضبط المنطقة الجغرافية للمغرب الأوسط، وخاصة الشرقية منها، فمثل واد ملوية الخط الطبيعي من الجهة الغربية كحاجز طبيعي يفصله عن بلاد المغرب الأقصى، في حين يشير ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) إلى المغرب الأوسط، بأنه في الأغلب هو ديار زناتة؛ وقاعدته تلمسان ودار ملكه، ويجاوره من جهة الشرق بلاد صنهاجة من الجزائر والمدية وما يليها إلى بجاية[6].

أما البعض الآخر؛ فيرون أن الحد الشرقي ما هو إلا خط وهمي مطاطي تتحكم فيه الظروف السياسية بالدرجة الأولى، ومبدأه بجاية مرورا بالمسيلة غرب سطيف، والقلعة وصولا إلى واحة ورجلان، وهي تمثل المنطقة الواقعة وراء نهر شلف شرقا، وقد كان لهذا الاضطراب الحاصل أثر بالغ في تاريخ هذا الإقليم، وخاصة أن الحدود في تلك الفترة لم تكن أسلاكا شائكة مثلما هو الحال اليوم،

=تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير، ويسكنها الرعية وهي عاصمة الزيانيين. ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص44.

1- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص10. وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 49.

2- **فاس**: قاعدة المغرب مدينة عظيمة، وهي في الأصل مدينتان فاس القديمة و الجديدة (المحدثة)، كانت دار مملكة بني إدريس العلويين أسسها إدريس الأول سنة 172هـ/789م، عرفت بعدوة القرويين، وفي سنة 193هـ/809م أسس إدريس الثاني(177-213هـ/793-828م) عدوة الأندلسيين، واليها ينسب الفقيه أبو عمران الفاسي. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص 299. الحميري، المصدر السابق، ص ص 434- 435. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس وتراجم، ج1، (د ط)، دار العلم للملايين، بيروت، 1954م، ص 278.

3- عصام الدين عبد الرؤف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، (د ط)، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1984م، ص 12.

4- **آسفي**: مدينة قديمة بناها الافارقة القدماء على شط البحر المحيط، يسكنها جمهور غفير من الناس، وكان بها نحو مائة دار لليهود. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 147.

5- وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 49.

6- ابن خلدون، العبر، ص 1603.

بل حدود افتراضية يحدد معالمها نفوذ الدولة[1]، ولكن بلاد المغرب كلها تعتبر من ناحية الطبيعة والجغرافية؛ وحتى المناخية إقليما واحدا له خصائص ومميزات واحدة، تجعل من الصعب تقسيمه إلى وحدات سياسية متميزة عن بعضها البعض[2].

2- المغرب الأوسط من خلال كتب الجغرافيين:

تضاربت الآراء عند الجغرافيين والكتابات التاريخية في رسم معالم إقليم المغرب الأوسط، ولهذا سنقوم بذكر حدود المغرب الأوسط من خلال كتب الرحالة والجغرافيين، ولم يكن مصطلح المغرب الأوسط خلال القرون الهجرية الأولى، قد ظهر في الكتابات التاريخية أو الجغرافية على حد سواء، والسبب في ذلك راجع إلى أنه لم يكن إقليما مستقلا بذاته، وإنما كان ضمن ما يُسمى بالمغرب الإسلامي، والذي كانت حدوده؛ البلاد الواقعة غرب مصر إلى المحيط الأطلسي كما أسلفنا الذكر[3]؛ وكانت تلمسان وتيهرت وغيرها[4]، ضمن أقاليم بلاد المغرب[5]، إلى أن فتحها عقبة بن نافع الفهري

1- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992م، ص5.

2- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 24.

3- ذكر اليعقوبي(ت284هـ)، تلمسان وقال تقع بالمغرب، وتطرق إلى تاهرت وقال مدينة بأقصى المغرب ولم يذكر لفظ المغرب الأوسط. ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص ص 08-51.

4- ذكر الرقيق القيرواني عند فتح عقبة بن نافع الفهري للمغرب؛ بأنه نزل بتيهرت، ويمكن القول هنا أن تيهرت لم تكن من إفريقية، وكذلك ذكرها الدّباغ فقال لما أراد عقبة بن نافع فتح المغرب نزل بتاهرت، وفحوى الكلام أن لفظ المغرب الأوسط لم يكن قد وجد قبل ق5هـ، ومدنه كانت تابع لبلاد المغرب الكبير. ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: عبد الله العلي الزيدان، عز دين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص44. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تع: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م، ص49.

5- ذكر مدن المغرب الأوسط تحت ما يسميه المغرب، وتطرق إلى الخصائص الجغرافية والطبيعية التي تمتعت بها كل مدينة، كما ذكر المراحل بينها وبين سائر المدن المحاذية لها والطرق الموصلة إليها. ينظر: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996م، ص72- 84.

أيام معاوية بن أبي سفيان، وتوالى عليها عمال الإسلام أمثال أبي المهاجر وغيره، إلى غاية انتشر الخوارج بالمغرب الإسلامي وانقسام أراضيه لدويلات مستقلة فيما بعد[1].

وأول إشارة لمدلول المغرب الأوسط لدى الجغرافيين كان في القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، وقد أورده البكري (تـ487هـ/1094م)، حين ذكر المغرب الأوسط فقال: "وهذه المدينة تلمسان قاعدة الأوسط؛ لها أسواق ومساجد، وهي دار مملكة زناتة"، بعد أن وضح معالم المغرب الواسع الممتد من برقة شرقا إلى طنجة غربا، ثم جزئه إلى ثلاثة مناطق هي: إفريقية وقاعدتها القيروان، وذكر المغرب الأوسط وقاعدته تلمسان، ثم عرَج على المغرب الأقصى؛ الذي جعل حدوده تمتد من تلمسان غربا إلى بحر المحيط (المحيط الأطلسي)[2].

ويتضح لنا من تقسيم البكري (تـ487هـ/1094م)، بأنه اعتمد على المعيار القبلي في تحديد إقليم المغرب الأوسط في هذه الفترة؛ وهي قبيلة زناتة البربرية[3]، لأنها أكبر القبائل البربرية في المغرب ومواطن تواجدها كانت بنواحي تلمسان، وجعل صاحب الاستبصار بجاية قاعدة له[4]، أما تلمسان فقال عنها بأنها قفل المغرب[5].

1- أبو راس الناصري الجزائري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: بوركبة محمد، ج2، (د ط)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م، ص425.

2-أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص76.

3- **زناتة:** وهي أكبر القبائل البربرية وترجع أصولها إلى جان بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضري بن رحيك بن مادغيس بن زحيك بن همر حق بن كراد بن مازيغ بن هريك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام وفيه روايات كثيرة عن زناتة؛ وزناتة شعوب كثيرة منتشرة في إفريقية والمغرب؛ ولها بطون كثيرة، وكانت مواطنها من طرابلس إلى جبل أوراس و الزاب حتى إلى قبلة تلمسان ثم وادي ملويّة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ص ص1800-1805.

4- **بجاية:** مدينة عظيمة على البحر، وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة، أصحاب قلعة أبي طويل، وتعرف بقلعة حماد، وقال حسن الوزان أن تأسيسها يعود للفينيقيين حيث أطلقوا عليها اسم صلدة، ثم احتلّها الرومان وسمّوها صلداي، وبعدها تعرضت للتخريب من طرف الوندال تارة، ومن طرف البربر تارة أخرى إلى أن جاء الناصر الحمادي فجددها سنة 468هـ/1076م، وأطلق عليها اسم الناصرية، ثم سميت بجاية على اسم قبيلة كانت تقطن حولها. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 50. ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 128.

5- الإدريسي، المصدر السابق، ص 56.

وفي النصف الأول من القرن السادس ذكر الإدريسي(تـ560هـ/1164م) المغرب الأوسط في الإقليم الثالث من الجزء الأول حين قسم العالم[1]، حيث قال: "وفيه من بلاد الغرب الأوسط، تنس وبرشك[2]، وجزائر بني مزغنا[3]، وطبنة "،كما ذكر في موضع آخر من كتابه، وأثناء حديثه عن مدينة بجاية التي جعلها قاعدة المغرب الأوسط فقال[4]: "وبجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد"[5]، "وبجاية تنسب لها دولة بني حماد والقلعة التي كانت في وقتها؛ وقبل عمارة بجاية دار ملك لبني حماد"[6] وانطلاقا من إشارته للدولة الحمادية نلاحظ أنه استعمل المعيار السياسي في تحديده لمعالم المغرب الأوسط.

وذكر الإدريسي(تـ560هـ/1164م) تلمسان فقال:" ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب؛ وهي على رصيف للداخل والخارج منه لا بد منها والاجتياز بها على كل حال"[7]، وأيده في ذلك ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م) في قوله بأن بجاية هي قاعدة الغرب الأوسط[8].

يتضح من طرح الإدريسي (تـ560هـ/1164م)، بأنه انتهاج المعيار السياسي في رسم معالم المغرب الأوسط، وتحدث عنه كإقليم خاضع لسلطة الحماديين (395هـ/547هـ/1004م-1152م)

1- الإدريسي، المصدر السابق، ص 11.

2- **برشك**: مدينة ساحلية صغيرة على تل عليها سور من التراب، وهي على ضفة البحر، منها إلى تنس ستة وثلاثون ميلا، ولشرشال عشرون ميلا، ويرجع تأسيسها إلى الفينيقيين ثم الرومان، وتم فتحها من طرف المسلمين، تميزت بخصوبة أراضيها وغناها بالعسل والماشية، تعرضت لهجوم من طرف ملك النورماندي روجا الثاني ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 88.

3- **جزائر بني مزغنان**: مدينة عليها سور في البحر، فيها أسواق كثيرة ولها عيون ولها بادية كبيرة وجبال، ويسكنها قبائل من البربر أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم، ولهم جزيرة بمحاذات البحر، كانوا يفرون إليها عندما يداهمهم العدو. ينظر: ابن حوقل، المسالك والممالك، مطبعة ليدن، 1872م، ص 52.

4- البكري، المصدر السابق،ج1، ص124.

5- الإدريسي، المصدر السابق، مج،1 ص 160.

6- المصدر نفسه، مج1، ص161.

7- ثم استرسل الإدريسي في ذكر مدن المغرب الأوسط، فذكر قسنطينة وطبنة ونقاوس ومسيلة وتنس ودلس وغيرها. ينظر: المصدر نفسه، مج1، ص 250-252.

8- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح، إسماعيل العربي، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص142.

والممتدة حدوده من بونة شرقا إلى سويسرات غربا-إحدى مدن معسكر حاليا —ومن الساحل المتوسطي شمالا إلى ورجلان جنوبا، وفيما يخص المناطق الواقعة غرب سويسرات وجنوب الصحراء، فكلها مناطق كانت تحت نفوذ دولة المرابطين (476هـ-539هـ/1083م-1144م)[1].

أما صاحب كتاب الاستبصار(ق6هـ/12م)، فقال:" وحد المغرب الأوسط من وادي مجمع، وهو نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان، وبلاد تازة من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر على ساحل البلاد التي ذكرناها في البلاد الساحلية، مثل وهران وميلة"، وعن تلمسان قال:" وفيه مدن كثيرة، وقاعدته تلمسان"[2].

أما ياقوت الحموي(تـ626هـ/1228م)والذي نقل عن البكري وجعل من بجاية حدًا فاصلا بين إفريقية والمغرب الأقصى، وأنها قاعدة ملك بني حماد، وقد أدرج العديد من مدن المغرب الأوسط مثل تلمسان[3]وبونة، وقال بأنهما في إقليم إفريقية[4].

وهذا ما أكده ابن خلدون (تـ808هـ/1406م) بقوله:" إنّ المغرب الأوسط هو في الأغلب ديار زناتة، وقاعدته لهذا العهد تلمسان؛ وهي دار ملكهم"، ويتضح لنا ومن خلال ما قاله ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) أن قاعدة المغرب الأوسط لم تكن ثابتة؛ بقوله في هذا العهد ويقصد به القرن (7هـ/13م) [5].

1- محمد أمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، (د ط)، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 1428هـ-2007م، ص61.

2- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص176.

3- تلمسان قال أنها مدينتان متجاورتان تقع بالمغرب؛ إحداهما قديمة والأخرى حديثة، فأما الحديثة اختطّها الملثّمون ملوك المغرب، اسمها تافرزت، يسكنها السلطان وأصحابه وأصناف من الناس، وأقادير يسكنها الرعية. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص 50-51-403.

4- ذكر ياقوت الحموي أن بونة بالضم ثم السكون: مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغَنَّاي، وهي مدينة حصينة مشرفة على البحر، وعند ذكره لمدينة الجزائر قال أنها مدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، بينها وبين بجاية أربعة أيام، وكانت من خواص بلاد بني حمّاد بن زيري بن مناد الصنهاجي، وتعرف بجزائر بني مزغناي وقد ذكرها البكري وقال بأن بها مساجد وحمامات وتوجد بها الزرع والثمار، ويطل عليها جبل زغوغ كثير البرد والثلج. ينظر: البكري، المصدر السابق،ج2، ص234. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 607.

5- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 102.

ولم تكن حدود المغرب الأوسط حتى القرن السابع الهجري الموافق للثالث عشر الميلادي، واضحة المعالم بحكم الأوضاع السياسية التي كان يعيشها هذا الإقليم، وهي تمثل فترة حكم الدولة الزيانية.

أما الحميري(ق8هـ/14م)، فقد قسم المغرب إلى ثلاث أقسام، وهي إفريقية والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى، غير أنه أورد بعض مدن المغرب الأوسط للأقاليم الأخرى، فبونة مثلا جعلها تابعة لإفريقية، أما عن تلمسان فقال بأنها قاعدة المغرب الأوسط، وعند تطرقه لبجاية ذكر بأنها قاعدة المغرب الأوسط[1].

وجعل حسن الوزان (ت بعد957هـ/1550م)،كل من مملكة بجاية وتلمسان؛ كأقاليم مستقلة، وطرحه هذا جاء وفق المعيار السياسي[2]، أما مرمول كربخال، فقد وضع تقسيما لبلاد المغرب وضمّ أربعة ممالك كبيرة كل مملكة تحوي أقاليم ومدن، وأولها من أقصى الشرق "مملكة مراكش"، ثم "مملكة فاس"، وكلاهما في موريطانيا الطنجية، وبعدها في أقصى جهة الغرب "مملكة تلمسان" ما تعرف بموريطانيا القيصرية، وتأتي بعدها من جهة الشرق" مملكة تونس" بلاد إفريقية، وتضم مملكة تلمسان كل من المدن التالية: تلمسان، تنس، والجزائر، وإقليم بجاية؛ الذي قال عنه أن البعض يجعل بعض أجزائه في عداد "مملكة تونس" لخضوعه فترة من الزمان لملوك تونس وأمراء القيروان لمملكة، حيث ضم إقليم قسنطينة، إقليم طرابلس الغرب، وإقليم الزاب لمملكة تونس[3].

والقلقشندي (تـ821هـ/1418م) الذي نقل عن البكري والعامري وأبي سعيد، حيث ذكر بأن "مملكة تونس" يحدها من الغرب جزائر بني مزغنة، ومن الجنوب بلاد الجريد، أما مملكة تلمسان

1- قال الحميري:" تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، وحدّ المغرب الأوسط من واد يسمى "مجمع" وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من المغرب، وهي دار مملكة زناتة؛ وأول بلاد تازا حدّ ما بين المغرب الأوسط، وبلاد المغرب في الطول وفي العرض البلاد الساحلية مثل: وهران ومليلة وغيرهما. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص 128-135.

2- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 51.

3- مارمول كربخال، المرجع السابق،ج1، ص27.

فحدها الشرقي إفريقية[1]، وعند ذكره بونة، قال بأنها آخر سلطنة بجاية من الشرق، وأنها أول سلطنة أفريقية من الغرب، وضمّها لمدن المغرب الأوسط، ويضيف قسنطينة، وسطيف، تاهرت[2].

أما ابن عذارى الذي نقل عن البكري حينما عرّج على تلمسان فقال : "وذُكِر أنَّ تلمسان قاعدة المغرب الأوسط"[3].

يعتبر المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف الرحّالة والجغرافيون في ضبط حدوده، وخصوصا الحدود الشرقية، التي كانت تعد جدلية قائمة بحد ذاتها لعدم وجود حدود أو حواجز جغرافية، على عكس الحدود الغربية التي كان يفصل بينه وبين المغرب الأقصى نهر ملوية كحاجز طبيعي؛ وتقع بلاد المغرب الأوسط شرق المغرب الأقصى قاعدتها تلمسان، وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين[4] ووهران والجزائر، ونجد في شرقه بلاد بجاية ثم قسنطينة، وفي جنوبه مدينة أشير[5]، ثم المسيلة وإقليم الزاب وقاعدته بسكرة تحت جبل الأوراس المتصل بدرنة[6].

وبذلك فإن أي باحث يتطرق لموضوع يخص المغرب الأوسط، يجد نفسه أمام إشكالية ضبط حدوده الجغرافية على نسق محدد وواضح المعالم طوال الفترة الوسيطية، وذلك راجع إلى عدة اعتبارات وأسباب، فكما هو معروف أن مفهوم العصر الوسيط؛ لا زال محفوفا بالكثير من التحفظات التي

1- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992م، ص ص 99-107.

2- المصدر نفسه، ج5، ص ص 100-109.

3- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح و مرا: ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال ، ج1، ط3، بيروت لبنان، دار الثقافة، 1989م، ص 200.

4- **هنين**: مدينة صغيرة تقع على شاطئ البحر المتوسط، شمال تلمسان كان عليها سور متقن؛ وبها أسواق عديدة ومتنوعة بينها وبين ندرومة الجبل المعروف بتاجرة؛ ورغم صغر حجمها إلا أن مرساها، كان من أهم مراسي المغرب الأوسط في عهد بني زيان .ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 597.

5- **أشير**: بناها آل زيري بن مناد وهي مدينة حصينة تأسست سنة 324هـ/936م على يد زيري بن مناد الصنهاجي، بها منابع الماء، وأسواقها عامرة ومزارع، تعرضت للتخريب من طرف يوسف بن حماد بن زيري، سنة 440هـ . البكري، المصدر السابق، ج2، ص 241. ينظر: العربي إسماعيل، المدن المغربية، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت)، ص156.

6- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 35.

تطال فلسفته الزمانية والمكانية ومضمونه التاريخي[1]، كما أنه لم تكن هناك حدود ومعالم جغرافية تفصل إقليم عن أخر، كما هو الحال في الوقت الراهن، ومصطلح المغرب الأوسط ظهر ابتداء من القرن 5هـ/11م فقط، وجاء هذا المصطلح بغرض التفريق بين أقاليم المغرب الإسلامي الواسعة، من حيث القرب والبعد عن مركز الخلافة بالمشرق.

وقد اعتبرت بلاد المغرب الإسلامي منذ الحقبة الوسيطة، فترة قيام دويلات مستقلة لكل واحدة منها مذهبها وكيانها، وهذا ما جعلها تتأثر بالأحداث السياسية والعسكرية، وما نجم عنها من صراعات وتفكك لوحدة المغرب الإسلامي برمته؛ وبالتالي شهدت كل دويلة من تلك الدويلات المتناحرة فيما بينها تقلص وتمدد في حدودها، بحكم قوة أو ضعف السلطة المركزية الحاكمة، ويعتبر هذا الأمر من الأسباب الجوهرة في رسم وتحديد معالم أي إقليم، كما هو الحال بالنسبة؛ لإقليم المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط؛ إذ اعتبرت أراضيه طوال هذه الفترة محط صراع بين الدويلات التي قامت في الإقليمين المجاورين، ونقصد بهما المغرب الأدنى في الجهة الشرقية، والمغرب الأقصى في الجهة الغربية، بالإضافة إلى عوامل القوة والضعف[2].

ومنه فإن مصطلح المغرب الأوسط، بدأت حدوده الجغرافية من مجرى وادي الشلف؛ حتى مجرى واد ملوية؛ والذي يمثل لنا اليوم القطر الجزائري المعلوم بحدوده بين تونس وليبيا شرقا والمغرب الأقصى غربا، ومنه فإن مبدأه بجاية شرقا حتى واد ملوية غربا؛ الذي يعد الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى، ومن الجهة الشمالية البحر المتوسط وفي الجنوب الصحراء[3]، مع اختلاف بسيط في الحدود الشرقية والغربية، وهذا التحديد لا يلغي انتماء المغرب الأوسط إلى بلاد المغرب الإسلامي،

1- رشيد اليملولي، الناشر محمد أبيهي، (إشكالية التحقيب: العصر الوسيط أنموذجا)، مجلة ليكسوس، العدد11، مارس 2017م، ص35.

2- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الرّاشدي، الثغر الجماني في ابتسام ثغر وهران ، تح: المهدي البوعبدلي واعتنى به: عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 13.

3- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ج1، دار المعارف، الإسكندرية، 1993م، ص 69.

حيث أن المغرب الأوسط بحدوده الجغرافية ومقوماته الحضارية، يعتبر جزء لا يتجزأ من المغرب الإسلامي.

ثالثا: التطور السياسي للمغرب الأوسط:

شهدت بلاد المغرب عموما محطات سياسية كبرى، عبر تاريخه الطويل، واعتبر الفتح الإسلامي لمختلف أقاليمه حدثا تاريخيا بارزا، حيث ساهمت الفتوحات الإسلامية في ضم المغرب الإسلامي إلى العالم الإسلامي الكبير.

1- المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى عصر الولاة:

يعد الثلث الأخير من القرن الأول الهجري الموافق للسادس الميلادي، مرحلة لبداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وهو من الأحداث الكبرى والخالدة في تاريخ الإسلام، لما ترتب عليه من نتائج حاسمة غيرت مجرى تاريخ البلاد، ورسمت حدود معالمه وهويته، وذلك من خلال انتشار الإسلام في ربوعه، وتعريب سكانه؛ نتيجة اختلاط العرب مع البربر، وبهذا أصبح إقليم المغرب جزءا من العالم الإسلامي، فبعد فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة (20هـ 21هـ/640-641م)، ثم فتح برقة وطرابلس سنة 23هـ لتأمين حدود مصر الغربية من خطر الروم أو البيزنطيين، الذين كانوا يحكمون المغرب الأدنى[1]؛ ثم واصل المسلمون فتوحاتهم بعد تولي عثمان بن عفان الخلافة وعزله لعمرو بن العاص، قام بتولية عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة (25هـ/646م)، أين واصل هذا الأخير عملية الفتح، ففتحت على يده إفريقية في معركة سبيطلة[2] التي انتهت بهزيمة الجيش البيزنطي، وقتل قائدهم

1- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص36.

2- **سبيطلة**: هي مدينة قمودة، تقع على بعد سبعين ميلا من القيروان، وكانت مدينة لجرجير التي دخلها المسلمون بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح في صدر الإسلام وقعت بها معركة بين المسلمين وجيش جرجير، وانتهت بمقتله على يد عبد الله بن الزبير. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 302. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، المطبعة الدولية التونسية، تونس، 1986م، ص 23.

جرجير سنة 28هـ/648م، وتوقفت الفتوحات الإسلامية بسبب الفتنة الكبرى إلى غاية 45هـ/665م، أين استتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان[1].

ولما آلت الخلافة إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، تذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم، عن فتح إفريقية؛ فكلف عقبة بن عامر[2]، وكان أول نزول له بالقيروان[3]، بعدها جاءت حملة عقبة بن نافع الفهري الأولى سنة (50-55هـ)[4]، وتسمى فترته بالفتح المنظم لبلاد المغرب باختطاطه للقيروان كمعسكر لجيوش المسلمين وذلك سنة50هـ/670م[5].

وتوقفت حملته ليواصل بعده أبو المهاجر دينار(55هـ -62هـ)، الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب حيث وصل إلى تلمسان بالمغرب الأوسط[6]، وانتهج أسلوب الرفق واللين، لاستمالة البربر، وكان له ذلك أين كللت سياسته بالنجاح، إذ دخل عدد كبير منهم للإسلام[7]، وعلى رأسهم قائدهم كسيلة[8].

1- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م، ص 121.

2- **عقبة بن نافع الفهري**: ولد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يرو عنه شيئا وكان رجلا صالحا مستجاب الدعاء، قتل عقبة وقبره بإقليم الزاب، دخل إفريقية ثلاث مرات الأولى سنة 41هـ وقيل 46 في زمن معاوية بن أبي سفيان، والثانية سنة 50هـ،وفيها اختط القيروان، وثالثة 61 وتوفي سنة 63هـ، في خلافة يزيد ابن معاوية، حيث كان حريصا على الجهاد، ووصل إلى سوس المغرب وبلاد السودان، وفتح سائر إفريقية وودان وعامة بلاد البربر. ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ص 167-166.

3-**القيروان**: سميت القيروان قيروانا لأن العرب أقرت رحلها فيها، لأن جيش عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حلوا بأرض إفريقية قال الجند لعقبة بن عامر رضى الله عنه، بأن يختار لهم مكانا يكون مأوى لهم، وكان ذلك الموضع هو القيروان؛ فجعلوها معسكرا لهم. ينظر: أبو محمد عبد الله بن عمر الواقدي، فتوح إفريقية، نشر: عبد الرحمان الصّنادلي، ط1، دار الكتب الوطنية، تونس، 1315هـ، ص 03.

4- قال ابن خلدون بأن معاوية بن أبي سفيان هو من ولى عقبة بن نافع على إفريقية، فبنى هذا الأخير القيروان سنة 45هـ، ثم عُزل من طرف مسلم بن مخلد، وولي مكانه أبا المهاجر دينار سنة55هـ، ليعيد تولية عقبة بن نافع من جديد على إفريقية سنة 62هـ، من طرف يزيد بن معاوية بعد تسلمه الخلافة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ص 1018.

5- محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب جدلية السلطة والمجتمع والمجال(خلال القرنين الأول والثاني الهجري/ السابع والثامن الميلادي)، ط1، مجمع الأطرش، تونس، 2022م، ص 203. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص 177.

6- ابن خلدون، العبر، ج4، ص 237.

7- عبد الله العروي، المرجع السابق، ج1، ص 123.

8- قال محمد علي دبوز بأن كسيلة ابن لمزم الأوربي قوي الشخصية غيور على وطنه، وكان مهابا من البربر يحبونه ويبجلونه وكان نصرانيا متمسكا بدينه، وقد استماله أبو المهاجر دينار؛ عندما أراد فتح المغربين الأوسط والأقصى، واستطاع أن يكسب ودّه وود=

وبعد تولي يزيد بن معاوية (60-64هـ/680-683م)الخلافة، أرسل عقبة بن نافع ثانية لولاية إفريقية سنة 62هـ-63هـ[1]، والذي انتهج أسلوب الشدة والقسوة في معاملة زعيم البربر كسيلة البربري، مما دفعت بهذا الأخير إلى التعاون مع الروم، وهاجم عقبة في منطقة تهودة [2]؛ فقطع عليه طريق الرجعة، أين استشهد بها واجبر المسلمين على إخلاء إفريقية[3].

وفي سنة 69-71هـ كانت حملة زهير بن قيس البلوي، التي انتهت باستشهاده في اشتباك مع البيزنطيين سنة71هـ، فبعث الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م)، حسان بن النعمان في حملة سنة76-77هـ على جيش قوامه أربعين ألف محارب[4]؛ للقضاء على البيزنطيين من إفريقية[5]، وفي هذه الأثناء، برزت الكاهنة[6]من قبيلة جراوة ملوك البتر[7]، فتجمع حولها البربر، والتقى جيشان في جبل الأوراس، وكان ذلك سنة 86هـ، أين قضي على الكاهنة وتم فتح الأوراس، وتمت السيطرة على بلاد الزاب[8]، اعتبر المؤرخون مقاومة الكاهنة من الأسباب الرئيسية؛ لعرقلة الفتح

=البربر التابعين له. ينظر: محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج3، (د ط)، مؤسسة تاوالت الثقافية للطباعة، طرابلس، ليبيا، 2010م، ص ص61 -63.

1- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 44.

2- **تهودة**: منطقة ببلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وهي مدينة حصينة مبنية بالحجارة ولها سور عظيم وبها نهر كبير يصب إليها من جبل أوراس، وبها قبر عقبة بن نافع والذي يبعد عنها بمرحلة، وقد استشهد فيها عدد كبير من أصحابه في معركة دارت بينه وبين كسيلة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص ص 142- 143.ابن خلدون، العبر، ج4، ص 238.

3- وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 69.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، مرا وتص: محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987م، ص 137.

5- سوادى عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2004م، ص48.

6- **الكاهنة**: هي دهيا بنت تابنة بن تيفان بن باورا بن مصكسيري بن وصيلا بن جراو، كان لها ثلاثة أولاد ورثوا رياسة قومهم عن أسلافهم، وتربوا في حجرها، يقال بأنها استبدت على قومها ويقال أنها كانت تمارس الكهانة، وتدعي معرفة الغيب وعواقب الأمور، وقد حكمت قومها خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ص1804.

7- المصدر نفسه، ص 1607.

8- الواقدي، المصدر السابق، ص ص 155-156.

الإسلامي لبلاد المغرب، وخلص بعدها المغرب الإسلامي للمسلمين، ودخل عدد كبير من البربر إلى الإسلام[1].

اعتبر القرن 3هـ/9م مرحلة الدويلات المستقلة؛ فبضعف السلطة العباسيين المركزية، انقسمت أراضي المغرب الإسلامي إلى أربع دول وهي: دولة الأغالبة في إفريقية[2] والدولة الإدريسية بمنطقة فاس، والدولة المدرارية في سجلماسة[3] والدولة الرستمية في المغرب الأوسط[4].

2- المغرب الأوسط من ق2 إلى ق7هـ/8 إلى 13م:

شهد المغرب الإسلامي أحداث سياسية كبرى، كان لها انعكاسات على جميع مجالات الحياة، فمنذ نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، هذه الفترة التي تعد المنعرج الحاسم في تاريخ الدولة الإسلامية بشقيها الشرقي والغربي، أين كان الخوارج بالمشرق مضطهدين من طرف الخلافة الأموية، التي كان ولاتها بالمرصاد محاولين قطع شأفتهم، مضيقين الخناق عليهم، فاختاروا الفرار والبحث عن مكان بعيد عن أعينهم، وما كان لهم سوى اللجوء إلى أرض المغرب الإسلامي، الذي لم يكن بمنأى عن تلك الأحداث الصاخبة، والذي مثّل لهم الأرض الخصبة لإعادة بعث دعواتهم.

1- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 44

2- **الدولة الأغلبية** (184هـ-296هـ/800م-908م): قامت بالمغرب الأدنى، وهي نسبةً لمؤسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، والذي عينه العباسيون كحاكم لها تحت اسم الخلافة العباسية بالمشرق، وكانت عاصمتها الأولى مدينة القيروان، ثم رقادة التي لا تبعد عن العاصمة الأولى إلا بأربعة أميال، وسقطت على يد العبيدين سنة 296هـ. ينظر: العبادي أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة، 2006م، ص 225.

3- **دولة بنو مدرار**: إمارة قبلية ذات طابع بدوي، كانت تسمى بدولة بني واسول ونسبة إلى أحد أحفاد بني مدرار، لتأسس بعدها دولة بنو مدرار سنة (140-296هـ/757- 908م) وحاضرته سجلماسة، من فئات من قبيلة مكناسة البترية، وأنصّبوا عيسى بن يزيد بن سعد المعروف بالأسود، لكن سرعان ما قتلوه، وتداول على حكمها العديد من الإمامة بعده إلى أن سقطت على يد الفاطميين سنة 296هـ/ 908م. ينظر: بوزيان الدراجي، دولة الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص 75-82.

4- عبد الله العروي، المرجع السابق، ج1، ص 149.

أ- تأسيس الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط (160هـ -777م/-296هـ908م):

يعتبر العقد الثاني من القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الثالث الهجري، مرحلة هيمنة الخوارج[1]على بلاد المغرب الإسلامي، وهي فترة نشوء دويلات مستقلة في تسيير شؤونها عن مركز الخلافة بالمشرق، فبحلول سنة 140هـ بايع الإباضيين أبو الخطاب عبد الأعلى بن السَّمْح المعَافَري[2]، إماما لهم بطرابلس الغرب، غير أنه قتل في احدى مواجهاته للجيش العباسي، فتفرق شتاتهم في أنحاء البلاد .

وبعد أن وصل خبر وفاته إلى مسامع عبد الرحمن بن رستم(161-171هـ/779-787م)[3]، الذي كان والي على القيروان، فرّ إلى الغرب، مع من تبقى معه من الجيش وأصحابه الإباضيين، الذين عزموا على تأسيس مدينة تجمعهم[4]، فوقع اختيارهم على تاهرت لمناعتها وحصانتها، واختطوا بها مسجدا، فراح الناس يعمرونها بالبنيان والمساكن، لتصبح حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي، ومركزا للإشعاع الثقافي والعلمي[5]، وجعلوها عاصمة لدولة إباضية[1] التي دامت قرن ونصف من الزمن[2].

1- **الخوارج:** يطلق لفظ الخوارج على الذين خرجوا عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأول من خرج عنه، جماعة كانوا معه في معركة صفين سنة 36هـ، أمثال الأشعث بن قيس الكندي. ينظر: محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تص و تع: أحمد فهمي محمد، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م، ص 106.

2- **عبد الأعلى بن السمح بن عبيد المعافري الحميري اليمني أبو الخطاب**(ت144هـ/761م) من علماء اليمن في القرن الثاني الهجري، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة، وهناك التقى مع طلبة المغرب سنة 135هـ، لينتقل معهم لبلاد المغرب بعد خمس سنوات وكان ذلك سنة 140هـ، توفي في معركة تاورغا سنة 144هـ على يد جيش العباسيين بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي. ينظر: محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع نفسه، ج2، ص242.

3- **عبد الرحمن ابن رستم:** هو عبد الرحمن بن رستم بن برهام بهرام بن سام بن كسرى أنوشروان المالك الفارسي، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أول من ملك تاهرت ودامت فترة حكمه سبعة أعوام، وتوفي سنة ثمانية وستين ومئة. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، مج1، ص207. أبو الربيع سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، 1355هـ/1936م، ص36.الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 206.

4- ابن عذاري، المصدر السابق، مج1، ص 207.

5- توفرت جملة من الشروط التي أهلت تاهرت بأن تكون عاصمة الرستميين حيث قال ابن عذارى بأنها كانت تقع على هضبة تحيط بها ثلاثة أنهار، منها وادي مينة، وفي سفح جبل جزول المطل على تلول منداس، تحيط بها بساتين من كل أنواع الثمار، كثيرة الأشجار؛ شديدة البرد؛ غزيرة الأمطار. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، مج1، ص ص 207- 209.= Pascal=

واتفق المصادر التاريخية على اختلاف مشاربها؛ على أن الدولة الرستمية أول دولة مستقلة قامت بالمغرب الإسلامي سنة (160- 296هـ/777-909م)[3]، على يد عبد الرحمن بن رستم(161-171هـ/779-787م)الذي تمت مبايعته على الإمامة[4]سنة 161هـ/779م[5]، بموافق أهل الحل والعقد وإجماع كافة مشايخ القبائل، فقد كان من حملة العلم الخمسة[6]، وخليفة أبي الخطاب[7]، وقد شهدت تيهرت في عهده نشاطا فكريا وتطور حضاري منقطع النظير، حتى لقبت بالبصرة الصغيرة[8].

كما تمكن من إخماد الثورات الداخلية التي شهدتها فترة توليه الإمامة؛ لتصبح بذلك تيهرت حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي، ومركز للإشعاع الثقافي نافست به القيروان، وبقدوم العبيدين،

Buresi ; Mehdi Gouirgate ; Histoire Du Maghreb Medieval (Xi-Xv Siecle) ; Armand Colin ; = Paris ; 2013 ; p130.

1- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص170-171.

2- حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص72.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، ص207.

4- **الإمامة:** يرى العلماء والفقهاء أن أولى الناس بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، الخلفاء الراشدين، لأنهم أفضل وأحق من غيرهم ويرتبون الخلافة، فتكون خلافة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عثمان، وبعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر: محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ط4، مكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، السعودية، 1422هـ، ص ص29-30.

5- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، تح: إبراهيم طلّاي، مطبعة قسنطينة، الجزائر، 1974م، ص40. أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1982م، ص 19.

6- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرين، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م، ص 151.

7- الباروني، المرجع السابق، ص35.

8- موريس لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر: عبد الرحمن حميدة، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1419هـ 1982م، ص85-86.

انقضت دولة بني رستم بتيهرت سنة 296هـ/908م، بعد حكم دام 130سنة[1]، بحيث مثلت أنموذجا حيّا للنظرية الخلدونية في أفول الدول وزوالها[2].

وظل المغرب الأوسط تحت حكم الفاطميين، إلى أن اتجهت أنظارهم إلى فتح مصر، وتولي المعز لدين الله الفاطمي سنة341هـ/953م، واستخلف على بلاد المغرب بلكين بن زيري سنة (62هـ/ 973م)، هذه المرحلة الانتقالية التي مهدت لقيام دولة زيرية بربرية ببلاد المغرب الإسلامي[3].

ب- المغرب الأوسط في العهد الدولة الحمادية:

فاعتقد الفاطميون بأنهم أحق بالخلافة من غيرهم، وأن لهم القدرة في تحقيق حلمهم وضم العالم الإسلامي تحت رايتهم، فاعتبروا تأسيس دولتهم بالمغرب مؤشرا لبلوغ غايتهم، وما إن استقرت أقدامهم بأرض المغرب بدى لهم فتح مصر؛ الذي كان يمثل هاجسهم الأول ومنها السيطرة على المشرق[4]، وقد كان لهم ذلك في فترة خليفتهم الرابع المعز لدين الله الفاطمي(341-365هـ/953-975م)[5]، وكان لزاما على الخليفة الفاطمي بأن يختار خليفة له، يحكم بلاد المغرب من بعده ويسوس البلاد تحت راية الفاطميين، فوقع اختياره على زيري بن مناد الصنهاجي (324-360هـ/935-971م)، الذي جعله وريثا للفاطميين على المغرب عدا طرابلس؛ ودخل مع زناتة في معارك عدة المرات حيث ذاع صيته بين القبائل[6].

1- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا، من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تق: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص 324.

2- بشير بلاح، التدافعات الثقافية في الاسطوغرافيا الجزائرية 1998-1962جذورها والعوامل المؤثرة فيها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2017م، ص265-281.

3- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة زبانة، الجزائر، 1979م، ص 152.

4- حسن خضيري أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب(362-567هـ/973-1171م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د ت)، ص ص 77-78.

5- **المعز لدين الله الفاطمي**: هو معز بن تميم ولد بالمهدية يوم الاثنين 319هـ، ولي الحكم وعمره 22سنة. ينظر: أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد، المصدر السابق، ص83.

6- ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص 37.

وبعد سلسلة من المعارك والمواجهات مع منافسيه، قتل زيري بن مناد، وخلفه ابنه بلكين (361-373هـ/972-984م)[1]الذي أمدّه الخليفة المعز الفاطمي لدين الله الفاطمي(341-365هـ/953-975م)بالأموال والعساكر، وتمكن من فتح المغربين الأوسط والأقصى، ووصل إلى غاية سجلماسة، وطرد زناتة إلى ما وراء واد ملوية من المغرب الأقصى[2]، فاقطع له الخليفة الفاطمي المسيلة وأعمالها، وعينه كخليفة على إفريقية والمغرب، بعد تمكن الجيش الفاطمي من فتح مصر وكناه بأبي الفتوح ولقبه بسيف الدولة[3].

وبعد فترة من الزمن انقسمت الدولة الصنهاجية في عهد باديس بن المنصور بن بلكين، في أواخر القرن الرابع الهجري إلى دولتين الدولة الزيرية في إفريقية، والدولة الحمادية بالمغرب الأوسط، بقيادة حماد بن بلكين بن زيري بن مناد(398-547هـ/1009-1152م)، الذي كان على أشير، في حياة أخيه المنصور بن بلكين، وعند وفاة هذا الأخير سنة (386هـ/ 996م)، تولى بعده باديس بن بلكين بن زيري (387-406هـ/997-1016م) الذي كان عمره اثنى عشرة سنة، وهو من العوامل التي دفعت حماد إلى الانفصال، واتفق معه على بقائه على أشير مقابل قتال أعمام باديس وتم ذلك سنة (389هـ/998م)، وظل الصلح قائما إلى أن هاجمت زناتة باديس سنة (395هـ/1004م)[4].

1- **بلكين**: هو بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، ويسمى أيضا أبو الفتوح يوسف لكن بلكين أشهر، وهو جدّ باديس، استخلفه المعز الفاطمي عندما توجه لمصر، سنة 361هـ، توفي سنة 373، بموضع يقال له، واركلان مجاورة لإفريقية بعلة القولنج، وقيل بثرة خرجت في يده فمات بسببها. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج1، تح: إحسان= =عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ص286. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980م، ص 46.

2- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 38.

3- أبو عبيد محمد بن علي بن حماد، المصدر السابق، ص 92.

4- رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80-362هـ/699-973م)، (مذكرة ماجستير منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006م، ص 34.

ثم سير لهم حماد بعد أن اشترط عليه أن يعقد له على ولاية أشير والمغرب الأوسط، وكل بلد يقوم بفتحه، واضطر باديس إلى قبول الشروط في ظل الوضع الراهن، فقاتل حماد زناتة، وقام ببناء مدينة القلعة التي تنسب إليه قلعة بني حماد بجبل كتامة سنة 398هـ/1007م[1].

وفي هذه الأثناء أعلن استقلاله، ونشبت الحرب بينهما إلى غاية ودامت إلى غاية وفاة باديس سنة 406هـ/ 1015م، ثم المعز بن باديس حتى سنة409هـ/1017م، حينها جنح حماد للصلح القائم على أن يحتفظ هو بالمسيلة، طبنة، الزاب، أشير، تاهرت وما يفتحه من المغرب، ويحتفظوا آل منصور بن بلكين بالقيروان وإفريقية[2].

وخلال فترة حكم المعز بن باديس (406-453هـ/1015-1061م) الذي خطب على منابره للقائم بأمر الله العباسي (422-467هـ/1031-1075م)، واعتنق مذهب السنة وقطع خطبة المستنصر العلوي، وبذلك تخلى عن التشيع، غير أن هذه القطيعة دفع ثمنها غاليا، حيث بعث الفاطميون بني هلال وبني سليم سنة 444هـ، الذي سبب اضطرابات مست جميع جوانب الحياة[3].

وقد عرف المغرب الأوسط أهم حدث وهو تأسيس قلعة بني حماد، التي عرفت أوج ازدهارها في عهد الناصر بن علناس (457م-1065م)[4]، وممن زارها الإمام محمد بن تومرت الأب الروحي لدولة الموحدين(541-668هـ/1121-1269م) فيما بعد، إذ توجه رفقة مجموعة من رفاقه إلى

1- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1969م، ص 205.

2- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر 1997م، ص ص227-229.

3- محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في المغرب، دراسة تاريخية حضارية، ط1، دار العالم العربي، القاهرة،2007م، ص ص 122-125.

4- لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب إعمال الأعلام ، تح وتع: أحمد مختار العيادي ومحمد إبراهيم الكتاني، (د ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص 94

قسنطينة ثم دخلوا بجاية، وكان بها يومئذ العزيز بالله منصور بن نصر بن علناس(ت518هـ/ 1123م)[1].

ونزل محمد ابن تومرت بمسجد الريحانة وشرع في تعليم الناس، فوفد عليه طلبة العلم والفقهاء[2]، وقد طلب منه العزيز بالله ترك بجاية لتشدده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فخرج منا قاصدا المغرب[3]، وبقيت الدولة الحمادية إلى غاية دخول الموحدين للمغرب الأوسط[4].

ج- في ظل دولة المرابطين والموحدين:

سعى المرابطون إلى إخضاع المغرب الإسلامي الكبير، تحت رايتهم بعد أن أصبحت فاس تحت سلطتهم، فتوجهت أنظارهم صوب مدن الشمال، وواصلوا سيرهم إلى الجهة الشرقية حتى وصلوا تلمسان سنة 468هـ[5]، ولم تمض سنة حتى قام يوسف بن تاشفين بالتوغل في المغرب الأوسط وقضى على بني خزر بتلمسان واختط مدينة تاقرارت 472هـ/ 1070م، ومنها توجه إلى وهران وجبال الونشريس[6]، وقد دخل المرابطون في صراعات وحروب مع الحماديين، لزعامة المغرب الأوسط، وبعدها وأصبحت أعمال الغرب الجزائري كلها بيد المرابطين[7]، ومحاذية لمملكة بني حماد، وتزامن ذلك مع

1- ابن خلدون، العبر، ج6، ص302.

2- أبو بكر بن علي الصنهاجي البيدق، أخبار المهدي ابن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 13.

3- البيدق، المصدر السابق، ص 13.

4- رضا بن النية، المرجع السابق، ص 34.

5- قال ابن عذارى أن يوسف ابن تاشفين جهز جيشا ضخما، وقدّم عليه ابن عمه مزدلي اللمتوني، وبعثه إلى تلمسان سنة ثمان وستين وأربعمائة، وكان أميرها في ذلك الوقت العباس بن يحي أمير زناتة، وعند وصوله بعث له كتابا ليخضع له، ودخل تلمسان في حال هدنة وولى عليها ابنه يحي بن مزدلي. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص29ابن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تص: البشير الفوريتي، مطبعة التقدم، تونس، 1329هـ، ص 21.

6- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 121-122.

7- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط2، دار مكتبة الحياة،1384هـ/1965م، ص408.

الأحداث التي كانت تعيشها الأندلس؛ فتوجهوا نحو نجدة مسلمي الأندلس بعد استنجاد ملوك الطوائف بيوسف ابن تاشفين، فستجاب المرابطون لنجدتهم[1].

وبتوجه المرابطين إلى الأندلس، ودخولها في صراعات وحروب مع ملوك الطوائف والصليبيين، ومحاولة فرض السيطرة على الغرب الإسلامي، ظهرت في العدوة المغربية دعوة جديدة تُنبأ عن قيام كيان سياسي جديد ذو صبغة دينية، على يد المهدي ابن تومرت (تـ524هـ 1130م)[2]؛ واحتضنتها قبيلة هرغة[3]، ودخلت دولة الموحدين(541-668هـ/1121-1269م) في معاركة دامية مع المرابطين إلى أن سقطت هذه الأخيرة 541هـ/1147م.

وبعد أفول دولة المرابطين تطلع الموحدون إلى بسط نفوذهم إلى المغرب الأوسط، حيث تمكن عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1130-1163م)[4]، من العبور بجيشه إلى تلمسان ووصل إلى وهران ومتيجة وجبال الونشريس؛ فاستولى على الناحية الغربية سنة 539هـ/1144م؛ ولم يزل بنو حماد

1- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م، ص 13.

2- **ابن تومرت**: هو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال ابن حمزة ابن عيسى بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، من قبيلة هرغة من قبائل المصامدة الملقب بالمهدي، وهو صاحب دعوة عقيدة التوحيد، وقد كان بحرا متفجرا من العلوم، وقال صاحب الحلل الموشية، بأن المهدي توفي سنة 524هـ/1130م. ينظر: أبو بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، (د ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 12. ابن الخطيب، المحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص86.

3- **هرغة**: هي إحدى بطون قبيلة مصمودة بالمغرب الأقصى، احتضنت المهدي ابن تومرت ودعموا دعوته وتعصبوا لها، قال ابن خلدون لم يبقى من أهلها إلا عدد قليل. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص 360.

4- **عبد المؤمن بن علي**: هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي القائم بأمر ابن تومرت، بويع يوم الخميس الرابع عشر من رمضان، عام 524هـ، وتوفي سنة 558هـ/ 1163م، وكانت مدت حكمه 33سنة. ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، درا وتح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي الرقراق، الرباط، 2005م، ص 208. ابن خليكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت ، لبنان، ص 239.

يملكون بجاية وجهاته، إلى أن أخرجهم عنها[1]، وكان دخوله لها سنة 546هـ/ 1153م[2]، ثم وجّه جيشا لقلعة بني حماد، ثم دخل جزائر بني مزغنة ومدينة بونة سنة 547هـ/1152م بالشرق[3].

وبعدما تم له فتح المغرب الأوسط سنة 548هـ[4]، تطلع إلى فتح باقي أقاليم المغرب الإسلامي، ثم اتسعت رقعة هذه الدولة لتشمل كل من المغرب والأندلس[5]، غير أن هذا الاتساع سرعان ما دبّ الضعف في أواصرها، وتوالي انكساراتها في الداخل والخارج، وانفرط عقد المغرب الإسلامي، بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب(609هـ/1213م)[6]، وتناثرت أجزائه إلى دويلات كل واحدة فيها ترى في نفسها الوريث الشرعي لدولة الموحدين(541-668هـ/1121-1269م)[7]،فاستقلّ الحفصيون بالمغرب الأدنى[8]، وبنو مرين بالمغرب الأقصى[9]، وبنو الأحمر بغرناطة، والزيانيين بالمغرب الأوسط[1].

1- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تع: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط 1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1368هـ/1949م، ص ص352- 353.

2- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، ج2، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/ 1997م، ص 120.

3- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن10 إلى القرن12م، تر: حمّادي الساحلي ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص ص 430-431.

4- علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص 194.

5- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 317.

6- أمبروسيوهويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكمير، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004م، ص 422.

7- الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص ص 34.

8- **الحفصيون**: هم من أسسوا الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، وسُمُّوا بالحفصيين نسبة إلى أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي، وهو المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية بإفريقية سنة 625هـ، وسبب إعلانه الاستقلال هو استياؤه من المأمون الموحدين وقيامه بأعمال تقتيل في حق الموحدين بمراكش المنحدرين من هنتاتة وتنملل، وطعنه لعصمة المهدي، وقد استغل ضعف دولة الموحدين. ينظر: ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح : محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص ص 108-107.

9- **المرينيون**: بنو مرين فرع من قبيلة زناتة البترية، ويرجع أصلهم إلى مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن بدر بن نجفت بن عبد الله بن تبيص بن المعز بن إبراهيم بن رجيك بن واشين بن مشد بن إكيا بن ورسيك بن جانا وهو زناتة، منهم=

3- تأسيس الدولة الزيانية وتطورها(633-962هـ/1235-1554م):

يعد تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني؛ من أهم الأطوار التاريخية التي عرفها طوال تاريخه السياسي، هذا نظرا لما تميّز به من أحداث سياسية وعسكرية وثقافية، ففي النصف الأول من القرن 7هـ/13م، وتزامنا مع الضعف الذي دبّ في أواصر دولة الموحدين (541-668هـ/1121-1269م) شهد المغرب الأوسط، ظهور كيان جديد بزعامة القبائل بنو عبد الواد[2] الذين قطنوا بتلمسان والتي مثلت سلطة الموحدين بالمغرب الأوسط[3].

ويعود الفضل في التأسيس الفعلي للدولة الزيانية بالمغرب الأوسط؛ إلى يغمراسن بن زيان سنة (633-681هـ/1235-1282م)[4]، الذي أعلن استقلال دولته عن الموحدين، متخذا تلمسان

=تجين، مغراوة، بنو راشد، وغيرهم، قال ابن عذارى حين تحدثه عن كتاب روجار أن أكثرهم فرسان، وكانت مضاربهم على حسب رواية ابن خلدون من فكيك إلى سجلماسة في الجنوب، ومن فكيك إلى ملوية في الشمال، وكانوا أحيانا يتقدمون إلى غاية بلاد الزاب، أما ابن مرزوق مؤرخ الدولة المرينية، قال أن القبائل المرينية تمتلك مساحات شاسعة، تنقلت فيها من الجريد إلى ناحية المغرب، حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى تاهرت وجهات تلمسان، ثم تقدموا بعد ذلك نحو بلاد الزاب، وبلاد الجريد، لتصبح مضاربهم من هذه المواطن إلى بلاد المغرب الأقصى. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص200. محمد ابن مرزوق، المسند الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، درا وتح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص110. محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب والأندلس في العهد المريني (610هـ/1213م)(869هـ1465م)، ط2، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص5.

1- ممدوح حسين وشاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثارها الحضاري 668-792هـ1270-1390م، ط1، دار عمار للنشر، 1419هـ-1998م، ص24.

2- رجع أصل بنو عبد الواد؛ إلى القبائل الرّحل التي كانت تجوب تخوم الصحراء من سجلماسة إلى منطقة إقليم الزاب، إلى أن أخضع الموحدون أعمال المغرب الأوسط، فكان-بنو عبد الواد- السباقون إلى طاعتهم وأخلصوا لهم، فاقتطع الموحدون لهم أرضا بضواحي المغرب الأوسط بين البطحاء وملوية سنة (627هـ/1229م). ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 104. - Pascal Buresi ; Mehdi Gouirgate ; Histoire Du Maghreb Medieval (Xi-Xv Siecle) ; Armand Colin ; Paris ; 2013 ; P130.

3- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م، ص 09.

4- يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي(633-681هـ/ 1235-1282م)، ولد سنة 603هـ/1206م، أمير المسلمين أبو يحي أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، بويع سنة 633هـ بعد مقتل أخيه زيان بن زيان، عُرف بشجاعته وحلمه وتواضعه، دامت فترة حكمه 44سنة وخمسة أشهر و12يوما، توفي سنة 681هـ/1283م، ودفن بتلمسان.=

عاصمة لدولتهم، وعمل هذا على تنظيم شؤونها وضبط كل دعائمها، فبدأ بتكوين جيش قوي، كما سعى جاهدا لاستمالة القبائل البربرية والعربية وضمها تحت لواءه، وقد عمّرت دولة بني عبد الواد زهاء ثلاثة قرون، عرفت خلالها فترات قوة حيث استطاعت بسط نفوذها السياسي على كل أجزاء المغرب الأوسط، حيث عمّرت طويلا أكثر من غيرها من دويلات التي سبقتها، بالرغم من كل الحصارات والحروب التي عرفتها من طرف الدول المجاورة لها؛ إلا أنها ظلت صامدة إلى غاية الاحتلال الإسباني[1].

=ينظر: ابن الأحمر إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1969م، ص49. الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 207.

1- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، (د ط)، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ص146.

وفي الختام يمكن القول بأنه تعددت التعاريف والمفاهيم للأمراض، فهي قديمة قدم المجتمعات البشرية، ولا يمكن حصرها بالزمان والمكان، وقد عانى سكان المغرب الأوسط، من عدة أمراض، كغيرهم من شعوب العالم، واعتبر المغرب الأوسط جزءا لا يتجزأ من المغرب الإسلامي، بحكم الامتداد الجغرافي والأوضاع السياسية، حيث كان هذا الإقليم مسرحا لكثير من الأحداث والوقائع السياسية، ومحطة لقيام العديد من الدول التي مثلت السلطة السياسية له.

وتضاربت الأقوال حول رسم معالمه الجغرافية وحدوده السياسية، بسبب موقع الجغرافي الذي يتوسط الإقليمين المغرب الأدنى من الجهة الشرقية، والمغرب الأقصى من الجهة الغربية، فكانت حدوده الشرقية والغربية محل صراع طيلة الفترة الوسيطية.

الفصل الأول: الأمراض في المغرب الأوسط(الأسباب، الأنواع والانعكاسات)

المبحث الأول: أسباب الأمراض

المبحث الثاني: أنواع الأمراض

المبحث الثالث: الانعكاسات

شهد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط العديد من الأمراض، التي ارتبطت بالعديد من الأسباب والعوامل والتي يمكن تصنيفها إلى عاملين أساسيين هما: الأسباب الطبيعية والأسباب البشرية؛ التي عاشها سكان المغرب الأوسط، مما جعلته يعاني في المقام الأول من مجموعة من الأمراض الجسدية والنفسية ،والآثار والانعكاسات التي خلفتها على مجتمع المغرب.

المبحث الأول: أسباب الأمراض:

إنَّ الصحة والمرض متوقفتان على سياق واسع من العوامل والأسباب البيئية والبشرية، المتحكمتين فيهما، وعلى هذا الأساس فإنّ الأمراض مرتبطة بمجموعة من العوامل والأسباب، والتي إن وجدت سقم البدن واعتلّ، وبزوالها يصح ويشفى، وبناء على هذه الجدلية فيما تكمن العوامل والأسباب المؤدية لوجود الأمراض؟

المطلب الأول: العوامل الطبيعية:

مما لا شك فيه أن المغرب الأوسط قد نال نصيبه من الأزمات وعرف انتشار العديد من الأمراض، كغيره من بقاع العالم، وقد كان لهذه الأمراض التي حلت بسكان المغرب الأوسط، عوامل وأسباب أفضت إلى وجودها ولعل أبرز هذه العوامل العامل الطبيعي وهو كالآتي:

1-التغيّرات المناخية:

يُبنى تناول العوامل المسببة للأمراض وانتشارها؛ في إطار معرفي يستند إلى الأسس التي أرصاها أبقراط(تـ357ق- م)، باعتباره من أوائل من أولى أهمية للبيئة الطبيعية في تفسير الظواهر المرضية، وقد شكّل هذا التصور نواة أولى لما يعرف اليوم بالطب البيئي، حيث اعتبر العوامل المناخية، من حرارة وبرودة ورطوبة وجفاف، عناصر جوهرية تؤثر في توازن الجسم وأخلاطه، وبالتالي في ظهور العلل والأمراض.

وتأسيسا على ذلك، فإن تحليلي لهذه العوامل سيتم وفق نسق علمي يُراعي ترابطها العضوي وتأثيرها المتبادل مع العوامل الجغرافية والاجتماعية، كما نصّ على ذلك أبقراط في قوله:" ينبغي على الطبيب النظر بعين الاعتبار، وفي المقام الأول إلى فصول السنة؛ ويقصد هنا تأثر الفصول على صحة

الإنسان، ثم تطرق إلى تأثير الرياح: الساخنة والباردة، وموقع المكان بالنسبة للرياح؛ وشروق الشمس، وما لهذه العناصر من تأثير على الإنسان والحيوان على حد سواء، كما جعل الماء والأرض عاملين أساسيين في إحداث اعتلالات صحية، وقد أيّد هذا الرأي ابن سينا(تـ 428هـ/1037م) في كتابه القانون في الطب[1].

ومن الجوانب التي حرص على التدقيق فيها، حالة المياه وجودتها، إذ ينبغي التحقق مما إذا كانت صالحة للشرب أو ملوثة، راكدة أو متجددة، نظيفة أو من مياه المستنقعات، لما لذلك من أثر مباشر على الصحة العامة وإحداث الأسقام، كما رأى من الضروري التأمل في طبيعة الأرض أهي جرداء قاحلة، أم خصبة ومروية، مع مراعاة الموقع الجغرافي سواء كان منخفضا أو مرتفعا[2].

ومن الأمور التي وجب على الطبيب مراعاتها في العوامل المؤثر على الصحة، أنماط عيش السكان اليومية، بما في ذلك عاداتهم الغذائية ومدى اعتدالهم أو إسرافهم؛ فيعد من الأمور الجوهرية في فهم طبيعة الأمراض، كما أن من الضرورة الأخذ بعين الاعتبار النشاطات التي يقومون بها وممارستهم الرياضة[3] والحركة والسكون والنوم الأحداث النفسانية[4].

وبيت القصيد من الطرح السابق يقود إلى القول؛ بأنّ للطبيعة تأثيرا مباشرا على سيرورة الحياة، وبقاء الإنسان والحيوان والنبات واستمرارهم، فالتغيرات المناخية وتذبذب فصول السَّنة له تأثير سلبي على الحياة؛ كأن تطرأ تغيرات مناخية على أحد الفصول؛ فيصبح فصل الربيع باردا يابسا، والخريف

1- مقولة أبقراط ماخوذة من كتاب رودرلفو ساراتشي. ينظر: ابن سينا القانون، ج1، ص ص 114-124. رودرلفو ساراتشي، علم الأوبئة، مقدمة قصيرة جدًّا، تر: أسامة فاروق حسن، مرا: مصطفى محمد فؤاد، ط1، هنداوي، القاهرة، مصر، 2015م، ص 16.

2- ابن سينا، القانون، ج1، ص 123.

3- رودرلفو ساراتشي، المرجع السابق، ص 16.

4- حنين بن اسحق العبادي، المسائل في الطب للمتعلمين، المكتبة البريطانية: مخطوطات شرقية، المرجع: Or 5725، ص 13ظ.

يكون على طبيعة فصل الربيع؛ والشتاء على طبيعة فصل الصيف، فالتقلبات المناخية تأثر بالسلب على صحة الإنسان، وقد تسبب له عوارض صحية وأمراض[1].

وإذا طالت الفترة الزمنية لأحد الفصول، أو كانت السنة كلها بطبيعة فصل واحد، على سبيل المثال تكون السنة ربيعية؛ أو يكون الشتاء حار والصيف مطير وبارد، فيتعفن الهواء ويختل المناخ، وبالتالي يصبح الإنسان عرضة لجملة من العوارض الصحية، خصوصا أن جسم الإنسان قد تعود على نمط كل فصل وأجوائه، فأي طارئ يعرض على أحد الفصول، يسبب وعكات صحية وأمراض[2].

فإذا وقع الوباء في فصل الربيع كان أردء داء؛ لأن هواء الربيع معتدل، وهو أوفق للحيوان بالاستنشاق، وإذا فسد كان فساده أكثر ضررا، وإذا لم يسقط المطر في فصل الربيع من 25 أبريل إلى 5ماي؛ فهذا إنذار بحدوث مجاعة؛ لأن هذه الفترة بالنسبة لسكان المنطقة هي مفتاح السنة، والتي كانوا يتنبؤن من خلالها؛ ما إن كانت سنة خير وبركة أم أنها سنة جدب ومجاعة[3].

وتتحرك الأخلاط[4] الكامنة من فصل الشتاء، في فصل الربيع ، وتسير إلى الأعضاء الضعيفة، فتتسبب في حدوث خرجات وأورام في الحلق، ويظهر فيه كل مرض كانت مادته ساكنة في الشتاء، وطفوح هذه الأمراض ليس لرداءته بل لحرّه اللطيف[5].

وعلى العموم فإن فصل الربيع أصح الفصول على الإطلاق، وأعدلها وأنسبها للصحة إذا ما تمت مقارنته مع باقي فصول السنة، ففصل الصيف يثير الصفراء[6]، كما تنتشر فيه بعض الأمراض؛

1- ابن سينا، القانون، ج1، ص ص 117-118.

2- السرمري، يوسف بن محمد، ذكر الوباء والطاعون(ت776هـ)،كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون، تح وتع: شوكت بن رفقي بن شوكت، ط1، الدار الأثرية، عمان، الأردن، 2005م، ص26.

3- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج1، ص 30.

4- **الأخلاط:** وهي الأمزجة الأربعة للإنسان وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء وللخلط أسباب منها الفاعلي وهو الحرارة الغريزية، والسبب المادي وهو الغذاء، والصوري وهو ذات الأخلاط. ينظر: الصحاري، المصدر السابق، ج2، ص ص 46-47.

5- ابن النفيس، الشامل في الصناعة الطبية (الأدوية والأغذية) كتاب الهمزة ، تح: يوسف زيدان، ج1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000م، ص 42.

6- **الصَّفراء:** وهي عصارة هاضمة وتعرف بالمرارة؛ وقوتها في الكبد. ينظر الصحاري، المصدر السابق، ج2، ص 444.

كالغب وهي الحمى التي تأتي للمريض يوما وتتركه في اليوم الموالي، كما يكثر فيه العطش والكرب[1]، وهذا راجع إلى كثرت الفضلات الحادثة في فصل الصيف، وعدم تحللها في آخره يكون سببا وجيها يمكن أن ينجم عنه بعض الأمراض كالحمى[2].

والأمراض التي تحدث في فصل الخريف، تكون أشد ضرراً من الأمراض التي تكون في أي فصل آخر؛ حيث قال الرازي:" إن في الخريف أشدّ ما يكون الأمراض وأقتل، أما الربيع، فأصح الأوقات كلها وأقلها موتاً[3]، فمتى امتد الخريف والصيف أي زادت طبيعتهما هاجت الأمراض"[4].

وتبين من هذه المقولة، بأن الأمراض التي تحدث في فصل الخريف تكون خطيرة وقاتلة في نفس الوقت، مقارنة بالأمراض التي تصيب الإنسان في فصل الربيع؛ والتي تتسم بقلة خطورتها؛ وهذا راجع إلى إعتدال الهواء فيه، وعلى هذا الأساس؛ فإن الأمراض تكثر بسبب الخلل الذي يصيب فصول السنة، وهذا مايؤثر سلبا على صحة الإنسان، ويجعله عرضة للعديد من الأمراض.

حيث تسجل زيادة في معدل انتشار الأمراض خلال فصل الخريف، وارتبط ذلك بتغيّر طبيعة الهواء بين البرودة في الليل والحرارة في منتصف النهار، ما أحدث اضطرابا في التوازن الحراري للجسم، كما تزامنت هذه الفترة مع تراكم الأبخرة والفضلات التي تكون قد تحللت خلال أشهر الصيف، فتنحصر وتتحل نتيجة تعرضها للتسخين، مما يخلق بيئة ملائمة لنشاط المكروبات، وهذا التباين في المناخ أثّر سلبا على صحة الغنسان، خاصة إذا كان الجسم ضعيفا قليل الحركة والمقاومة، مما جعله عرضة للإصابة بالأمراض، وأكد جل أطباء العصور الوسطى، على أن أواخر فصل الصيف والخريف

1- ابن النفيس، المصدر السابق، ص 42.

2- كربخال، المرجع السابق، ج1، ص ص 29-30.

3- الصحاري، المصدر السابق، ص 487.

4- الرازي، الحاوي في الطب، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، ص342.

تعد من الفصول التي ترتفع فيها معدلات المرض بسبب تراكم الفضلات في الصيف، على خلاف فصل الربيع الذي يمتاز باعتدال الجو وسلامة الهواء فيه[1].

إن ما تم ذكره عن الأسباب الطبيعية للأمراض، بما في ذلك التغيرات المناخية، وما ينجم عنها من أمراض، يمكن القول بأنها عبارة عن قوانين؛ توصل إليها الأطباء والعلماء القدامى أمثال: أبقراط (تـ357ق-م)والرازي(ت313هـ/965م)وابن سينا(ت428هـ/1037م)، وهي مسلمات متعارف عليها بين الأطباء، والتي مثّلت ولا تزال تمثل مربط الفرس في ميدان الطب، وبما أنّ ميدان الدراسة هو المغرب الأوسط في العصر الوسيط، فعلى هذا الأساس سأحاول ربط ما سبق ذكره، بالعوامل الطبيعية التي سادت في هذا الإقليم، وعلاقتها بالوضع الصحي لسكانه.

2-التغيرات المناخية في المغرب الأوسط:

إن الحديث عن العوامل المناخية في المغرب الأوسط، الواقع في القسم الشمالي للقارة الإفريقية، والذي صنّفه الجغرافيون مناخيا ضمن المنطقة المعتدلة الشمالية، أما قسمه الجنوبي فيدخل ضمن خانة البلدان الحارة، وقربه وبعده من البحر، أوجد اختلافات مناخية واضحة، وقد انتاب شمال إفريقيا، كغيره من مناطق العالم؛ تذبذبات مناخية واضحة على مرّ العصور، ونشأت هذه التذبذبات المناخية بسبب اضطراب فصول السنة وتبدلها؛ مما نجم عنها ظهور جملة من الأمراض[2].

وذكر حسن الوزّان(ت بعد957هـ/1550م) معلومات هامة عن فصول السنة في المغرب الإسلامي عموما، وما صاحبها من أحداث حيث قال:" ويبدأ فصل الشتاء والبرد في بلاد البربر، بعد منتصف شهر أكتوبر، ويستمرّ في ديسمبر ويشتد في يناير، ويبقى عادة حتى لشهر فبراير، لكن الجو يتقلب فيه غالبا خمس أو ست مرات في اليوم، وتهب الرياح في شهر مارس فتخصب الأرض وتزهر الأشجار، وفي أفريل تأخذ الفواكه في النضج، ويكتمل نضج بعض الفواكه في شهر ماي مثل

1- ابن النفيس، المصدر السابق، ص 42.

2- بنحيون ماجدة، (مساهمة المناخ في حصول المجاعات وانتشار الأوبئة بشمال إفريقيا خلال العهود القديمة)، مؤتمر الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث والتاريخي، الرباط، 2002م، ص ص 9-10.

حب الملوك، والتين في فصل الصيف، والعنب والإجاص والمشمش والبرقوق في شهري جوان وجويلية[1].

واسترسل في الحديث عن نضج الفواكه والخضر في باقي الأشهر، كالزيتون والعنب، ومنها ما تم تجفيفه وتصبيره؛ وما أورده حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)، عن فصول السنة وما صاحبها من مظاهر، أثّرت بشكل أو بآخر على سكان المغرب الأوسط، فالتغيرات المناخية لها علاقة بالمحاصيل الزراعية والغلات من خضر وفواكه، فعصف دم نضجها أو تلفها بسبب تساقط الأمطار في غير موسمها أو ندرته أو حتى سقوط الثلوج كلها العوامل، أثرت بالسّلب على المواد الغذائية، وبالتالي كان لها تأثير على صحة الناس[2]، كانتشار الزكام والسعال، وبعض الأمراض المعدية[3]، وأحيانا كانت تودي إلى موت الكثير منهم[4].

وأضاف حسن الوزان (ت بعد957هـ/1550م) قائلا:" وفي آخر الخريف وأثناء الشتاء كله، وبعض فصل الصيف، كانت تحدث عواصف مصحوبة بالبرد والصواعق والبرق، وينزل الثلج في أماكن كثيرة من بلاد البربر"[5]، وقد عُرف مناخ كل من مدينة تيهرت وتلمسان ، بأنه كان شديد البرودة وكثير الغيوم والثلوج، أما قسنطينة فكانت عرضة لهبوب الرياح؛ لعلوها وارتفاعها[6]، وهو ما جعل بعض السكان يعانون من البلغم كما أصيبوا بالسعال والزكام والنزلة جراء التغيرات المناخية[7].

إن ما ذكره حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م) عن فصول السنة في المغرب الإسلامي عموما، ومن خلاله يمكن استنباط بعض المعلومات عن المغرب الأوسط؛ بحكم الموقع الجغرافي

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 77.
2- المصدر نفسه، ج1، ص 78.
3- ابن النفيس، المصدر السابق، ص 42.
4- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، الطب النبوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1999م، ص 32.
5- المصدر نفسه، ج1، ص ص80-81.
6- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 166.
7- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص 8.

والامتداد الطبيعي، كونه جزء من المغرب الإسلامي، أما بالنسبة لتحديد المناخ السائد في المغرب الأوسط، فهو ليس بالأمر البسيط، وذلك راجع إلى تنوع التضاريس في المغرب الأوسط من جهة، ومن جهة أخرى فإن المصادر التي تطرقت إلى ذكر المناخ في مختلف مناطق المغرب الأوسط، جاءت على شكل إشارات متناثرة، لا تغني ولا تسمن من جوع، وهذه الإشارات كانت إما لذكر الجو السائد بتلك المنطقة؛ أو لوصف وذكر ما تزخر به مميزات تلك المدينة؛ فابن مرزوق مثلا حينما تحدّث عن تلمسان، قال بأنها أشد بلاد عدوة المغرب الأوسط بردا وتجلدا[1].

وقد ساد تلمسان مناخ متميز؛ بحكم موقعها الجغرافي الوسطي، فهو شبيه بمناخ المدن الواقعة في السهول والهضاب، وتعتبر جبال الأطلس بمثابة الجدار الواقي من الرياح؛ فلا تتأثر برياح السموم الحارة التي تهب من الصحراء، وبالتالي فإن صيفها لم يكن شديد الحرارة، غير أن شتائها كان شديد البرودة، كما امتاز بكثرة تساقط الأمطار والثلوج؛ وكان يستمر إلى غاية فصل الربيع في بعض الأحيان[2].

كما أن معظم أقاليمها جافة قاحلة، لاسيما جزئها الجنوبي، وباقي المناطق الأخرى امتاز بالخصوبة وكثرة الإنتاج، كالسهول التي تقع بالقرب من الساحل[3]، وذكر صاحب الاستبصار بأن مناخ كل من مدينة تيهرت ومدينة تلمسان، بشدة البرودة وكثرة الغيوم وتساقط الثلوج[4].

وخلاصة القول أن التغيرات المناخية لفصول السنة، تؤثر بالضرورة على جسم الإنسان، الذي تعود على نمط معين يميز كل فصل من الفصول الأربعة، وبتبدل مناخ فصل من الفصول يحدث نوع من الخلل؛ ويصبح جسده عرضة للأمراض.

1- محمد ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 222.

2- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، (مذكرة ماجستير منشورة)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م، ص 107.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 10.

4- قال بأنها أشد بلاد عدوة المغرب الأوسط بردا وتجلدا. ينظر: محمد ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 222.

3-الرياح:

تندرج الرياح هي الأخرى ضمن العوامل المسببة للأمراض، فهبوب الرياح الشمالية، التي كانت تتسبب في سقوط الأمطار الغزيرة في فصل الصيف (في شهري جويلية وأوت)، كانت تفسد الهواء وتعفّنه، وبالتالي صاحبتها العديد من أمراض وخصوصا الحمى الوبائية[1]، التي كانت تشتد على أكثر الناس؛ فكان لا ينجو منها إلا القليل[2].

وأورد حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)، إشارات حول فصول السنة ببلاد المغرب الإسلامي، مبيّنالنا تلك التغيرات التي تطرأ عليها، ومالها من تأثير على المحاصيل الزراعية وعلى السكان بصفة عامة، وذكر الرياح التي كانت تهب على بلاد المغرب فقال: "وتهب الرياح من الشرق؛ والجنوب الشرقي والجنوب، والتي كانت تتسبب في أضرار بليغة، لاسيما إذا ما هبت في شهر ماي وجوان؛ فكانت تفسد جميع الغلات وتمنع الفواكه من النمو والنضج؛ مما نتج عنه إتلاف محصول السنة"[3].

إن هذه العبارة التي قدمها حسن الوزان (ت بعد957هـ/1550م)، تبين أن بعض الرياح التي كانت تهب في فصل الصيف، كانت لها نتائج وخيمة؛ على المحاصيل الزراعية، فكانت تمنع الثمار من النضج؛ مما يؤثر على المنتوج السنوي، وهذا ما نجم عنه بعض المجاعات متفاوتة الشدة، وتزيد أو تنقص حدّة المجاعة على قدر الأضرار المترتبة عن إتلاف المحاصيل .

وهذا ما أكّده مارمول كربخال؛ الذي قال بأن الرياح التي تهب في فصل الصيف خطيرة جدا، وخصوصا تلك التي تهب في شهري ماي ويونيو، لأن جميع المحاصيل تَيْبس، وبذلك تحول دون نضجها[4].

1- مارمول كربخال، المرجع السابق،ج1، ص 31.
2- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 79.
3- المصدر نفسه، ج1، ص 77.
4- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج1، ص31.

ووجدت إشارات عديدة، تبين تعرض المغرب الإسلامي، إلى هبوب تلك الرياح، فذكر ابن أبي زرع الفاسي أنه في سنة 307هـ، هبت ريح شديدة السواد بالمغرب والأندلس وإفريقية؛ أدت إلى اقتلاع الأشجار، وهدمت الديار؛ وصاحبها وباء كثير وطاعون، فتاب الناس وخافوا؛ فلزموا المساجد وابتعدوا عن كثير من الفواحش والفساد[1]، وكذلك 697هـ/1280م أين أعقبها الأمراض الكثيرة[2]، وتعرضت تلمسان في سنة 385هـ، إلى هبوب ريح عاتية هدمت المنازل واقتلعت الأشجار، وكان الناس يشاهدون البهائم تتطاير بين السماء والأرض؛ لقوة هذه الرياح[3].

وحسب ما ذكره صاحب الأنيس المطرب، فإنّ سبب هذه الكوارث الطبيعية التي كانت تتعاقب على بلاد المغرب والأندلس، يرجع سببها إلى أعمال الناس، وهي بذلك عقاب وسخط من الله تعالى على ما كانوا يرتكبونه من آثام ومعاصي.

لقد عرف عن الإنسان منذ وطأته على وجه الأرض خوفه من المظاهر الطبيعية، وهو الحال بالنسبة لسكان المغرب الإسلامي، فكلما صادفتهم ريح عاتية أو سيل عرم، أعطوها تفسيرا دينيا، لاعتقادهم بأن هذه الظواهر الطبيعية جاءت نتيجة لكثرة معاصيهم، وغضب المولى عزّ وجل عليهم، وللتكفير عن ذنوبهم، كانوا يسارعون إلى الصلاة والدعاء الابتهالات، خوفا من عقاب الله تعالى، وطمعا منهم في رحمته[4].

وإذا تشكلت في فصل الصيف الغيوم الكثيرة، تساقطت الأمطار وصاحبتها هبوب الرياح الجنوبية، فإنّ الجو يتكدّر وتظهر أشعة في الليل؛ فيتغير الفصل لذلك ويتسبب في فساد الثمار؛ ومن ثم تفسد أمزجة الناس وتمرض أبدانهم[5]، وبحكم الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط -في شمال القارة

1- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 98.
2- المصدر نفسه، ص ص 100- 102.
3- الناصري، المرجع السابق، ج1، ص 282.
4- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 204.
5- السرمري يوسف، المصدر السابق، ص 26.

الإفريقية- الذي يسوده مناخ البحر الأبيض المتوسط، البارد والممطر شتاء في المناطق الشمالية، والحار والجاف صيفا في المناطق الجنوبية[1]؛ وأما مدنه الساحلية، فإن سكانها كانوا معرضين للإصابة بتلك الأمراض[2].

4- الماء وتلوث الهواء:

الماء أساس الحياة، لقوله عزّ وجل:﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُل شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[3]، وهو الأصل في توفر الغذاء، ووجود الحياة على سطح الأرض، والعنصر المشترك بين كل الكائنات الحية، وانعدامه أو قلته تؤثر سلبا على الحياة العامة؛ فعلى سبيل المثال المناخ الصحراوي، الذي يمتاز بالحرارة صيفا وشتاء، مما يؤدي إلى الجفاف، فإن هذا الأمر يجعل الحياة في المناطق الصحراوية شبه منعدمة، لافتقارها لأهم عنصر للحياة ألا وهو الماء[4].

أ- الفيضانات وتلوث الماء:

ارتبط اختطاط المدن في العصر الوسيط ارتباطا وثيقا بوجود الماء، على أساس أنه منبع الحياة، وقد توفرت المياه في بلاد المغرب الأوسط بشكل متباين من موضع لآخر؛ فمدينة تلمسان مثلا اشتهرت لدى الجغرافيين بوفرة وغزارة مياهها؛ لتوفرها على أنهار وعيون دائمة الجريان، وهو الحال أيضا بالنسبة لبجاية وتيهرت وغيرها من مدن المغرب الأوسط، فنقص الماء أو انعدامه يؤثر سلبا- كما ذكرنا سلفا- ثم أن تلوث الماء أو تعفنه يسبب الكثير من الأمراض، كالحميات والطاعون والجرب، كما يسبب الحصى في المثانة والكلى؛ لاسيما المياه الراكدة في المستنقعات والبرك، ويعد

1- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج1، ص30.

2- عبد الهادي بياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، (ق6-8هـ/12-14م)، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2008م، ص 170.

3- سورة الأنبياء، الآية 30.

4- عامر حميد حمود، (الأمراض والأوبئة وأثرهما على الحياة الاجتماعية لبلاد المغرب العربي في العصور الإسلامية، دراسة تاريخية)، مجلة الجامعة العراقية ، مج1، ع41 ، العراق، 2018م ص 344.

عاملا في انتشار الأمراض المعدية، فمن مدن المغرب الأوسط التي تحدث عنها الجغرافيين؛ تنس التي عرفت بأنها كانت وبيّة[1]، ولا يسلم من دخلها من الإصابة بالمرض، وكثيرا ما يموت بها الغرباء[2]، حتى إن بعض الشعراء نَظَموا أبياتا شعرية عنها فقال أحدهم:

أيُّهَـا السَّـائِل عَـنْ أَرْضِ تـنس ... بَلَـد اللُّـؤْمِ لعمـرى والـدنس

بَلَـد لَا يَنْـزِلُ القَطَـرُ بِهَـا ... لِلْنَّـدَى فِي أَهْلِهَـا حَـرف دَرَس

مَاؤُهَـا مِـنْ قُـبْحِ مَـا خَصَّـتْ بِـه ... نَجَـسٌ يَجْـرِي عَلَـى أَرْضٍ نَجِـسٍ

فَمَـتَى تَلْعَـنُ بَـلادَا مَـرَّة ... فَاجْعَـلْ اللَّعْنَـةَ إِذًا بِـالتنس[3]

اعتبر التلوث المائي من الأسباب الجوهرية في تفشي عدة أمراض على مرّ العصور، وعندما تطرق الجغرافيون والمؤرخون إلى مدن المغرب الأوسط، أعطوا معلومات عن تلك المدن التي امتازت مياهها بالتلوث، وفي هذا الصدد ذكر حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)، مدينة تنس وقال بأن مائها غير صالح للشرب، ومدينة مرسى الخرز، التي ذكرها البكري وقال هو الآخر أن بها بئرا وبيّة الماء، تعرف ببئر أزراق، فمياهها تسبب الأمراض، حتى أطلق عليها أهلها مقولة: "طعنة بمزراق خير من شربة من بير أزراق"، كما عرف عن هذه المدينة كثرة الحيات، وفساد الهواء، وامتاز سكانها بصفرة ألوانهم، وربما راجع ذلك إلى مناخها[4].

كما أنّ التساقط المستمر للأمطار، كان يؤدي إلى حدوث الفيضانات، التي كانت سببا في تلف المحاصيل الزراعية من جهة، ومن جهة أخرى، تسببت السيول في تفشي جملة من الأمراض، خاصة تلك التي كانت تنزل في فصل الصيف، وهذا بالاستناد إلى ما قاله الحسن الوزان(ت

1- **تَنس**: مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مقربة من البحر المتوسط ولها سور يحيط بها كانت خاضعة لملك تلمسان وهي مشهورة بإنتاج القمح والعسل. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص35-36.

2- الحميري، المصدر السابق، ص138.

3- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص133.

4- البكري، المصدر السابق، ج1، ص 55.

بعد957هـ/1550م)، وأن في بعض السنوات، كان ينزل المطر في بلاد المغرب الإسلامي، في شهر يوليوز وغشت، مما يؤدي إلى فساد الجو، وبالتالي كان الناس يصابون بحمى حادّة؛ تشتدّ على أكثر الناس ولا ينج منها إلا القليل[1].

وتولد عن السيول والفيضانات وموجات البَرَد المجاعات، والتي صاحبها في غالب الأحيان أمراض متنوعة[2]؛ ففي سنة 339هـ، نزل بَرَدٌ عظيم كبير الحجر، زنة الحجرة رطل وأزيد، أدى إلى قتل الطيور والبهائم والوحوش، وطوائف من الناس، كما أتلف المحاصيل وكسر الشجر وأفسد الثمار، أما في سنة 342هـ، نزل بَرَد عظيم لم يُرَ مثله من قبل؛ فأهلك المواشي وعرّض الزرع والثمار للفساد، وصاحبته السيول العظيمة التي شملت المغرب الإسلامي ككل، وكانت هذه السيول مصحوبة بالرعود القاصفة والبروق الشديدة، ودامت أيام عديدة[3].

وقال ابن خلدون(تـ808هـ/1406م):" أن طبيعة العالم، في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة، والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر، الزّرع والثمار والضّرع على نسبته"، فقد وجدت علاقة بين كثرة الأمطار-أو قلتها- مع المحاصيل والثمار، فكلما زاد منسوب الأمطار، فإن ذلك ينبأ بكثر الزرع ووفرة المحاصيل وجودة الإنتاج وكثرة الثمار، أما إذا قلّ المطر وقحطت الأراضي، فهذا لا محال مؤشر على قلة المحاصيل ونقص المنتوج، وليس مستبعد وقوع مجاعة، خصوصا إذا طالت فترة القحط والجذب، أو عدم نزول المطر في الوقت المناسب الذي يحتاج فيه الزرع والثمر، ليكمل نموه ونضجه[4]. وعليه فإن الماء من العوامل المحدثة للأمراض، وهو عامل لا يستهان به.

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص79.
2- عامر حميد حمود، المرجع السابق، ص 345.
3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 100.
4- ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 500.

ب- تلوث الهواء:

يعدّ الهواء أساس الحياة لكل الكائنات الحية (الإنسان الحيوان النبات)، وبفساده تتضرر هذه الكائنات، فتلوثه وتعفنه، يعد من الأسباب والعوامل الرئيسية في انتشار الأمراض، وكان ابن سينا (ت 428هـ/1037م)من الأوائل الذين تحدّثوا عن الهواء الفاسد وإمكانية نقله للأمراض[1]، أي أن الهواء سبب جوهري في نقل العوامل الممرضة (وهي التي تعرف في أيامنا هذه بالجراثيم)[2].

وكانت شوارع تلمسان ملطخة بالطين المتواجد في ضواحيها بعد سقوط المطر، وعدم مبالات الحرفيين والصناع لشروط النظافة، أفقد المدينة بهجتها، وذكر العقباني(ت871هـ/1467م) أن الخرّازين، كانوا يبسطون جلود البقر في الطرقات، بغية تجفيفها دون مراعات لأمر المارّة، وكانت تنبعث من تلك الجلود رائحة نتنة، تسببت في أذية المارة من جهة؛ كما كانت تتسبب في تلوث الجوّ من جهة أخرى[3].

ومن خلال ما سبق يمكن القوال بأن فساد الهواء، سببه مخالطته لمواد أخرى دخيلة كالأدخنة والرطوبات العفنة وغيرها، وفساده يعتبر عامل في إحداث الكثير من الأمراض.

5- القحط والجراد:

يعد القحط والجراد من الكوارث الطبيعية التي شهدتها المجتمعات البشرية منذ القدم، لم يكن المغرب الأوسط في منأى عنهما، وقد أثّرا على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وكانا سببا في حدوث مجاعات وأمراض عديدة.

1- ابن سينا، القانون، ج1، ص ص 225-226.

2- عبد الكريم شحادة، صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي، (د ط)، أكاديميا للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، ص 46.

3- العقباني، المصدر السابق، ص ص 67-68.

أ- القحط:

يُعرف القَحْطُ على أنه احتباس المطر، والناس بأمسِّ الحاجة له[1]، وهو مرادف للجَدْب[2]، وشهدت بلاد المغرب الأوسط بصفة عامة سنوات من القحوط، انعكست سلبا على الأوضاع العامة للبلاد؛ كما أنه في فترات القحط يتغير الهواء ويفسد، وفساد الهواء يؤدي في الغالب إلى انتشار بعض الأمراض؛ كالرمد وأنواع من السعال والبحّة[3].

من خلال تتبعنا لكرونولوجيا القحط، الذي كان يحلّ بأراضي المغرب الإسلامي، لاحظنا الآثار المترتبة على تعاقب القحط كالمجاعات والأمراض خصوصا عندما تطول فترته، وقد ذكر لنا ابن حوقل تاهرت عاصمة الرستميين التي تغيرت أحوالها؛ لدوام القحط بها[4]؛ وقال العبدري في زيارته؛ لتلمسان أثناء رحلته: " ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان، فوجدناها بلدا حلت به زمانة الزمان، وخلت به حوادث الحدثان، لم تبق به علالة ولا تبصر في أرجائه للظمئان بلالة"[5]، وكان نزول العبدري بتلمسان في فترة قحط وجفاف طال زمنها، فكان لها تأثير كبير على كافة نواحي الحياة، فقد بلغ الجوع مبلغا عظيما، حتى توانى الناس عن تقديم واجب الضيافة لعابر السبيل والحجاج[6].

ب- الجراد: وللإشارة فالجراد خلّف آثارا وخيمة بالعدوتين؛ فقد كان بمثابة الشرارة الداعمة للقحط والجفاف، الممهدة لاستفحال المجاعة وسوء التغذية وطفوح سلوكات اجتماعية دخيلة.

1- ابن منظور، المصدر السابق، ص 3536.

2- **الجدب**: هو المكان قليل الخِصْب ويقال أجدبت البلاد: أي قحطت وغلت الأسعار، وهي الأرض التي لا نبات بها. ينظر: المصدر نفسه، ص ص557-558.

3- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، ص 118.

4- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 93.

5- محمد العبدري، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، (د ط)، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1428هـ/2007، ص 26-27.

6- المصدر نفسه، ص 27.

شكّل الجراد آفة طبيعية خطيرة؛ هددت حياة الإنسان وموارده في كل زمن من الأزمان؛ فكان لهجومه المفاجئ على المزارئع والمغروسات، تأثيرات سلبية في مقدمتها المجاعة وأمراض سوء التغذية[1]، وذلك لأن اكتساحه كان يقضي على الأخضر واليابس؛ فتتعرض البلاد لمجاعة فجائية وعجزا غذائيا[2].

وبالتالي فإنه يساهم بشكل من الأشكال في وجود بعض الأمراض؛ فإقليم توات تعرّض إلى موجات وأسراب كبيرة من الجراد، التي قضت على الأخضر واليابس، مما أدى بالضرورة إلى انتشار المجاعة وسوء التغذية، حتى اتخذ الكثير من سكانها الجراد بديلا لمحاصيلهم وأصبحوا يخبؤونه ليقتاتوا منه[3]، طبخا وقليا[4]، رغم المضاعفات الصحية التي كان يسببها، وحسب ما قاله أطباء تلك الفترة بأن أكله، يحرق الدّم، وتمّ إدراجه ضمن الأغذية الحارة اليابسة[5]، وهو قليل الغذاء وإدامة أكله يورث الهزال[6].

لقد شكل الجراد معاناة حقيقية، مع عجز الدولة عن وضع حد له نظرا لبساطة الوسائل المساعدة على مقاومته، خصوصا إذا بأن للجراد القدرة الفائقة على نثر بيضه في كل مكان ،وفي وقت قياسي؛ مما صعّب عملية حسمه واستئصال شأفته، بالوسائط البدائية التي لم تتجاوز الجمع والحرق، حتي شبّهه أمير المرابطين علي بن يوسف "بالداء العضال"، لقدرته التخريبية، وقد دفع الأمر بالناس إلى استخدام الطلاسم والشعوذة للقضاء عليه؛ قد وقفت السلطة مكتوفة الأيدي أمام اكتساحه؛ وأمام هذا العجز جاءت فتاوي الفقهاء؛ للتخفيف نسبيا على الفلاحين ومؤجري الأراضي

1- الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 69.
2- المرجع نفسه، ص 63.
3- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص713.
4- ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تح وتق: محمد بن شقرون، إشراف: إحسان عباس،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص275.
5- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص67.
6- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 188.

بحيث تسقط تكاليف الكراء إذا كان الجراد سببا مباشرا في إتلاف المحاصيل سواء بشكل كلي أو جزئي باعتباره من الجوائح[1].

شكل الجراد أزمة أرّقت السلطة المرابطية، وكانت له انعكاسات سلبية على إيرادات الدولة من حبوب ومحاصيل وأعلاف، حيث دفعت بالأمراء إلى البحث عن حلول لمكافحته، كدفع الناس إلى الخروج لقتله[2].

المطلب الثاني: العوامل البشرية:

لعبت الأسباب البشرية دورا جوهريا في وجود الأمراض وانتشارها، سواء من حيث سلوكات الفرد أو القرارات السياسية والأنماط المعيشية، كما ساهمت التمثّلات الاجتماعية والدينية هي الأخرى في تشكل موقف من المرض، حيث كان يرى البعض المرض ابتلاءً إلهيا، مما دفعهم إلى رفض العلاج أو السكوت والتستر على المرض، وهو ما ساهم في تفاقم الحالات المرضية وانتشارها داخل المجتمع. ما كان يحدث من أمراض جرّاء أفعاله؛ كالحروب والحصارات التي كانت تفرض على المدن، والتي كان في مقدمة نتائجها المجاعات، التي كانت تسحق فئة لابأس بها من الناس، كما خلفت الحروب مجموعة من الأمراض؛ التي اجتاحت مدن المغرب الأوسط في الحقبة الزمنية الوسيطة.

1-الحروب والحصارات:

شكلت الحروب والفتن سمة أساسية من سمات العصر الوسيط، إذ لا تكاد الحروب تنتهي حتى تتصاعد وتيرتها من جديد، مخلفة وراءها كمّا هائلا من الخراب والدمار، وكل أنواع الجوع والفقر والعوز، كما صاحبت كل ذلك انتشار بعض الأمراض خصوصا الأمراض النفسية كالخوف والاكتئاب، وما لها من لها تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب الأوسط، وكان ابن حوقل(ت بعد367هـ/ 977م) شاهد عيان على سوء الأحوال الاجتماعية؛ التي آلت إليها

1- عبد الهادي البياض، المرجع السابق ، ص 65.

2- المرجع نفسه، ص ص177-178.

"تاهرت" بسبب الحروب والفتن؛ حيث قال: "وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه، فأهلها وجميع من قاربهم من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم، ودوام القحط وكثرة الموت والقتل"[1].

وهو الحال أيضا بالنسبة لتلمسان عاصمة الزيانيين، التي تعرضت لحصار طويل دام قرابة ثمانية أعوام، كان من مخلفاته الخراب والدمار، فعندما ذكر ابن الأحمر تلمسان قال:" فتلك السهول البهيجة؛ زالت وخربت وجاع أهلها، وهدمت دُورها حتى أن بعض المصادر تذكر أنه في أثناء الحصار، بيعت الكلاب والقطط والفئران والثعابين؛ ليَسُدّ بها الأهالي رمقهم"[2].

وبناء على ما سبق يمكن اعتبار الحروب والحصارات من العوامل الجوهرية في إيجاد بعض الأمراض الجسدية والنفسية؛ والتي عانى منها أفراد مجتمع المغرب الأوسط، وأن الكوارث الطبيعية وما صاحبتها من مجاعات في الكثير من الأحيان، كما خلّفت سلوكات دفعت بإنسان المغرب والأندلس إلى العودة إلى البراري والغابات لتلبية حاجاته الغذائية، وأصبح في مرتبة منافس للحيوانات البرية؛ وتمرّس على تحضير أغذية مؤلفة من نباتات برية أخضعها بمهارته؛ لسد رمقه، ومن هذه النباتات على سبيل الذكر لا الحصر: تابودا؛ الطهف؛ البلوط؛ الشيلم[3]، بقلة دعاع[4]، وثمر شجرة الجميز، ولنتخيل ما كانت تسببه هذه النباتات من أمراض وعوارض صحية على صحة الإنسان[5].

1- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93.

2- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 42.

3- **الشيلم**: هو من نوع النباتات التابعة لجنس تاشيلم من فصيلة القبئية له عدة أسماء منعا الشولم وجاودا وجويدار، وفي إفريقيا يعرف بسلت، وهو من لحبوب الشتوية الصالحة للأكل يشبه القمح ويدعى بقمح الأراضي الرملية والأماكن الجبلية، ومن أضرار أنه يسبب الداء البطني ويستعمل كغذاء مليين، ويُعرف بجاودار أو جويدار شالم وسلت. ينظر: سمير إسماعيل الحلو، القاموس الجديد للنباتات الطبية، ط1، دار المنار، جدة، 1999م، ص 89.

4- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص ص 183-184.

5- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص ص 67-68.

2- المبادلات التجارية:

كما اعتبرت المبادلات التجارية سببا وجيها في حلول بعض الأمراض، ومساهمتها في انتقال العدوى من منطقة إلى أخرى، وقد تنبه الدكتور بولقطيب لذلك، وجعلها عاملا أساسيا في انتشار الأمراض، حيث قال أن التجارة بالرغم من أنها ناقلة للخيرات المادية والأفكار؛ فإنها تعدّ أيضا ناقلة للمرض والعدوى[1]، كما أن عدم توفر الرقابة الصحية الدائمة، وحرية تنقل الإنسان والحيوان على نطاق واسع بين المدن دون تتبع الشروط الصحية، ساعد وبشكل كبير في انتشار الأمراض المعدية والفتاكة في مدن المغرب الأوسط، فقد كان النازحون والمسافرون؛ يدخلون مدينة تلمسان ويقيمون فيها متى شاءوا، وهذا الأمر جعلها وغيرها من مدن المغرب الأوسط عرضة للأمراض بمختلف أنواعها، فتنقل القوافل التجارية من مكان إلى آخر؛ كان يسبب في توسيع دائرة العدوى ونقل الأمراض من المناطق التي بها المرض إلى مناطق أخرى[2].

كما اعتبرت ظاهرة زيارة الأضرحة، دور لا يستهان به في انتشار العدوى، وذلك راجع إلى الطقوس التي كان يقوم بها الزائر كتخضيب اليدين بالحنة؛ وتلطيخ الجدران وملامسة الضريح والتمسح بالتراب، والقيام بالحضرة والتجمعات التي كانت تخرق قانون الحجر الصحي، وتداول الناس على فعل تلك أمور كانت تساهم في انتشار المرض واستفحاله[3]، وهناك أسباب طارئة أو خارجية لبعض الأمراض، كالجروح بآلات القاطعة، والرضوض بالأحجار، ولدغ الأفاعي والحشرات، والإصابات الناجمة عن الشمس المحرقة والبرد القارس وما شابه ذلك[4].

1- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 51.
2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 244.
3- أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص 129.
4- عبد الكريم شحادة، المرجع نفسه، ص45.

3- الأغذية والأخلاط:

تندرج الأغذية ضمن العوامل المسببة للأمراض[1]، لأن كل الأغذية التي يتناولها الإنسان بعد الهضم تستحيل إلى أخلاط أربعة[2]، فتوازنها يعني سلامة البدن، وإذا اختلّت هذه الأخلاط كان المرض، وعلى هذا الأساس تمّ ادراجها ضمن أسباب الأمراض التي يتعرّض لها الإنسان، كما تسبِّب الأعمال الشاقة، وبذل المجهود في العمل أو السفر التعب والإعياء، اللذين يعدان مصدرا للأمراض[3]؛ فينجم عن كثرة الوقوف آلام بالقدمين، كما يؤدي إلى تورم أطراف الجسم، الذي يصاحبه ضرر يصيب كامل الجسم بالآلام والحمى[4].

ورأى ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) أن أصل كل الأمراض هو الأغذية، مستندا إلى مقولة "المِعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ والحِمْية رَأْسُ الدَّاءِ، وأَصْلُ كُل دَاءِ البَرْدة"[5]والتي تشير إلى أهمية الاعتدال فب الغذاء والحمية رأس الدواء. وقد جمع القرآن الكريم الطّب في نصف آية، في قوله تعالى:﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِيْنَ**﴾[6].

وحسب ابن خلدون؛(تـ808هـ/1406م) فإن أهل الحضر والأمصار أكثر عرضة للأمراض، لأنهم يعيشون حياة الرخاء والرفاهية، يعتمدون على أصناف متنوعة من المأكولات مع عدم تنظيم أوقات تناولها، وقلة ممارستهم للرياضة، لميلهم إلى الدّعة والسكون، ناهيك عن فساد الهواء لمخالطته الأبخرة العفنة الناجمة عن تراكم الفضلات، وتصاعد الدخان من فوهات المصانع، مقارنة بأهل البدو؛

1- ابن هيدور أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد، المقالة الحكيمة في الأمراض الوبائية، جامعة الدول العربي، ص 37و.

2- **الأخلاط الأربعة:** تتمثل هذه الأخلاط في أربعة أنواع وهي: الخلط الصفراوي، والخلط البلغمي، الخلط السوداوي، الخلط الدموي، للمزيد من المعلومات عن الأخلاط. ينظر: ابن سينا، القانون في الطب، ص ص28-30.

3- الصحاري، المصدر السابق، ج1، ص 303.

4- محمد صديقي، الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي، ما بين القرنين 5-7هـ/11-13م، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ)، (منشورة)، جامعة حمّه لخضر، الوادي2020-2021م، ص 64.

5- ذكر ابن خلدون بأنها مقولة للحارث بن كندة طبيب العرب أو غيره والبردة تعني التخمة؛ وهي إدخال الطعام على الطعام، ورأس الطب هو الحمية بإجماع الأطباء. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 115.

6- سورة الأعراف، الآية29.

الذين اعتمدوا في الغالب على غذاء واحد، مع ممارستهم لنشاطاتهم اليومية وترحالهم المستمر ؛ التي تندرج ضمن خانة الرياضة؛ كما أنهم متعودون على الجوع، لقلة الحبوب لديهم[1].

ويعدّ ركوبهم الخيل والصيد رياضة، كانت تحسن عملية الهضم عندهم، مما جعل أمزجتهم معتدلة، بالإضافة إلى نظافة الهواء في البوادي والأرياف لقلة العمران والسكان، وقد جعلهم ذلك في غنى عن الطبيب، إلا للضرورة القصوى، لذلك لا نكاد نسمع عن وجود طبيب أو ممارسة للطبابة في البوادي والأرياف[2].

لقد تضافرت عدة عوامل في المغرب الأوسط؛ ساعدت على ظهور العديد من الأمراض، التي يمكن حصرها في عاملين رئيسيين، عامل طبيعي له ارتباط وثيق بالمناخ وتغيراته، والجوائح الطبيعية والجراد، وعامل بشري تمثل أساسا في توالي الحروب والفتن، والتي كان لها تأثير شديد الوقع على المجتمع المغرب الأوسط، وسلوكياته ونشاطه الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

المبحث الثاني: أنواع الأمراض:

تضافرت مجموعة من العوامل والأسباب أدّت إلى إيجاد عدّة أمراض في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، والتي يمكن تصنيفها إلى الأمراض العضوية وهي التي الأمراض التي تصيب البدن كلّه أو جزء منه أو أحد أطرافه، والأمراض النفسية أو ما تعرف بالاضطرابات النفسية، وهي حالات تؤثر على تفكير ومزاج وسلوك الشخص وقدرته على التعامل مع ضغوط الحياة اليومية.

وفي خضم الحديث عن الأمراض التي اشتكى منها سكان المغرب الأوسط، لا بد لنا من الإشارة إلى الأمراض التي تعرض لها سكان المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، باعتباره وحدة جغرافية، لا يمكن التمييز بين أقاليمه الجغرافي؛ لتشابهها في عناصر المناخ والتضاريس وحتى الغطاء النباتي، وباعتبار أنّ المغرب الأوسط، كان جزء من المغرب الإسلامي، حيث يقع على الجزء ما يقع

1- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 118.
2- المصدر نفسه، ج2، ص119.

على الكل، وعلى هذا الأساس يمكن أن نضع إسقاطات، لبعض الأمراض التي تعرض لها سكان المغرب الإسلامي، وفي هذا المبحث سأتطرق إلى ذكر أنواع الأمراض العضوية والنفسية، التي عانى بعض سكان المغرب الأوسط. وقد قسمتها إلى أمراض عضوية وأخرى نفسية وهي كالآتي:

المطلب الأول: الأمراض العضوية:

عرّف الأطباء الأمراض العضوية بأنها تتمثل في الأمراض التي تصيب أجهزة البدن وأعضاءه، حيث عانى سكان المغرب الأوسط لجملة من الأمراض، التي تفشت بين طبقات هذا المجتمع، واستفحلت بين فئة الفقراء وعامة الناس، بسبب قلة الوعي الصحي، وانعدام شروط النظافة في أغلب الأحيان نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانوا يمرون بها[1]، وهي كالتالي:

أولا: أمراض العيون:

أصيب بعض سكان المغرب الأوسط بأمراض العيون، وهنا لا نتحدث عن المرض الناجم عن الكبر فالإنسان، بعد تقدمه في السن يضعف بصره، بل نتحدث هنا عن مرض العيون كداء يصيب فئات كبيرة من البشر وقد كان سكان قسنطينة يعالجون ضعف البصر[2].

1- ضعف البصر والرّمد:

وعندما تحدّث حسن الوزان (ت بعد957هـ/1550م)، عن نوميديا ويقصد بهم سكان بلاد النخيل، قال أنَّ الكثير منهم كانوا يعانون من ضعف البصر؛ لتعرض بلادهم للرياح الشرقية المحمّلة بالرمال والغبار وارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف[3]، التي تسببت في التهاب العيون، بين الناس

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 243.

2- ابن قنفذ أحمد بن حسن علي القسنطيني، أرجوزة في الأغذية والأشربة، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم المخطوط: 179.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص82.

ولكن سرعان ما يكانوا يتماثلون للشفاء[1]، كما عانى سكان تلمسان من مرض الرّمد[2]، واستعملوا الكمأة لتقوية البصر[3]، والاكتحال بالإثمید؛ لعلاج الأمراض التي كانت تعرج على العينين[4].

2- وجع الأسنان:

اشتكى بعض سكان تلمسان من وجع الأسنان؛ لأنهم كانوا يشربون الماء البارد بعد تناولهم الأطعمة الساخنة[5]، وقد عانى أيضا سكان بلاد النخيل من أمراض الأسنان؛ فقال عنهم حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)، بأنهم كانوا يفقدون أسنانهم؛ لأكلهم التمر بشكل كبير[6].

ثانيا: الأمراض الصدرية والجهاز التنفسي:

عانى ساكنة تلمسان من مرض البلغم(الحنجرة)[7]، وقد ذكر ابن مرزوق أن أبي الحسن المريني(732-752هـ/1331-1351م)، كان يعاني من وجع في بطن كوعه الأيمن، بسبب بلغم تحجر فيه، وقد عانى منه عناء شديدا؛ فأشار عليه ابن مرزوق بأن يكشف عنه طبيب يهودي كان مشهورا بتلمسان؛ فرفض السلطان ذلك في البداية ثم امتثل للأمر بعد ذلك، حيث فحصه الطبيب

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص126.

2- الرّمد: وهو من أمراض ملتحمة العين، حيث تصاب الملتحمة بالتورم، انتفاخ الأجفان واحمرارها مع دمع سائل ورطوبة كثيرة، وكان يحدث هذا المرض بشكل كبير في فصلي الخريف والربيع، كان يصاب به الصبيان، مما يدفعهم للبكاء الدائم؛ لشدة ما يصاحبه من ألام وثقل آلات العينين، كما كان يصاب به الكبار كذلك. ينظر: أبو علي يحي بن عيسى (ت93هـ/711م)، مخطوط تقويم الأبدان بمداواة الأمراض المجتمعة في ثلاثة أجناس متشابهة وأليه وانفصال الاتصال وأسباب كل مرض وعلامته وتدبير ما يكثر فيه من الأمزجة والأسنان والأزمنة والبلدان، ص20 و. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 246.

3- الكمأة: يسمى بنت الرعد أو **ترفاس**، وهو نبات شكله كالكرة وهو لا أوراق ولا ساق ولا زهر له، وهو أنواع كثيرة منها الطّراثيث والفُطرُ ويعرف بالعربية الفصحى بنبات أوْبر. ينظر: سمير إسماعيل الحلو، القاموس الجديد للنباتات الطبية، ط1، دار المنار، جدة، 1999م، ص 97.

4- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 246.

5- المرجع نفسه، ج1، ص 244.

6- حسن الوزان، المصدر السابق، ص 81.

7- **البلغم**: الذي نجم عنه التهاب الحلق وتورمه، وكانت تصاحبه حمى، وفي بعض الأحيان كان مصحوبا بالسعال. ينظر: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 244.

ووصف له الدواء المناسب لعلّته؛ وقد لقي الطبيب الذمي استحسان السلطان، حتى أن السلطان المريني طلب منه الدخول للإسلام لكنه رفض ذلك[1].

وباستناد على ما سبق يمكن القول، بأن هذا المرض كان معروفا بين الناس في الدولة الزيانية، ويمكن معالجته، وقد ذكر ابن البيطار أن مضغ المصطكي نافع للبلغم، وقد كان يُجلب في رحال القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان إلى المغرب الأوسط[2].

ومن الأمراض الصدرية التي اشتكى منها بعض سكان المغرب الأوسط، مرض النزلة[3] الذي أصيب به أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان(681-703هـ/ 1282-1303م)[4]، وكان من أعراضها العطش الشديد، وقد تسببت في وفاته وذلك سنة 703هـ/1308م[5]، كما أصيب بعض الناس بتلمسان بمرض السّعال[6]، ويعرف أيضا بالزكام، وذلك بسبب المناخ الذي ساد تلمسان[7]، ومن الأمراض التي عانى منها سكان تلمسان بسبب كثرة تقلبات الجو وشدّة البرد، مرض الخرانيق[8]،

1- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 382.

2- ابن البيطار، المصدر السابق، ص 40 و.

3- **النزلة**: تتمثل في الرطوبة التي تتجمع في الدّماغ؛ فيضعف عن تصريفها، بحيث تخرج عن طريق الفم والأنف وتسبب هذه الأمراض ضيقا في التنفس للمصابين بها. ينظر: الأنطاكي، المصدر السابق، ص 47.

4- أبو زكرياء يحي ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق وتح: عبد الحميد حاجيات، طبعة خاصة، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص232.

5- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، تح: محمود آغا بوعياد، (د ط)، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص 131.

6- السّعال: من أمراض الحلق والحنجرة كان يظهر في فصل الربيع، ويعرف كذلك بالزكام، ومن أنواعه السعال الديكي والسعال العارض. ينظر: أبو علي يحي بن عيسى، المصدر السابق، ص 28 و.

7- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 245.

8- الخرانيق: الخناق وهو ضيق يحدث في الحنجرة والحلق، وذلك بسبب ورم في تلك العضلة، ومن أعراضه ضيق في التنفس، وصعوبة الابتلاع وتدلي اللسان لبقاء الفم مفتوحا، وجحوظ في العينين، وإذا اشتدّ الوجع بصاحبه ربما تنتفخ الرقبة والوجه. ينظر: أبو الفرج علي بن الحسن بن هندو، مفتاح الطب ومنهاج الطلاب، تح: مهدى محقق، محمد تقي دانش، مؤسسة مطالعات إسلامية، تهران 1368هـ، ص 126.عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 245.

وخشونة الحلق حيث استعملوا بذر الكتان لعلاجها[1]، ومرض الرّبو الذي يحدث رجرجة في الصدر وفي الحلق بسبب ضيق التنفس[2].

وقد عانى العلامة ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) من مرض التهاب المفاصل شبه رئوي، الذي كان ينتشر في المدن التي مناخها شديد البرودة، وذكر ذلك الدكتور أبو القاسم سعد الله نقلا عن الدكتور الجليلي –الذي كانت له أبحاث عديدة عن ابن خلدون(تـ808هـ/1406م)– وأرجع سبب حدوته إلى البرد الشديد الذي تعرض له عندما سلبه بنو يغمور بنواحي تلمسان كل شيء حتى ملابسه، أثناء سفره من بسكرة إلى فاس، وقد أثر المرض على صحته إلى أن توفي به[3].

ثالثا: الأمراض الدموية والمستعصية:

من الأمراض الدموية التي كانت تصيب الناس في وقت النشأة مرض الحصبة، ويعتبر كلا من الجذري والحصبة عبارة عن بثور تحدث على مستوى الجلد، والسبب فيها يرجع إلى مادة رديئة محمولة في الدم، الذي يتغذى به الجنين في فترة الحمل، أما الفرق بينهما هو أنّ بثور الحصبة أصغر من بثور الجذري، وعلاماتهما، الحمى وحكة كقرص البراغيث، واحمرار البدن وبريقه واشتداد وجع اللثة ووجع الظهر[4]، ويكتمل خروج هذه الحبوب في ثلاثة أو سبعة أيام، وأسلمها التي تكون حباتها قليلة ومتفرقة، وأردؤها ما صاحبها القيء والإسهال، وهو مرض معدي بالرائحة، ومن علامات الحصبة شدّة القلق والكرب والغشي وخشونة الحلق واشتداد حرارة الجسم وتصلبه[5].

1- سعد شخوم، الصناعة الصيدلية في الدولة الزيانية، الناصرية الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مج 4، العدد 01، جوان2013م ص86.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص245.

3- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص210..

4- أحمد بن محمد بن يحي البلدي، تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تح: محمود الحاج قاسم محمد، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م، ص 323.

5- الأنطاكي، المصدر السابق، ص ص 335-336.

ويصاحب هذا المرض حمّى دموية، وربما كان هذا المرض قاتلا إذا كان الدم المتولد عنه دما فاسدا جدا[1]، وقد ذكر عبد العزيز فيلالي بأن هذين المرضين قد أصيبا بهما بعض الأطفال، في الدولة الزيانية[2]، وقد ذكر الونشريسي(تـ914هـ/1508م) مسائلة حول الجذري[3].

وعلاج الحصبة والجذري، بالفصد أو الحجامة في حالة ما إذا لم يثورا في بدن العليل، أما غذائه فيكون بسقي المريض بماء الشعير والعدس المقشر والقليل من النشا والسكر؛ ودهن اللوز وبعض الزبيب الأحمر والقراصيا والتمر الهندي[4].

2- المرض العضال:

ويطلق المرض العضال على كل مرض مزمن يصاب به الإنسان، ومن أعراضه أن المصاب به لا ينطق ولا يبصر ولا يحرك ساكن، فهو شبه غائب عن الحياة، ولا يبرأ منه صاحبه مدى الحياة ونهايته الموت أو الشفاء بمعجزة إلهية، وقد ظهر بعض المصابين به في المغرب الأوسط[5].

3- مرض الجذام:

انتشر داء الجذام بين سكان المغرب الإسلامي؛ بما فيهم سكان المغرب الأوسط، ويعرف الجذري على أنه علّة تُعَفِّن الأعضاء وتشنِّجها، فتسبب قرحات حادة، ويصاحبه بحة في الصوت وتمرّط الشعر، ومن شدّته يتساقط لحم المصاب به، وتهترئ أصابعه وتتقطع، ويأتي هذا المرض في المرتبة الثانية بعد الطاعون من حيث الخطورة[6].

1- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي، الكليات في الطب، مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية، إشر: محمد عابد الجابري، سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1999م، ص232.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص246.

3- سؤل عن شاة وجد بلحمها الجذري فهل هو عيب ترد به، وكان جوابه بأنه عيب ترد به قبل الذبح، أما بعد الذبح فهو عيب باطني، لا يرد لصاحبه. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 50.

4- أحمد بن محمد بن يحي البلدي، المصدر السابق، ص ص235- 236.

5- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، ص 141.

6- الذهبي، المصدر السابق، ص242.

ونعته ابن زهر بالعلّة الكبرى، ومن مساوئه أن لحم المريض يبدأ في التساقط عند استفحال الدّاء، وكان محمد بن عبد المؤمن بن علي مصابا بهذا المرض[1]، كما أصيب به أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1163-1184م)، الذي سقط بعض جسده دون أن يبالي للألم، ومن الإجراءات التي اتخذتها الدولة لتفادي العدوى، خصصت لهم حارة كانت تدعى "حارة المجذومين"، كما بنوا البيمارستانات وخصصوا لهم أماكن وأطباء كانوا يراقبون أحوالهم[2].

وعلى العموم فإن هذا المرض كان منتشرا على نطاق واسع، وقد خلق مشاكل اجتماعية ونفسية للمصابين به وللأفراد المحيطين بهم[3]، وكانت هناك فتاوي حول حكم الشرع في مخالطة المجذومين[4]، والتي وردت ضمن كتب النوازل[5].

4- ورم السّرة:

قال ابن سينا(ت 428هـ/1037م) أن سبب هذا المرض هو ظهور نتوءات بالسّرة، قد تكون على سبيل الفتق وتارة على سبيل ورم صلب أو زيادة لحم تحت الجلد[6]، وظهرت حالات مرضية في

1- الناصري، المرجع السابق، ج2، ص 145.

2- المرجع نفسه، ج3، ص 65.

3- وهناك حديث يقول فيه صلى الله عليه وسلم:{**لا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلى المَجْذُومِين**}، وقال ابن قتيبة في ذلك إنه قد يتأذى من قارب المجذوم بالرائحة لا بالعدوى، وقيل إن الرائحة أحد أسباب العدوى، وكلّ ذلك بقدر الله تعالى، فعن جابر بن عبد الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم{ **أَخَذَ بِيَدِ رَجُلٍ مَجْذُومٍ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ فِي القَصْعَةِ ثُمَّ قَالَ كُلْ ثِقَةً بِاللهِ وتوَكَلاً عَلَى اللهِ**} ومفاده أن الله تعالى هو القادر على كل شيء، ولا شيء يحدث إلا بمشيئته تعالى. ينظر: ابن ماجة، المصدر السابق، رقم الحديث: 3542، ص 1304. الذهبي، المصدر السابق، ص 242-244.

4- ويعتبر مرض الجذام من الأمراض المعدية، وقد ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في العديد من المرات، فعن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال: **{كَانَ فِي وَفْدِ ثُقَيْف رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم: ارْجَعْ فَقَدْ بَايَعْنَاكَ}**. ينظر: أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2246، ص 1062. فايز الداية، معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990م، ص 197.

5- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 56.

6- ابن سينا، القانون في الطب، ج2، ص 817.

تلمسان عانت من ورم السّرة[1]، لكن لم تكن هناك تفاصيل حوله ولا ذكر أن أحد أصيب بيه، إلا أن الزهراوي(ت404هـ/1013م) ذكر السرة وما يعرض لها من نتو بسبب انشقاق في الصفاق، فيخرج منه الثرب يكون لونه مشابها للون الجسد، وملمسه لينا من غير وجع، ويكبر هذا الورم عند الدخول للحمام والتعب الشديد، وان كان سببه دم منبعث من الوريد أو الشريان فهو خطير والمستحسن تركه ويمتنع من علاجه[2]، بالإضافة إلى الدماميل والأورام المستعصية، التي استفحلت في أوساط الأطفال[3].

رابعا: أمراض المفاصل والأعصاب:

يشمل هذا الصنف من الأمراض مجموعة من الحالات التي تؤثر على المفاصل والأنسجة المحيطة بها، والتي كانت تسبب آلام للمرضى، ومن أبرز هذه الأمراض والتي اشتكى منها بعض المرضى في المغرب الأوسط، وعالجها الأطباء المصابين بمرض التشنج والرياح الغليظة، وهي أمراض تصيب العضل في جسم الإنسان كمرض الفالج والنقرس[4]، عن طريق الاستحمام في المياه الساخنة، والتي كان يزخر بها المغرب الأوسط[5]، ومن هذه الأمراض أذكر:

1- مرض عرق النسا:

اشتكى بعض سكان بلاد المغرب من مرض ألم النسا (بوزلوم)، بسبب الجلوس على الأرض دون ارتداء السراويل[6]، ويعرف بعرق النسا، وهو ألم شديد حادث بالرجل يبتدئ من حق الورك والساق وينبسط إلى الكعب والخنصر والركب[7]، النسو، أو النَّسا عرق من الورك إلى الكعب، وعرق

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 245.
2- الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف، تح: قطب الدين أحمد، مطبعة النامي، تركيا، 1908م، ص 90.
3- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص244.
4- ابن سينا ، القانون في الطب، ج2، ص 137.
5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 245.
6- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 81.
7- ابن العشاب، المصدر السابق، ص518.

النَّسا هو من جملة أوجاع المفاصل، ويبدا الوجع من مفصل الورك وينزل من خلف الفخذ[1]، ويمتد أحيانا إلى الرُّكبة والكعب وأحيان يمتدّ للأصابع، وكلما طال زاد الوجع، وتهزل منه الرجل والفخذ، ويصعب على المصاب الاستقامة ويسكنه الفصد[2].

2- مرض النقرس:

يعد داء النقرس من الأمراض التي عاصرت العصر الوسيط، ويعرف أيضا بداء الملوك، وهو من أمراض المفاصل، يحدث في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين، لاسيما مفصل الإبهام[3]؛ ومنه جاءت التسمية؛ لأن مفصل إبهام الرِّجل يسمى نَقُورَوس ومن هذا المصطلح أخذ اسم النِّقرِس، ويبدأ وجعه من الإبهام أو من العَقب أو من أسفل القدم، وقيل أنه يبدأ من جانب ثم يَعُمُّ، وفي بعض الأحيان يصعد للفخذ وقد يتسبب في تورّمها[4].

ويرجع سبب حدوثه إلى بلغم مع مرّة صفراوية، وهو لا يصيب الصبيان والخصيان والنساء لقلة المرّة الصفراوية فيهم، وما أجمع عليه الأطباء أنه يتولد من قلة الهضم والدّعة والسكون وقلة الحركة بعد الأكل والجماع الكثير بعد الامتلاء، والسُّكْر المتواتر، كما أن الحمّام على الامتلاء والشّرب على الريق يجعل صاحبه عرضة لهذا المرض[5]، ويقال أنه كان ينجم عن شرب الخمر وأكل الدجاج وغيره من الأطعمة الشهية الفاخرة، وكان يصيب الملوك في القديم[6].

وقد يتوارثه الأولاد عن آبائهم، ويحدث في فصل الربيع لتحرك الأخلاط فيه وفي الخريف لرداءته، ويعود سريعا للعضو لأدنى سبب، وهو أنواع منه البلغمي وعلاجه يكون بالفصد والإسهال

1- ابن النفس، المصدر السابق، ص267.
2- ابن سينا، القانون في الطب، ج2، ص824.
3- ابن النفيس، المصدر السابق، ص 268.
4- الصحاري، المصدر السابق، ج3، ص 442.
5- ابن سينا، القانون في الطب، ج2، ص 825.
6- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 84. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 245.

لإخراج البلغم، والنقرس المراريّ، هو خطير حيث يعرض صاحبه للموت وخصوصا عند التبريد الشديد[1].

3- مرض الفالج:

يقال إن الفالج مشتق من الفَلْج: الذي هو الشق نصفين، والفالج هو استرخاء أحد شقّي البدن طولا، ومنه من يبدأ من الرقبة بينما يبقى الوجه والرأس سليمين، ومنه ما يسري في جميع الشِّق من الرأس إلى القدم[2]، وهذا الأخير يعرف بالسكتة[3]، وقد توفي به السلطان المريني أبو عنان سنة 755هـ/1354م[4]، ولربما هو نفسه المرض الذي عانى منه الشيخ أحمد بن مرزوق والد الخطيب، حتى صار يحمل على الأكتاف، وظل هذا المرض ينخر عظامه حتى يئس أهله من شفائه بالرغم من كل جهود التي بذلها الأطباء لعلاجه؛ ولما طالت فترة مرضه قام رجل يدعى عمر بن الحاج، بصنع عكازين من الخشب عند النجار، وصار ابن مرزوق يضعهما تحت إبطيه ويتكئ عليهما، عند المشي والوقوف، كما كان يدهن رجليه بالمراهم والدهون المرطبة، إلى أن تماثل للشفاء من مرضه[5]، وقال ابن البيطار بأن مسحوق نبات العاقر قرحا مع الزيت، ينفع المصاب بالفالج ويشعره بالاسترخاء وهذا النبات كان متواجد بالمغرب الأوسط[6].

خامسا: أمراض الكبد والمعدة والأمعاء:

تعتبر كل من أمراض الكبد والمعدة والأمعاء، من الأمراض الباطنية التي تعرض لها سكان المغرب الأوسط ومن هذه الأمراض:

1- الصحاري، المصدر السابق، ج3، ص 443.

2- ابن سينان القانون في الطب، ج2، ص 137.

3- الصحاري، المصدر السابق، ج3، ص ص 169 -170.

4- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ص13.

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 245.

6- ابن البيطار، المغني في الأدوية، ص50ظ.

1- مرض الكبد:

مرض الكبد من الأمراض الخطيرة، التي كان يموت من أصيب به، وكان هذا المرض يصيب النساء والرجال على حدّ سواء، وكان معروفا لدى الزيانيين[1]، وقد ذكر ابن مرزوق(ت781هـ/ 1380م)[2] أن والده أصيب به[3]، وقد استعمل اللوز المر والترمس بقدر معين لعلاجه[4]، ومن أمراض الكبد أيضا مرض اليرقان أو ما يعرف بالبوصفير أو الصفار، ومن أعراضه اصفرار الجلد وبياض العينين، و استعملوا نبتة الأرجيقن مطبوخة مع العسل، لعلاجه وقد كانت تنبت هذه العشبة بأحواز بجاية وسطيف، واستعمل الزبيب أيضا، في علاج هذا المرض[5].

ومن الأمراض التي اشتكى منها بعض السكان، وسمّوها جهلا بأمراض القلب، لتشابه الأعراض الظاهرة على المريض وموضع الألم، وهو مرض المعدة وضعفها[6].

2- مرض القولونج:

مرض القولونج وهو اسم للعلّة الحادثة في الأمعاء الغليظة؛ لبردها وكثافة شحمها، هو مرض معوي مؤلم يعسّر خروج الريح وينتج عن تخمر الأطعمة؛ كما يعمل على امتصاص السوائل مما يسبب

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص244.

2- **ابن مرزوق الخطيب**: وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحي بن أحمد بن الخطيب المشهور بابن مرزوق، العجيسي التلمساني، من علماء وفقهاء تلمسان ولد سنة 710هـ/1311م، رحل إلى بلدان عديدة وتوفي بالقاهرة ودفن بها سنة781هـ/1360م. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص 258.

3- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية، 2008، ص 223.

4- ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين، تح: الراضي الجازي وفاروق عمر العسلي، طبعة خاصة، بيت الحكمة، تونس، 2009م، ص ص 185-186.

5- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 52.

6- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص244.

الإمساك، كما يعدّ البلغم وأكل الفواكه الرّطبة كالعنب وشرب الماء مع ممارسة الحركة، وأكل البيض من جملة أسبابه[1]، يقال أن بلكين بن زيري بن مناد أنه كان يعاني من القولونج وتوفي بها 373هـ[2].

3- مرض الزرب(الإسهال):

صنّفت أمراض البطن في خانة الأمراض المستعصية، وترجع أسبابها إلى فساد الأغذية، وأحيانا أخرى لتلوث المياه، وأشار حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)، إلى أن شرب الماء البارد بعد الغذاء، يسبب أوجاع بالأمعاء، مما يؤدي إلى الإصابة بالإسهال[3]، ومرض الزرب أو الإسهال الحاد من أشد الأمراض فتكا بالناس، ويمكن أن يسبب الموت للمصاب، فقد توفي الأمير أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو (752هـ-1351م/795هـ-1393م)[4]، بوجع أصابه في بطنه، وأصيب المقري أبو عبد الله محمد التلمساني(ت759هـ/1359م) أيضا بالإسهال[5]، نتيجة إفراطه في شرب نوع من اليتوع المسمى "بحب القبيل"[6]، وتوفي أحمد الماواسي سنة 874هـ، بمرض الزرب الذي عانى منه مدة أيام[7]، كما توفي الشيخ الغماري بسبب الإسهال الشديد الذي أصابه سنة 874هـ/1470م[8]، وذكر

1- الصحاري، المصدر السابق، ج 3، 242.

2- ابن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص 286.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 83.

4- ابن الأحمر إسماعيل، المصدر السابق، ص 58.

5- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن القرشي المقري التلمساني(ت759هـ/1359م) من كبار علماء المذهب المالكي، عاصر الشيخان عبد الرحمن بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب، ولد بتلمسان ونشأ بها ، وأخذ العلم من علمائها ثم سافر إلى تونس والمغرب، ثم رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج، وأخذ عن علماء مكة ومصر وبيت المقدس، ثم عاد إلى تلمسان ليشدّ الرحال إلى غرناطة، تولى قضاء الجماعة بفاس، في عهد أبو عنان المريني، ولورعه وعلمه بنى له أبو عنان لمدرسة المتوكلية، ثم اعتزل القضاء ورحل إلى الأندلس لأداء مهمة كُلّف بها، سنة 756هـ، توفي بفاس سنة 759هـ/1359م، ونقل رفاته إلى تلمسان بعد سنة من وفاته. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ج1، ص ص 311-312.

6- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط ، ص13.

7- ابن الأحمر، روض النسرين في دولة بني مرين، ص232.

8- **الشيخ أحمد الغماري (ت 874هـ/1469م)**: سكن تلمسان واستقرّ بها وأخذ العلم على علمائها أمثال موسى البطيوي وأحمد الماواسي ومحمد بن عمر الهواري الوهراني وأصبح إماما في علوم القرآن والحديث والفقه ينظر: ابن صعد، المصدر السابق، ص ص 30-31

لنا ابن القنفذ، قصة الصبي الذي كان يعاني من إسهال شديد، حتى إن الأطباء عجزوا عن معالجته، فقال بأنه أطعمه النبق، فبرأ مما كان به من داء[1].

4- الحميات:

هي الأمراض التي تمثل الحمى أبرز مظاهره؛ فترتفع درجة حرارة البدن عن حدها الطبيعي 37درجة مئوية[2]، وقد أصيب بها الرحالة ابن بطوطة أثناء رحلته بالحمى بمدينة بجاية، وهو في طريقه إلى الحجاز، كما تعرّض أحد الحجاج ممن كان في صحبتهم بالحمى بمدينة مليانة جراء القيظ الذي كان في ذلك الوقت[3].

5- سوء التغذية:

يعتبر سوء التغذية من بين الأمراض التي عرفها سكان المغرب الأوسط، وذلك بسبب الجفاف وقلة التساقط، مما أدى إلى ندرة الأغذية واحتكار المواد الأساسية كالقمح والزيت، كما ساهمت الحروب وما نتج عنها من حصارات وفقر إلى توسيع بؤرة المجاعة[4]، بين طبقات مجتمع المغرب الأوسط الفقراء منهم والأغنياء، غير أن هذه الفئة الأخيرة؛ كانت تمتلك عادة من مخزون الأغذية ما تستطيع به مقاومة الشدائد، أو كانوا يملكون المال لشراء احتياجاتهم الغذائية، بينما كان الفقراء يتخبطون في ويلات الجوع؛ فلم يكن لديهم من الأغذية ما يجتازون به حتى القوت يومهم؛ فكانوا يتساقطون واحد تلو الآخر[5]، وقد نتج عن سوء التغذية الهزال وشحوب اللون والصُّفرة وشحوب الوجه[6]، نتيجة

1- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 88.

2- أحمد محمد كنعان، المصدر السابق، ص 387.

3- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 33-34.

4- فليب عطية، أمراض الفقر، إشراف: أحمد مشاري العدواني، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص32.

5- صديقي محمد، المرجع السابق، ص 81.

6- دفعت المجاعة وقلّة الغذاء إلى إصابة السلطان الزياني أبو زيان، بالهُزال ونقص الوزن بسبب الحصار لمزيد من المعلومات. ينظر: الناصري محمد، المرجع السابق، ص ص174 -175

تناول الأغذية الفاسدة[1]، مما أدى إلى تفشي الأوجاع والإسهال والمغص الشديد[2]، وهذا الأمر استدعى من المحتسبين تشديد المراقبة لضمان جودة الأغذية، وذلك بمراقبة الخبّازين والفرّانيين، ومعاقبة من لم يمتثل للضوابط والقوانين العامة[3].

6- مرض الديماس وداء الشاخة:

لا يكاد يُعرف عن مرض الديماس شيء، سوى أنه يسبب عطش شديدا لمن يصاب به، وقد أصيب به عثمان بن يغمراسن بن زيان حيث أود بحياته[4]، أما داء الشاخة؛ فقد أصيب به أبو موسى أخو أبي زيد عبد الرحمن ابن الإمام، والذين تم ذكرهما أنفا[5]، ولم أقف على ماهيتهما ولا أسبابهما عند جمهور الأطباء.

سادسا: الأمراض الجلدية والجنسية:

عرف سكان المغرب الأوسط عدة أمراض جلدية وأخرى تعلقت بالجهاز التناسلي، وقد أصيب بها الأطفال والنساء والرجال على حد سواء وهي :

أ-الأمراض الجلدية:

انتشرت عدة أمراض جلدية بين سكان المغرب الأوسط، تسببت لهم آلام أو تشوهات جلدية مستدامة ومن بينها:

1- ابن هيدورا، المصدر السابق، 37ظ.

2- ذكر ابن مرزوق(ت781هـ) بأنّ صبي أكل حبة تين فأصابها مغص شديد. ينظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، درا وتح: سلوى الزاهري، ص 165.

3- السقطي، في آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال وكولان، باريس، (د ت)، ص ص 20- 30.

4- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 127.

5- المرزوقي، المصدر السابق، ص 265.

1- داء البرص والبهاق:

كلاهما من الأمراض الجلدية غير أن الفرق بينها هو أن البهاق يظهر على سطح الجلد وليس له سمك ولا غور؛ بينما البرص ففيه خشونة[1]، وقد كان الناس يستعملون نبات "آطربلال"، لعلاج مرض البهاق، أما بزر هذه الحشيشة، فكانت تستعمل لعلاج داء البرص، وذكر الونشريسي (تـ914هـ/1508م) في بعض المسائلات التي وردت إليه من بجاية، عن جواز شراء الأدوية من عطّار أبرص للأشربة والمعاجين، وأجاب بجواز بيعه، لأن مرض البرص لا يعدّ من الأمراض المعدي[2].

2-الفتق والمشق:

يعد المشق من الأمراض الجلدية[3]، وقد أصيب به الخليفة عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1130-1163م)، عندما خرج مع المهدي ابن تومرت(تـ524هـ/ 1130م)نحو الغرب[4]، ومن الأمراض التي كان يصعب التخلص منها داء الجرب[5]، حيث رأى البكري (ت 487هـ/ 1094م) بأن سببه كان الإكثار من تناول الزيتون والجوز اللذين كانا موجودان بكثرة في بلاد المغرب الأوسط [6]، واستعمل معدن الكبريت لعلاجه، فكان يطلب من المريض الاستحمام بالمياه الكبريتية لفعّاليتها في علاج الحكّة والجرب[7].

1- ابن النفيس، المصدر السابق، ص 313.

2- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 59.

3- المشق: ينجم المشق من تشقق يحدث نتيجة احتكاك الركبتين والفخذين من كثرة المشي، وينجم عنه حرقة شديدة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص 4210.

4- البيدق، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1971م، ص 18.

5- الجرب حكة بالجسم مع بروز بثور. ينظر: ابن النفيس، المصدر السابق، ص301.

6- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص83.

7- ابن الجزار، طب الفقراء والمساكين، ص 248.

أما الفتق فهو في الأغلب علة في الصفاق، وأكثر حدوثه يكون في البطن، وذلك بوقوع شق فيه يخرج منه جسم غريب كان محصورا فيه قبل الشق، وأردءه الذي يكون فوق السرّة[1]، ويظهر عند الحركة وحصر النفس[2]، وقد يكون سببه خلقي أو بسبب اختناق أو ضعف شديد، أو من وثبة شديدة، أو ضربة قوية على البطن[3]، وبخصوص الفتق فلم يكن منتشرا بكثرة بالمغرب الإسلامي[4]، وهو ما أكده حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)[5].

ب-أمراض الجهاز التناسلي والبولي:

وهي الأمراض التي تؤثر على الأعضاء التناسلية لدى النساء والرجال، وتضم مجموعة متنوعة من الحالات، ومن بين أمراض الجهاز التناسلي التي أصيب بها بعض سكان المغرب الأوسط نذكر:

1- داء الحصى:

أشار القاضي النعمان إلى داء الحصى، في سياق حديثه عن المرض الذي اعتري أبو عبد الله الشيعي(ت298هـ/911م) عند نزوله بإيكجان، وهو "داء الحصى"[6].

2- داء الزهري (الإفرنجة):

انتشر داء الإفرنجة (مرض الزهري) بين بعض سكان المغرب الأوسط[7]، وهو من الأمراض الجنسية التي تسبب الألآم الحادة وأوجاع فضيعة، وبثور وقروح، ويرجع سببه إلى الاتصال الجنسي مع النساء اليهوديات اللواتي حملن معهم هذا الداء، أثناء صدور مرسوم الطرد الذي أصدره الدون

1- عبد الله سنده، الطب المجرب والتداوي بالأعشاب من الأمراض الشائعة، ط1، دار المعرفة، بيروت لبنان، 142هـ/2007م، ص 315.

2- ابن سينا، القانون في الطب، ج2، ص 813.

3- عبد الله سنده، المرجع السابق، ص 315.

4- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ص 15.

5- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 85.

6- القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص 50.

7- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 244.

فيرديناند ملك إسبانيا، في حق يهود إسبانيا في 3مارس 1492هـ[1]، أين هاجر الآلاف من اليهود من بلده؛ فجاء الكثير منهم إلى بلاد المغرب[2]، وانتشر هذا المرض لاتصال عدد من المغاربة بأولئك اليهوديات[3]، وأول من أصيب بهذا المرض من الناس، تعرّضوا للطّرد وأجبروا على السكن مع البرصان خارج أسوار المدينة، لكن بتفشي هذا الدّاء واستفحاله؛ جعل الناس يتعايشون معه؛ فعاد المطرودون إلى بيوتهم[4].

وقد استفحل هذا الدّاء في إسبانيا والمغرب الأدنى، وانتشر حتى في المناطق المجاورة، ولم يكاد يسلم منه إلا القليل، ونجده عند سكان بلاد السودان، وأطلق عليه سكان البربر مرض إسبانيا، لأنه جاء عن طريقهم، أما أهل إفريقية والإيطاليون وأهل مصر والشام، فسموه "داء الإفرنج"، وقد فتك بأهل تونس خاصة[5]، أما الشفاء منه فكان بتغيير الهواء أو بتغير المصاب المنطقة التي هو بها، إلى مكان آخر، فكان يتماثل للشفاء، ومن المحتمل أن هذا الدّاء انتشر في المغرب الأوسط، وخصوصا أن في معظم حواضره كبجاية وتلمسان وقسنطينة، وجودت جاليات يهودية، وقد تكلم عن هذا الدّاء الطبيب نورالدين ابن ناصر الدين الشافعي المكي، الذي قال عنه الدكتور مصطفى خياطي بأنه من أطباء قسنطينة[6]، في كتابه تحفة الإمام، وذكر أدوية استعملت في علاجه مثل الزئبق والسكْوين، واشتكى بعض الرجال من انتفاخ الخصيتان، لدرجة أنها تشكل منظر غريب، وأرجع حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م) سببه إلى أكل الصمغ والإكثار من أكل الجبن المالح[7].

1- **فرديناند:** وهو ابن خوان الأول ملك آراغون ولدة بآراغون سنة 855هـ/ 1452م، تزوج بالملكة إيزابيلا ليصبح ملكا لآراجون وقشتالة، وقد كان قائد للحب ضد المسلمين إلى غاية سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس سنة 897هـ/1492. ينظر: محمد صديقي، المرجع السابق، ص 81.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص358.

3- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 60.

4- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، ص 140.

5- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 84.

6- مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، ط1، المؤسسة الوطنية، 2013م، ص119.

7- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص.85

المطلب الثاني: الأمراض النفسية:

لم تتطرق المصادر إلى ذكر الأمراض النفسية التي عانى منها سكان بلاد المغرب الأوسط، إلا بعض النتف المتناثرة بين طيات بعض المؤلفات، والتي لا تسمن ولا تغني من جوع، أو من خلال البحث المعمق في ثنايا المصادر تصادفك بعض التعابير والكلمات، التي تصبّ في خانة هذه الأمراض النفسية، كالخوف والقلق والصرع وغيرها من الأمراض التي سنتطرق إليها وهي كالتالي:

أولا– القلق والخوف:

القلق والخوف من أبرز الانفعالات النفسية التي تؤثر في سلوك الأنسان وتوازنه الداخلي، إذ يُعَبّران عن استجابات فطرية اتجاه التهديدات والمخاطر، سواء كانت حقيقية أو متخيّلة، ويظهران في صور مختلفة، ولهما انعكاسات في الحياة اليومية وعلى الصحة النفسية والعقلية .

1– القلق:

يعرف القلق على أنه هو شعور بالخوف الزائد من حدوث شر متوقع، يصاحبه الإحساس بالعجز عن مواجهته، وهذه الحالة النفسية المرضية تتميز بعدم الرضا والاضطراب، وتنجم عن الخوف لكنه خوف مما يمكن أن يقع غالبا، أو مما كان قد وقع.

وقال حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م) عن سكان المغرب الإسلامي، بأنّهم كانوا يعيشون في قلق مستمر، وربما ذلك راجع لشدّة فقرهم وقلة مكسبهم، وسياق حديثه عنهم صرّح بأنّهم شديدي الغضب؛ وقال:" فتجدهم في الأزقة التي يكثر فيها المارّة، يتعاركون ويتكلمون بأصوات مرتفعة، بسبب اهتمامهم المستمر بضروريات الحياة، وهذا الأمر يجعلهم لا يقبلون الفكاهة والمزاح وتجدهم في صراع مستمر مع متطلبات العيش، والذي يجعلهم يعيشون في حالة من الغضب والقلق المستمر إزّاء مصيرهم"[1].

1- حسن الوزّان، المصدر السابق، ج1، ص 88.

كما أن للأعراض النفسانية كالغضب والفرح والهم والغم والخجل أثر على البدن، فأما الغضب فإنه يسخن البدن، كما تصاحب الحُمّى الفرح الشديد، فمن الفرح ما قتل، والهم والغم يحدثان الحميات اليومية، فمن الحكم المأثورة، من كثر همه سقم بدنه ومن كثر همه فليكثر من الحوقلة فإنها مذهبة له[1].

ففي فترة الحصار كانت تظهر هذه الحالة النفسية؛ التي اتّصف بها بعض الفئات الضعيفة التي تلوذ بالحياد بدلا من اختيار جبهة معينة، فكانت تعيش في قلق بسبب هذا الموقف المضطرب، وقد ورد في السنة النبوية حديث للرسول صلى الله عليه وسلم ذكرٌ للهم والحزن فقال: **{اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحُزْن، والعَجَز والكَسَل، والجُبن والبُخْل، وضَلَع الدين، وغَلَبَة الرّجَال}**[2].

لقد تعوذ الرسول الله صلى الله عليه وسلم من الحزن والهم، وما يتولد عنهما من قلق ينشأ عن أمور ماضية لا يزال المرء يجش في ظل مخاوفها كالمصائب، أو ما ينشأ من أمور مستقبلية كالوعيد والتهديد أو الخطر المتوهم، فموجات المجاعة التي كانت تضرب المغرب والأندلس باستمرار، وما كانت تسببه من نتائج وخيمة، ولّدت بداخل مجتمع المغرب الإسلامي، أمراضا نفسية كالخوف الدائم من الموت جوعا[3].

وما صاحب ذلك من توتر وقلق؛ حيث كان الواحد منهم يشعر بالرعب الشديد حين سماعه صراخ الجيران من شدة الجوع؛ فتراوده الهواجس حين يفكر ولو للحظة أنه ربما سيكون فريسة لمن يتضور جوعا، حين يشتد عليهم الحال ولا يجدون ما يقتاتونه، وهنا كان الإنسان يتجرد من إنسانيته، ويصبح وحشا كاسحا تتحكم فيه غريزة البقاء من أجل مجابهة شبح الجوع، وهي من أبشع

1- إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق، تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، مكتبة الحقيقة، دار الشفقة، تركيا، 2011م، ص 373.

2- البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث: 6368، ص 1587.

3- سماح عبد المنعم السلاوي، (سلوكيات وأخلاقيات المجتمع اتجاه المجاعات والأوبئة عصر سلاطين المماليك (648-923هـ/1250-1517م))، المؤتمر الدولي العلمي، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج2، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين، أيام 24و25 جويلية 2021، ص 242.

الصور التي يكون فيها الإنسان على الإطلاق، وقد حفظت لنا بعض النصوص التاريخية، مشاهد مرعبة من هذا القبيل يحدث فيها المؤرخ عمّا آل إليه الناس حتى كان منهم من يأكلون أشلاء أمواتهم، فقد بلغت بهم الفاقة مبلغا عظيما، وقد ركّز العلاج النفسي على دراسة الأحوال الإجتماعية والمادية للمرضى وما لها من تأثير مباشر على النفس[1].

وما يمكن قوله هو أن الإنسان المنكوب لا يصل إلى هذا السلوك الشاذ، إلا بعد حدوث خلل في توازنه النفسي والاجتماعي؛ فيصل إلى درجة الهياج العصبي غير العادي، ويتملكه الغضب الشديد والتوتر ويعقبه تبلد في الإحساس[2]، وهذا ما يبرر موقفه اللاإنساني والسؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف لا يكون هناك أمراض نفسيّة صاحب هذه الأحداث القاسية، التي كانوا يتخبطون في ويلاتها سكان المغرب الأوسط في العصر الوسيط؟

ب- الخوف:

يعرّف الخوف على أنه حالة نفسية يشعر بها المريض لأسباب داخلية وأخرى خارجية، وتكون لها ردود أفعال يصدرها المريض حيال ذلك، فهذا الشيخ الآبلي أبو عبد الله بن علي، المشهور بعلومه العقلية والنقلية في عصر، الذي فرّ من تلمسان إلى فاس لخوفه من السلطان الزياني[3].

كما ارتبط مفهوم الخوف ارتباطا وثيقا بالحرب؛ لأنه في حقيقة الأمر إفراز طبيعي بالنظر للتهديدات التي طالت مجتمع المغرب الأوسط في عصره الوسيط، في ظل مكابدة الحروب والحصارات التي اكتوى بنارها، لا نقصد هنا الخوف من القتل في ساحة الحرب فقط، بل يتعدّاه إلى الخوف من السبي والاغتصاب الخوف من الجوع والنهب والتخريب الذي يطول الأملاك والممتلكات، وإن كان الموت هو الرابط المشترك بين جميع التخوفات في نهاية المطاف.

1- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 74.

2- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 193.

3-ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 266.

إلى جانب ما تخلفه الحروب والحصارات من خسائر مادية، وضغوطات نفسية وتولد الخوف مع كل غارة أو حرب أو حصار، فتتزايد دقات القلب؛ وتحوم الهواجس والتخوفات على نفسية الإنسان، ويراوده التفكير السلبي؛ كأن يكون ضحية للممارسات الشنيعة واللاأخلاقية من الطرف الآخر[1]، فمهلك علي بن يوسف بن تاشفين(500-537هـ/1106-1143م) سنة سبعة وثلاثين وخمسمائة، بعد ما وصلته أنباء أمرضته وأورثته الهم والغم، فأثرت عليه تأثيرا بليغا ألزمته الفراش[2].

فعندما أقدم الموحدون على إضرام النار في الحصن، الذي كان يتحصن به تاشفين وبعض ممن كانوا معه، ولما اشتدّ لهيب النار قرّروا الفرار؛ فقام ابن المزدلي بالتسلل بين الجثث ودخل وهران، لكنه توفي بعد ثلاثة أيام من وصوله للمدينة بسبب ما أصابه من صدمة وهلع[3].

وفي خضم المعركة التي دارت رحاها بين الزيانيين وجيش أبي زكريا الحفصي(626-646هـ/1228-1249م)[4]، حيث كثر القتل والنهب ومن شدّة الخوف الذي انتاب سكان تلمسان، حتى أنهم سارعوا للاختباء في قنوات صرف المياه والأماكن الخربة، خشية وقوعهم بأيدي جنود الجيش الحفصي، الذين لم يتوانوا في التنكيل بهم بعد ما سمعوا نداء الاستباحة.

أما عن ممتلكاتهم فلم يفكروا ولو لبرهة في تأمينها؛ بل تركوها للجنود كتأمين عن أنفسهم ليتمكنوا من الخلاص من قبضتهم، بعد ما شاهدوا اندفاعهم الجنوني سعيا للنهب والاستلاء على كل ما تسقط عليه أنظارهم، وتجلى ذلك في حوار دار بين تاجر أندلسي كان بتلمسان وأحد الجنود

1- ناصري محمد، الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني – دراسة في انعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية(633-962هـ1235-1554م)، (أطروحة دكتوراه منشورة)، جامعة جيلالي اليابس، بلعباس، 2020-2021م، ص 173.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 101.

3- أمبروسيوهويثي ميراندا، المرجع السابق، ص 125.

4- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15م، تر: حمادي الساحلي، ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1988م، ص 68.

الذي قام بتهديده فأجابه التاجر قائلا:" لا تهدّدوننا ولا نهددكم، جميع ما رزقني الله وأهل هذا الزقاق المغابن –مشيرا إلى الوضع– بين أيديكم"[1].

وهذا الحوار يوحي إلى حالة الخوف التي عاشها سكان تلمسان؛ فقد ابتذلوا أموالهم وأملاكهم فقط؛ لينجوا من ضربات السيوف الطائشة، فكيف كانت حالة الفقراء والعوام الذين لا يمتلكون ما يفتدون به أرواحهم؟ وإذا كان هذا الخوف والرّعب والهلع عند الرجال فما بالك بحال النساء؟ !فبعيدا عن الخوف من فقدان الزوج والأولاد والمال والأملاك، فقد راود المرأة الخوف والذعر من السبي والاغتصاب وانتهاك شرفها، وهو بالحق هاجس تجاوز فكرة الخوف من الموت في ظل مجتمع قبلي يقدس الكرامة والشرف.

وفي نظر هؤلاء النسوة كان الموت أهون من انتهاك العرض والشرف، وهذا ما قد نلمسه في الحوار الذي دار بين دعد قهرمانة القصر وأبي زيان والذي جاء فيه:" تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء، وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لاتهامكم، ولم يبق إلا فواق بكيئة لمصارعكم؛ فأريحونا من معرّة السبي وأريحوا فينا أنفسكم وقربوا إلى مهالكنا فالحياة في الذّل عذاب والوجود بعدكم عدم"[2].

وهذا الحوار إن دلّ على شيء؛ فإنما يدل على وفاء المرأة الزيانية للقيم القبلية، وحفاظها على شرفها وكرامتها؛ فكانت ترى في الموت شرف لها من الوقوع في معرّة السبي.

ومن مشاهد الخوف أيضا سكان تبحريت، الذين كانوا يعيشون في خوف دائم من هجوم النصارى عليهم بالليل، فكانوا لا ينامون الليل من شدّة خوفهم، ولا يستطيعون استئجار من يقوم بحراستهم لفقرهم الشديد[3].

1- ناصري محمد، المرجع السابق، ص 174.

2- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 129. الناصري، الرجع السابق، ج3، ص 87.

3- **تبحريت**: مدينة صغيرة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، في راس صخرة تبعد بنحو 12ميلا عن ندرومة في جهة الشمال الغرب. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 15.

ومن صور الخوف هي ما عانى منه سكان البوادي من غارات العرب، الأمر الذي جعلهم يعيشون في ذعر وهلع دائم؛ بحكم أنهم كانوا معرّضين للخطر في أي وقت، خاصة وأن البوادي كانت لا تتوفر على أسوار تحميهم كالمدن، ولا على حامية من الجيش ترد هجمات العدوّ عنهم، بل كانوا يعتمدون على أنفسهم في الدفاع عن أملاكهم، وذكر لنا صاحب المعيار صورة تعبر عن ذلك فقال سئل قاسم العقباني(ت871هـ/1467م) بخصوص هجوم جيش من الأعراب على قرية، ، ولما علم كبير القرية بما حدث، وخوفا منه على فساد القرية قام بدفع مائة دينار ذهبا لهؤلاء الأعراب حتى يأمن شرّهم[1].

ومن مظاهر الخوف، خوف التجار من اللصوص وقطاع الطرق، الذين كانوا منتشرين في الطريق المؤدية من تلمسان إلى فاس، حيث كانت مدينة أَنْكَادْ التي تقع ضمن إقليم مملكة تلمسان، مأوى لعصابة من اللصوص المشكلة من الأعراب، والذين هم دائما في حالة تأهب تام، للفتك بالمارين بالطريق[2].

وانتشر بين سكان المغرب الأوسط الخوف من الإصابة بالعين والحسد، والتي كانوا يعالجونها بالرقية، ومنهم من كان يستعمل التمائم، وقد كان اليهود شديدي الخوف من ذلك، وكانت لهم عادات لحماية المولود الجديد من مس الجن والعين الحاسدة، التي في اعتقادهم تصيب الذكر وسميت هذه العادة "بالتحديد"[3]، كما استعمل اليهود الأحجيات والطلاسم لحماية المولود الجديد من مختلف

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 115.

2- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 10-11.

3- التحديد: وهي عادة يقوم بها كل يهود المغرب الإسلامي، عند ما يكون المولود ذكرا، حيث كانت القابلة تقوم برسم خط بالرماد على جبين المولود، وهذه العملية تسمى بالخموسة، ثم بعد ذلك كانت تضع شب وحرمل في كيس صغير أو خرقة وتربط في ذراعه، وهذا لإبعاد العين والجن، ويوضع تحت وسادته سكين وحزمة من الملح، حتى لا ينتاب المولود الخوف. ينظر: فاطمة بوعمامة اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8 هجري، الموافق ل14-15 ميلادي، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص 148.

الأمراض، وهي عادة وعرف سائد بينهم، وهو ما جعل احتمالية انتشار هذه العادات بين اليهود المتواجدين بالمغرب الأوسط[1].

2- الضغوطات النفسية والاكتئاب (الماليخوليا):

ساهمت الحروب والحصارات المتوالية على مدن المغرب الأوسط كتلمسان في خلق خسائر بشرية ومادية معتبرة، كما أسهم في خلق الضغط النفسي وانتشار الأفكار السوداوية التي تعرف بالماليخوليا[2]، الذي انتاب أفراد المجتمع المحَاصر وقد دفع الاكتئاب[3]، وانعدام الحلول بالسلطان أبي سعيد عثمان(681-703هـ/1283-1303م) إلى الإقدام على الانتحار بتناول السّم واضعا حدّا لحياته، فقد كان خشية معرّة غلبة العدو بسبب ما تركه انهزامه أمام العدو في نفسه، وشعوره بالذّل؛ لعجزه من مواجهة الجيش المريني، والضغط الذي مارسه عليه شيوخ القبيلة حول مواجهة المرينيين؛ كما ازدادت عن شكاوي الناس من المجاعة التي ضرّت بهم جراء طول الحصار[4].

لقد ورث الخليفة أبو زيان (703-707هـ/ 1303-1308م) حكم الدولة الزيانية وهي في أشد أيامها[5]، نتيجة الحصار المسلط عليهم من طرف المرينيين[6]، الذي كان سببا في انتحار والده، فلم

1- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ ثقافة دين، تر: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، الدار البيضاء، 1987م، ص49.

2- وهو مرض يحُل في الجسم وتلحقه أعراض وأضرار للنفس، ومن أعراضه القلق والخوف وسببه هو صعود بخار سوداوي للدماغ فيُظلم العقل ويشوشه ويفسده حتى يمتنع عن إدراك الأمور، كما يُحدث في القلب الأحزان والمخاوف، ويظهر على البدن ضرر بدوام السّهر والهزال والحزن. ينظر: إسحاق بن عمران، مقالة في الماليخوليا، تح: عاد العمراني والراضي الجازي، بيت الحكمة، تونس، 2009م، ص ص 30-31.

3- **الاكتئاب**: وهو الشعور باليأس وفقدان الاهتمام بالأشياء والعجز عن التركيز، كما أنه يمثل الشعور بالعجز والميل إلى التخلص من الحياة، وهو مصاحب للقلق في أغلب الأحيان ويعرف بالماليخوليا. ينظر: عبد الرزّاق القلسي، الاكتئاب والطب النفسي في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المملكة المغربية، 2015م، ص 03.

4- التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح وتع: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص131.

5- المصدر نفسه، ص 131.

6- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص11.

يسلم هو الآخر من الضغط النفسي والإحباط الذي انتابه نتيجة عجزه عن إيجاد الحلول، فوقف مكتوف اليدين يشاهد ملكه وملك أجداده ينهار يوما بعد يوم، ورعيته التي لاتزال في صفه تدافع معه من جهة، وتصارع الجوع من جهة أخرى تكابد معه لآخر رمق، حيث كانت ترى في ملكها المنقذ الذي سيخلصهم لا محال من الوضع الذي ضاقوا ضرعا به، وقد وصل به اليأس إلى أن طلب من أخيه بأن يستعد لقتل حرمه ونساء القصر حتى لا تطولهم يد العدو، ثم قام فخطب أمام رعيته، وشحذ هممهم وطلب منهم المزيد من الصبر، وأنه لو اضطرّ به الأمر لن يتوانى في إطعامهم لحمه، وبيّن لهم أنه ليس في غنى عن الذي هم فيه، فقام بإحضار خمسة أو ستة من أعيان رعيته وأرسلهم إلى مطبخه ليشاهدوا غذاءه، والذي كان عبارة عن مزيج من لحم حصان وحبوب شعير، وأوراق من شجر ليمون وأشجار أخرى حتى لا يهزل جسده[1].

لقد كان الحزن والأفكار السوداوية التي خامرت ذهنه، وحرمته النوم والأكل حتى أصيب بالهزال وهو من عوارض داء الماليخوليا[2]، وبهذه المبادرة علمت الرعية أن الملك يعيش نفس الحالة من ضيق العيش، وخاطب الملك أبناءه وإخوته وكل الحاضرين بكلمات مؤثرة جرّاء الضغط النفسي والقلق، الذي كان يتملّكه نتيجة قساوة الحياة وشدة الحصار، وطلب منهم الاستعداد للخروج في اليوم الموالي لمواجهة الجيش المريني، قائلا لهم أنه مستعدّ للموت في ساحة الحرب، بدلا من الاستمرار في حياة البؤس والذل وأجهش بالبكاء. ولا يبكي الرجال إلا إذا بلغ بهم الأمر مبلغا عظيما، والبكاء هو تعبير عن شدّة الضغط والانهيار النفسي الذي انتاب السلطان الزياني، وبالفعل وصل السلطان لهدفه المنشود من الخطبة التي قام بها، إذ عبّر الكل عن موافقتهم ومساندة ملكهم، وفي هذه الأثناء

1- الناصري محمد، المرجع السابق، ص ص174 -175.

2- إسحاق بن عمران، المصدر السابق، ص 32.

وصلت أنباء وفاة يوسف بن يعقوب المريني (685/1286 -706هـ/1306م)[1] بطعنة خنجر من أحد الخصيان الذي كان يعرف بـ"لاسعادة"[2].

لقد كان للضغط النفسي الذي عانى منه السلطان الزياني، دافعا قويا للخروج ومواجهة العدو؛ وباعتبار أن الأزمة تولد الهمة، وقد أتى الخطاب الذي قام به السلطان الزياني أُكْلَهُ؛ وعبّر الناصري عن هذا اليوم فقال:" فخرج آل زيان وقومهم كأنما نشروا من القبور وكتبوا على أبواب بيوتهم" ما أقرب فرج الله"[3].

3- العزلة واليأس:

أثرت الأمراض على ذهنيّة مجتمع المغرب الأوسط في عصره الوسيط، لما خلّفته من آثار تعدّت كثيرا مسألة الحياة والموت، المرض والصحة، الوقاية والعلاج، نتج عنها اختلالات واضطرابات نفسية، أثرت بدورها على الصحة الجسدية، وقد تجعل الإنسان يتقبل كل شيء، فعثمان بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان (749-753هـ/1348-1352م)، حين وقع أسيرا لدى السلطان المريني أبو عنان[4]، تملكه اليأس من مصيره المحتوم، وبعد امتناعه عن الطعام والشراب، ليموت ويستريح، حتى أنه عندما جاءه النصراني المكلف بذبحه امتثل له، واستلقى على ظهره دون ورفع لحيته وطلب منه تنفيذ ما كُلّف به[5].

1- هو أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المكنى بأبي يعقوب، بويع بالحكم سنة 685هـ، كانت مدة حكمه 21سنة و 9أشهر و25يوما، وقتل سنة 706هـ. ينظر: ابن الأحمر، المصدر السابق، ص21.

2- مزاحم علاوي الشاهري، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب (العصر المريني)، مركز الكتاب الأكاديمي، دت، ص 285.

3- الناصري، المرجع السابق، ج3، ص86.

4- عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 225-226.

5- ابن الأحمر اسماعيل، المصدر السابق، ص 53.

كما خلق مرض الجذام الذي كان معروفا لدى سكان المغرب الأوسط، مشاكل اجتماعية ونفسية للمصابين به، حيث عاشوا في عزة وإقصاء داخل حارات في معزل عن الناس، مما جعلهم يعيش في عزلة تامة إلى غاية وفاته[1]، وهو حال المصابين بداء الإفرنجة والبرص[2].

كما أنّ هول الأمراض المعدية أثّر على نفسية الأفراد آنذاك، فخلق أزمات نفسية حادة، بعيدا عن الخوف والهلع والرّعب الذي بات عادة لديهم، فلو أجرينا مقارنة بسيطة بين ما كابده إنسان العصر الوسيط والحالة النفسية التي عاشها؛ في مرحلة من مراحل انتشار الأمراض الفتاكة؛ وبين ما عشناه اليوم مع جائحة كورونا كوفيد-19.

فما أشبه اليوم بالأمس! هذا الوباء الذي جعلنا نعاصر بعض الأحداث التي عاشها إنسان العصر الوسيط، فقد كان الموتان في الطاعون هو الطاقة القصوى للإبادة الجماعية في ذلك الوقت، وكان الرّعب الناس منه آنذاك يماثل رعب الناس اليوم من جائحة كورونا كوفيد-19، أما الفرق بيننا بسيط جدا، فإنسان العصر الوسيط واجه الحرب مع هذا الوباء دون أسلحة ولا أدوية ولا مخابر تجارب ولا شيء مما وُجد في الوقت الحالي من تطور تكنولوجي، ووجود مخابر بحث علمية تراعي وبكثب تطور الفيروس، وتبحث جاهدة في إجاد لقاح مضاد له، ومن جهة أخرى تجدها تولي أهمية كبيرة للتدابير الوقائية للتقليص من وطأته، ورغم كل الجهود المبذولة وقف العالم بأسره عاجزا مكتوف اليدين، مثلما وقف في نفس المكان إنسان العصر الوسيط، وما أريد الوصول إليه، أنه لو وضعنا بعض الإسقاطات على ما نعيشه وما عاشه سكان العصر الوسيط، لوجدنا بعض النقاط المشتركة، فكلا الطرفين تكبد خسائر جسيمة، مست كل نواحي الحياة، كما ولدت أمراض نفسية وأحدثت تغيرات ديمغرافية كبيرة- وغيرته وخلق عادات جديدة على المجتمع لم يعهدها أنفا.

وعليه فإن الأمراض النفسية التي تعرض لها الناس أثناء جائحة كورونا، كالتوتر والقلق والعصبية والوسواس القهري والرّهاب والعزلة ومرض الاكتئاب، والأرق وغيرها من الأمراض التي لا محال عرفها

1- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 56.

2- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 84.

مجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط، فالطاعون مثلا أفنى البشر، مخلّفا نزيفا ديمغرافيا ضخما، شبيه بالنزيف الذي خلفته جائحة كورونا.

4- مرض الأعصاب والجنون:

عانى بعض سكان المغرب الأوسط من مرض الأعصاب، الذي كان يصاب به الأطفال في غالب الأمر، ويشفون منه كلما كبروا، كما أصيبت به بعض النساء، وانتشر بلاد البربر والسودان فكان الناس يعتقدون أن هؤلاء المرضى كالمصابين بمس من الجن[1]، لذلك كانوا يلجؤون في غالب الأحيان إلى الرقية كعلاج له[2]، ومن الأمراض النفسية الشكية والنكد[3].

المبحث الثالث: الانعكاسات:

أفرزت الأمراض مجموعة من النتائج على كافة الأصعدة، فخلفت نتائج سلبية وأخرى إيجابية مثّلت لهذه الجانب المضيء، حيث أنها قلّلت من وطأة المحن وخففت الآلام التي تجرّعها سكان المغرب الأوسط خلال الحقبة الوسيطية، فكانت بمثابة البلسم على الجروح[4].فماهي هذه النتائج السلبية؟ وفيما تمثلت النتائج الإيجابية؟

المطلب الأول: الانعكاسات السلبية:

خلفت الأمراض التي تعرّض لها سكان بلاد المغرب الأوسط، العديد من الانعكاسات والآثار التي برزت وبشكل جلي على سلوكيات وذهنيات أفراد مجتمعه، وشكلت الأمراض المستعصية، أزمات نفسية نغّصت حياة المصابين بها، بعد عجز الأطباء في إيجاد أدوية تنفعهم، وأمام هذا العجز اتخذ الناس أساليب أخرى؛ كانوا يرونها حلولا لأزماتهم، فالتجؤا إلى التبرك بقبور الصلحاء والمتصوفة؛

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص85.

2- **الرقية**: وهي جمع رقى وهي العوَذَةُ التي يرقي بها صاحب، فيقال استرقيت فرقاني رقية فهو راقٍ، وتستعمل كعلاج للحمى والعين والصرع وغير ذلك. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ص 1711-1712.

3- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 244.

4- محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م، ص ص 150-151.

وممارسة السحر والشعوذة وأعمال الطلاسم[1]، وذلك راجع إلى ضعف الإنسان وقلة حيلته، وشعوره بالقصور، بعد أن عجز عن التحكم في مصيره، والتنبؤ بما يحمله له المستقبل[2].

1- انتشار ظاهرتي السحر والشعوذة

انتشرت ظاهرة الشعوذة والطقوس السحرية، داخل مجتمع المغرب الأوسط، وأسدلت بضلالها على فئة معتبرة من مجتمعه، مثله في ذلك مثل مختلف أقطار المغرب الإسلامي في العصر الوسيط كإفريقية وفاس وغيرهما، ممن عرف سكانها بتداول السحر والشعوذة[3]، وهي تصنف ضمن البدع والمحرمات، بل من الكبائر التي يسلط عليها الشرع أشد أنواع العقوبات[4].

وأجمع بعض المؤرخون على أن النساء كنّ أكثر إقبالا على السحر[5]؛ إذا ما قورن بالرجال، وذلك راجع لجملة من الأسباب والظروف لعلّ أبرزها العقم وتأخر الإنجاب، أو تأخر الزواج أو صعوبة الولادة أو الخوف من المرض بعض الولادة والحالة النفسية التي تعيشها[6]، أو مرض رضيعها الصغير أو محاولة تحصين الأولاد، أو مخافة الفقر والحاجة، وغيرها من الأمور التي دفعت بالنساء على مر العصور إلى البحث عن الحلول السريعة والتي حسب اعتقادهن تتمثل في الأعمال السحرية[7]، وبهذا كانت فريسة سهلة المنال للكهنة والسحرة[8].

1- **الطلسم**: وهي خطوط ورموز وأعداد يزعم كاتبها بأنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية، وذلك بغرض جلب محبوب أو دفع أذى أو ضرر عن الشخص الذي وضع له. ينظر: أبو يحي زكريا الأنصاري، المصدر السابق، ص 182.

2- تريكي فتيحة، (النباتات الطبية والممارسات السحرية في بلاد الأندلس بين العلم والوهم)، مجلة عصور الجديدة، مج8، ع2، جامعة أحمد بن بلة1، وهران، 2018، ص28.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 264

4- نبيل شريخي، المرجع السابق، ص 136.

5- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص 263-264.

6- محمد العادل لطيف، المرجع السابق، ص149.

7- إدمون طوني، المرجع السابق، ص 51.

8- فتيحة تريكي، المرجع السابق، ص32.

كما لجأ بعض الناس لعلاج سلو العشق[1]، إلى استخدام طقوس سحرية؛ للتخلص من تلك الآلام والحزن والاكتئاب وشدة الوجع، كما أن استعان بعض الناس الذين سولت لهم أنفسهم الضعيفة باستخدام السحر، الذي كان يسبب الأمراض والآلام والجنون وحتى الموت للطرف المسحور، وقد ذكر لنا المؤرخ إدمون طوني عينات عن ذلك[2]، ومن عوائد بعض الناس وضع التمائم للمولود، على شكل حرز مثقوب كان يعلق في عنقه، وهذه التميمة أو الحرز كانت تعمل من معدن الذهب أو الفضة، وذلك راجع إلى المستوى المعيشي لعائلة المولود، وهذه التمائم[3]كانت تصاحب الأطفال حتى بلوغهم سن الثامنة أو التاسعة، حيث عمد المنجمين إلى صناعة التعاويذ والتمائم، بهدف طرد الحسد والعين والأرواح الشريرة والحسد والعين[4].

إن وضع التمائم والحروز، وكل ما علق في عنق الأطفال في العصر الوسيط، يمكن إرجاعه إلى الخوف من الأمراض، التي كانت تصيبهم بحكم بنيتهم الهشة وعدم قدرتهم على تحمل الأعراض المرضية والآلام، والتي مثّلت عُرف سائد بينهم[5].

إن التجاء بعض الناس إلى المشعوذين والمنجمين والطُلبة، يمكن إرجاعه إلى نقص الوازع الديني، وبالنظر إلى هجرة وموت عدد كبير من العلماء والفقهاء جرّاء الأزمات والحروب، الذين مثلوا النّبراس الذي يهتدى بهم، وموتهم أدى إلى انتشار الجهل والدّجل والشعوذة، حيث اختبأ المشعوذون

1- اعتبر مرض العشق من الأمراض العقلية، التي اعتقد بأنها من أفعال الجن، ولذلك كانت معالجتهم بالاعتماد على السحر والتعاويذ والرقى. ينظر: عبد الكريم شحادة، المرجع السابق، ص 68.

2- إدمون دوطي، المرجع السابق، ص 53.

3- **التمائم**: ومفردها تميمة، وهي خرزات ويقال هي سُيور وعُوذ أو أخشاب أو خيوط أو أوراق أو غير ذلك، يعلقها الشخص في عنقه؛ لتفادي الإصابة بالعين أو الحسد أو المرض، وفي حديث من علّق تميمة فلا أتم الله له. ينظر: أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1، دار زهران، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011م، ص 92.

4- محمد سعيد، مدخل إلى تاريخ الطفل والطفولة بإفريقية في العصر الوسيط مقارنة أنثروبولوجية، ط1، مجمع الأطرش للنشر والتوزيع، 2021، ص 138.

5- البكري، المصدر السابق، ج2، ص 234.

في زيّ الأولياء والصلحاء، فاستعصى على الناس معرفة الصّح من الخطأ، وكشف أعمالهم وطقوسهم السحرية، خصوصا فئة العوام من الناس الذين انساقوا وراءهم، وعيونهم مغمضة[1].

وبرز أعلام برعوا في مجال السحر وأعمال الطلاسم في المغرب الأوسط، ولعل من أشهر هؤلاء أحمد بن علي بن يوسف البوني (تـ 622هـ/ 1255م)[2]، حيث بلغت شهرته الآفاق في ميدان السّحر وأسراره في القرن السادس الهجري، وترك مجموعة كبيرة من المصنفات في السّحر، منها "شمس المعارف الكبرى"، وكتاب "أسرار الحروف والكلمات وإظهار الرموز وإبداء الكنوز" وغيرها[3].

وما يمكن قوله هو أن وجود مؤلفات عن السّحر والشعوذة وأعمال الطلاسم، لدليل على وجود فئة من مجتمع المغرب الأوسط سعت جاهدة على تعلم هذه الحرفة والتفوق فيها، بالرغم من سهر المحتسبين على تنظيم الحياة اليومية، وضبط سلوكيات الأفراد، وتعزير وتسليط العقوبات على المشعوذين والكهنة والسحرة، وعلى كل من كانت تخول له نفسه الإخلال بالنظام العام للبلاد[4]، وقد حرّم بيع كتب السحر والشعوذة، فلا يجوز قراءتها ولا الاطلاع عليها[5].

غير أن ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) وغيره من العلماء والفقهاء، قد أبطل ما ذهب إليه هؤلاء المنجمون، وقال بأن هذا الاعتقاد باطل ولا علاقة له بالصحة، وقد أورد فصلا كاملا تحدث فيه عن إبطال صناعة النجوم وضعف مدركاتها وفساد غايتها، وذلك لما لها من ضرر على الناس، لما تبعثه من فساد في عقائدهم[6]، وأشار عبد الهادي البياض إلى الاضطراب الذي ساد بين العلماء

1- عبد الكريم شباب، (جوانب من جوائح المغرب الأوسط – قراءة في المظاهر والتداعيات)، المؤتمر الدولي العلمي الافتراضي ، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج2، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين-ألمانيا، 2001م، ص 170.

2- أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني، شمس المعارف الكبرى، (د ط)، المكتبة الشعبية، بيروت لبنان، (د ت)، ص 1.

3- مجموعة من المؤلفين، المخطوطات العلمية المغاربية، أعمال معرض منظم في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 46.

4- تريكي فتيحة، المرجع السابق، ص ص 29-30.

5-الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 70.

6- تسمح لنا مقدمة ابن خلدون بمعرفة أهم الكتب التي دونت في هذا العلم. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 326.

والمفتين في العدوتين بين الجائز والحرم، فكانت حرمته على أساس أن الاشتغال بالمغيبات؛ هو مفتاح كل فتنة في الدنيا والدين، وأورد قول القرطبي الذي قال بأنه جائز لأنه ظن فقط، وليس في الشرع ما يدل على منعه، ولم يستسغ الكثير هذا الرأي؛ لأن الشرع بين حرمة ذلك[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:**{ اِجْتَنِبُوا المُوبِقَات: الشِّركُ بالله والسّحر}**[2].

ولم تفرق الشريعة الإسلامية بين السحر والطلاسم، وجعلتهما في باب المحضورات، وبينت حد الساحر وقالت بأنه كافر وجزائه القتل إذا كان سحره ضمن أقسام السحر المكفر كالتقرب إلى الكواكب والشياطين، وإذا كان في باب السحر غير مكفر كالشعوذة وغيره فإنه يعزر[3].

2- زيارة الأضرحة والاستشفاء بالمتصوفة:

لقد تعددت أهداف زيارة القبور والأضرحة الأولياء الصالحين، فهناك من الناس من كان يرغب في طلب الرّزق، وهناك من الناس من كان يتردد إلى الأضرحة؛ ابتغاء دفع الشر والنحس والحسد، أو كما هو متداول حاليا طرد الطاقة السلبية، كما اعتاد الناس التردد إلى أضرحة الأولياء من أجل طلب الشّفاء من الأمراض النفسية والجسدية، كزيارة ضريح (سيدي أبي الحسني الرّاشدي) الذي كان مزار لكل من كان يعاني من عاهة مستدامة، حتى قيل عنه:" وما زاره ذو عاهة إلا وبرئ"[4]، أما ضريح الشيخ العالم حمزة المغراوي(تـ998هـ)، فهو لا يقل أهمية وإقبالا عما سواه من الأضرحة، حيث قيل بأن ما زاره ذو حاجة إلا وقضيت، وأن الدعاء عند قبره مستجاب، وقد شهد ضريحه إقبالا من طرف المرضى الذين كانوا يأخذون من تراب قبره، ويحملون معهم بغرض الاستشفاء[5]،

1- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 152.

2- البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث: 5765، ص 1459.

3- أبو يحي زكريا الأنصاري، المصدر السابق، ص 183.

4- لم يذكر ابن مريم تاريخ وفاته، وذكر فقط بأنه دفن شرق باب قرمدين. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص 72.

5- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص94-95.

وكانت ظاهرة الاستشفاء بتراب المتصوفة من الظواهر لدى بعض سكان المغرب الإسلامي كتبرك والاستشفاء بتراب الشيخ الصالح أبي يعزى (تـ592هـ/1196م) وغيرهم كُثر[1].

ومن الناس من كان يتردد على ضريح (سيدي بولطباق) بتلمسان، لاعتقادهم فيه بقدرته على شفاء الأطفال الصغار من مرض الصرع، وأما بعض النسوة بتلمسان فعتدن على زيارة المقابر وأضرحة الأولياء للتبرك بهم، فتردّدن على ضريح أبي مدين في العباد(تـ573هـ/1177م)[2] لتسهيل الزواج والإنجاب[3]، وتسارع بعض الناس إلى طلب بركة الشيخ محمد بن يوسف السنوسي(تـ895هـ 1490م)[4]؛ لعلمه حتى قيل فيه إنه عالم جمع له علم الظاهر والباطن[5].

وقصد المرضى أبا عبد الله محمد بن أحمد بن النجار(تـ771هـ/1370م)؛ وسليمان المدعو "أخدموم الشريف"، والتبرك بحجر كان يقعد عليه ابن النجار بالقرب من منزله، بغرض الشفاء من الأمراض التي كانت تصيبهم[6].

وصاحبت زيارة الأضرحة جملة من الممارسات التي كان يقوم بها الزائر، تمثلت في إيقاد الشموع وتخصيب الجدران الحجرة التي فيها الضريح بالحناء[7]، كما كان الزائر ينثر الملح على قبر الولي،

1- محمد صديقي، المرجع السابق، ص 162.

2- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج1، ص294.

3- سليمة يحياوي، (الأضرحة الأثرية بتلمسان في خدمة السياحة الدينية، دراسة موقعية مع توثيق إلكتروني)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج16، ع02، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2020م، ص 162.

4- عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2000م، ص 64.

5- ابن مريم، المصدر السابق، 240.

6- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ص 19.

7- تذكر صاحبة الدراسة سليمة يحياوي بأنه يمكن تحديد موقع الأضرحة الموجودة بتلمسان عن طريق جوجل إيرث حيث يمكن للسياح من تحديد موقعها بسهولة.

ومن الناس من كان يضع قطعة من الملابس أو الحلي، أو قطعة حادة تمّ تمريرها على المريض، ووضعها أو دفنها في الضريح، معتقدا بأن ذلك سيخلصه من مرضه[1].

ويمكن إرجاع حرص بعض أفراد مجتمع المغرب الأوسط على زيارة الأضرحة[2]، إلى سببين الأول لابد بالأخذ بعين الاعتبار بأن أغلب من مارس هذا المعتقد كانوا من الطبقة الفقيرة وعوام الناس، والذين وهذا راجع إلى مستواهم العلمي، وتأثير المتصوفة عليهم وكسب تأييدهم من خلال ممارساتهم اليومية وزهدهم وتعبدهم هذا الأمر مكنهم من ترسيخ فكرة بأنّ للمتصوفة مكانة عند الله وعلى هذا الأساس كانوا يتوسطون بمكانتهم عند الله، ليس من أجل طلب الشفاء من الأمراض التي كانت تنغص عيشتهم فقط[3]، بل أيضا في طقوس الاستسقاء زمن القحط والجفاف، وجور الحكام وسطوة اللصوص[4]، السبب الثاني هو المستوى الاجتماعي والفقر هو ما دفع هؤلاء إلى جعل الولي والمتصوف مكانة الطبيب؛ لانعدام دخلهم وعجزهم على دفع أجرة الطبيب وتكاليف العلاج والأدوية[5].

1- يذكر محمد سعيد بأن علاج الأطفال المصابين بالسعال الديكي، كانوا يعالجون بذبح رمزي للمصاب بسكين محمي في مقام الولي، من أجل الشفاء منه. ينظر: محمد سعيد، المرجع السابق، 136.

2- استشعر بعض الحكام المكانة التي يحتلها هؤلاء المتصوفة في أوساط الناس، فالتجأوا إليهم لاستمالتهم من جهة ومن جهة أخرى من أجل الدّعاء لهم، حيث ذهب أبو يحي يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1282م)، إلى الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن عيسى، والذي أعتبر من أهل الكشف والدين، وكان مجاب الدعوة، وقد قصده من أجل الدعاء له وتيسير أموره وربما كان ذلك وقد الحروب أو الأزمات. ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 171. ابن مريم، المصدر السابق، ص= =224. منصور بختي دحمور، ظاهرة الولاية وتأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، ط1، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، 2017م، ص 113.

3- ابن مريم، المصدر السابق، ص 236.

4- يعتقد بأنّ الدعاء عند قبره مستجاب، وكان الناس يسألون الله قضاء حوائجهم عند ضريحه الموجود بالعباد بتلمسان. ينظر: أحمد بن مصطفى العلاوي، المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1989م، ص 18. عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج1، ص151.

5- منصور بختي، المرجع السابق، ص 132.

واختار المرضى وأصحاب العاهات والأمراض المزمنة إلى التوجه إلى هؤلاء المتصوفة والتردد إلى قبور الصلحاء[1]، حيث كانت النسوة اللواتي لم تلد تأخذ شيء من تراب الولي أو زيارة المتصوفة الذين اشتهروا بإظهار كراماتهم العلاجية[2]، إما بالدعاء أو التمرير باليد على المريض أو التّفل أو المسح بريق المتصوفة، أو الرقية، وبهذه الأعمال كان الناس يتماثلون للشفاء، وبقية رابطتهم بالولي حتى بعد مماته[3].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سذاجة بعض الأفراد، في الإيمان والاعتقاد بالخوارق التي أظهرها المتصوفة، واستدرجوا بها الناس، مستغلين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وحتى السياسية التي كان يتخبط فيها سكان المغرب الأوسط خلال الحقبة الدراسية، والتي مثلت مرحلة الأوج والازدهار للطرق الصوفية.

وانتشرت ظاهرة الإيمان بكرامات الأولياء والمتصوفة، في بجاية، حيث قيل أن عدد الأولياء بها بلغ تسع وتسعين وليًّا، حتى كان يطلق عليها اسم "مكة الصغيرة"[4]، وتحلى صوفية بجاية بالأخلاق الفاضلة والتربية الروحية بكل مقوماتها؛ من الرحمة والإيثار والإحسان والزهد والتواضع والكرم، وهذا ما أكسبهم مكانة مرموقة وحظوة كبيرة لدى الناس والحكام على حد سواء[5]، فكان بعض سكان بجاية مولعين بكراماتهم شديد الاعتقاد بخوارقهم[6].

1- دحمور منصور، المرجع السابق، ص 132.

2- التادلي، المصدر السابق، ص 321.

3- منصور بختي، المرجع السابق، ص 132.

4- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، جمع وتنسيق، لغليطي حميد وسوسي جمال، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1991م، ص 230-231.

5- العيد بكري، الحواضر الصوفية بالمغرب الأوسط بين القرنين(5-6هـ/11-12م)، حاضرة بجاية وتلمسان أنموذجا، من كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب، إشراف وتنسيق: عبد الباسط شرقي، ط 1، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2018م، ص 40.

6- عبد الحليم عوسي، المرجع السابق، ص 242.

ونظرا لشدة اعتقاد بعض فئات مجتمع المغرب الأوسط بالمتصوفة والأولياء، وصل بهم الأمر إلى الاستغاثة بهم، ورأيتهم في منامهم عند إصابتهم بالأمراض؛ فكانوا يتماثلون للشفاء بعد ذلك المنام ببركة ذلك الولي الذي في غالب الأحيان يكشف عليهم أو كان يخبرهم بالعلاج، وقد كان هذا الاعتقاد متداول بين عوام المغرب الأوسط، فقد رأوا في الولي الصالح بأنه فاز لفضائله وأصبح حبيب الله، وهو بذلك يستطيع حماية الناس والتوسل لفائدتهم بفضل بركته[1].

وقد ذكر لنا ابن الصباغ القلعي(تـ928هـ/1521م) نقلا عن الباحثة سمية مزدور، قصة تحاكي ما تم ذكره، فقال بأن علي بن زينب الدرجيني، الذي ذكر بأن أحد من أصحابه مرض مرضا شديدا أشرف به على الموت، وعند نومه ألهمه الله أن يستغيث بالشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (تـ931هـ/1524م) ثلاث مرات، فإذا به عنده وقام بالمسح على جسده بيده؛ فشفي من مرضه[2].

رغم ما تحمله هذه القصة من مبالغة مفعمة بروح الكرامة الصوفية، والتي لا شك في أنها تخالف الشرع الإسلامي، ولا تستقيم مع العقل السليم في غالب الأحيان، وخصوصا أنها دونت في كتب المناقب وتداول ذكرها في المصادر الصوفية، إلا أنها تعبر على حقيقة عاشها سكان المغرب الأوسط وهو الإيمان بالمتصوفة والاستشفاء بهم أحياء وأمواتا.

المطلب الثاني: الانعكاسات الإيجابية:

تمخض عن الأمراض، التي تعرّض لها سكان بلاد المغرب الأوسط، جملة من الإجراءات الاحترازية، بالإضافة إلى المساعدات التي بادرت إليها السلطة الحاكمة التي كانت تسيّر هذا الإقليم خلال العصر الوسيط، إذعانا منها لمبدأ حماية الرعية، وأخذت هذه الإجراءات أشكالا مختلفة؛ من أشكال التضامن والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وما قدّمه الحكام من إجراءات ومساعدات.

1- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: المنجي سليم، الطيب المهيري، الصادق المقدم وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1976م، ص 28.

2- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ص 20.

1- جهود السلطة الحاكمة والفقهاء في مواجهة الأمراض:

سهرت السلطة الحاكمة في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطية؛ على توفير كل الإمكانيات اللازمة لأمن واستقرار حواضرها، وعملت جاهدة على خلق نوع من الاستقرار واستتباب الأمور مع رعيتها في فترة الرخاء والاضطرابات، كما سخّرت كل أجهزتها لتقديم المساعدات إبان الكوارث الطبيعية والأزمات التي كانت تعتريها، إذعانا منها على مراعات حاجيات سكانها، وتمثلت هذه الإجراءات في تقديم الطعام والإنعام على الرعية[1].

وكمثال حيّ على ذلك، عملت الدولة الموحدية على إحصاء عدد المنكوبين والمحرومين، من أجل الاستفادة من أعطيات الدولة، التي كانت تمنح لهذه الشريحة من المجتمع في كل من المغرب والأندلس، وهذا حرصا من الخلفاء على أعمال الخير والبر والإحسان في الكوارث والنوائب، والذي صاحبه دعم ومساعدة الحاشية والأولياء، وليس مستبعدا أن تكون من ضمن هؤلاء فئة المرضى[2].

عملت الدولة جاهدة على توفير المواد الضرورية في الأسواق، ومجابهة كل أشكال الاحتكار التي طالت المواد الأساسية وحاربت غلاء الأسعار والمضاربة، وعند تأزم الأمور كانت تفتح المخازن أمام العامة؛ فكان الطعام يباع للأغنياء بثمن والفقراء والضعفاء بغير ثمن، وفي فترات من الزمن كانت السلطة توزع الأراضي على المنكوبين والأيتام الذين فقدوا من يعولهم؛ وهذا لإغنائهم سؤال الناس والتسول كما خصصت أراضي لصالح المرضى كالمجاذيم ومساحات شاسعة لبناء البيمارستانات[3].

وقد كان سلاطين الدولة الزيانية يأمرون بتخزين المؤن، ويستعملونها أوقات الشدة والمحن[4]، وقد كان سكان تلمسان وكل حواضر المغرب الأوسط، في فترات الرخاء والاستقرار، يجهزون

1- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 126.
2- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 255.
3- المرجع نفسه، ص257- 258.
4- نبيل شريخي، المرجع السابق، ص 133.

الأسراب والأهراء والمطامير، لتخزين أقواتهم، لقدرتها على الحفاظ على جودة وطراوة الحبوب والمؤن[1]، لفترات طويلة[2]، كما تسارع الخلفاء والحكام إلى تقديم المساعدات المالية والطعام لعامة الناس، والرّفق والعطف على الفقراء والمهمشين والمرضى[3].

وسار أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م) على نهج أسلافه من سلاطين بني زيّان، فقد كان شديد الحرص على تخزين المؤن والأقوات[4]، ففي المجاعة التي حلة سنة 776هـ/1374م، تصدّق بنصف جبايته على الضعفاء والفقراء الذين كانوا يجتمعون أمام قصره، وكما سبق الذكر بأن هذا السلطان كان يضم الفقراء والمساكين في بيمارستانات، وكان يقسم الأرزاق والجرايات عليهم صباحا ومساءا[5]، كما كان يحثُّ الناس على الاقتصاد وتخزين القوت كل سنة تحسبا؛ لزمن الأزمات والحصارات[6]، وهو ما قام به السلطان أبو زيان وأخوه أبو حمو، أيام الشدائد والمحن[7].

1- وصف الإدريسي (ق6هـ/12م) المطامير التي كانت بقسنطينة، فقال "بأن في كل دار منها مطمورتان وثلاث وأربع، منقورة في الحجر، حيث تحافظ الحنطة فيها على جودتها مائة سنة فلا تفسد، وذلك لبرودتها واعتدال هواء المدينة"، ويضيف قائلا بأن أهل قسنطينة كانوا يفضلون المطامير الصخرية؛ لجودتها العالية، وقدرتها على صيانة المؤن لفترات طويلة دون أن تفسد. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 67-68.

2- حميد تيتاو، حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، 2009م،ص522.

3- محمد الأمين البزاز، المرجع السابق، ص 363.

4- تحدث يحي ابن خلدون عن أبو حمو موسى وقال كان مولده سنة 665هـ، وبويع بالملك سنة 707هـ، وكان شديد الحرص على تخزين وشحن المطامير والصناديق بالمؤن تحسبا لأي طارئ يطرأ على دولته الزيانية، وتوفي بعد أن مرض فترة من الزمن عن عمر ناهز 48سنة وحكم مدة أربع سنين إلا سبعة أيام. ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 127.

5- زهوة أعزيبي، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني،(633-962هـ/1235-1554م)- جدل المثال والواقع، (أطروحة دكتوراه منشورة)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019م، ص 189.

6- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 255.

7- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 125.

وطالت هذه الأعمال التكافلية حتى الغرباء، وذلك تمسّكا بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف التي تهدف إلى حفظ كرامة الإنسان وحمايته والاهتمام به حيا أو ميتا، وراعت حقوق الأموات زمن الأزمات والنوائب، وعملت السلطات جاهدة على تكفين الأموات، دفنهم ومواكبة مراسيم العزاء على أحسن وجه من جهة، للحيلولة دون تحلل أجسامهم وحدوث الأمراض من جهة أخرى[1].

كما سعت الدول التي قامت بالمغرب الأوسط على استتباب الأمن والاستقرار، وتوفير كل شروط الحياة الكريمة لسكانها، فقامت بسنّ جملة من القوانين والإجراءات لمحاربة الغش والفساد وأنشأت مؤسسات الحسبة، والتي عرفها ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) بأنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، لإفشال كل محاولات الاحتكار والتلاعب بأسعار السلع من جهة[3]، وتعزير المحتالين ومنتحلي مهنة الطب والصيدلة والمتلاعبين بصحة الناس من جهة أخرى وهي من وظائف المحتسب[4]، الذي تمثلت مهمته في مكافحة الآفات الاجتماعية، وحماية المجتمع من الظواهر السلبية، ومن ضمن مهامه كذلك كشف الغش والتدليس، الذي طال مهنة الطب والأطباء والجبّارين والعشّابين وحتى الصيدلة والعقاقير الطبية، وكل ما له علاقة بالرعاية الصحية من قريب أو بعيد[5].

وقد أبرز كتاب واسطة السلوك لأبي حمو موسى الزياني الثاني (760-791هـ/1359-1388م)، جانب الحسبة وطلب من ابنه أبي تاشفين الثاني(791هـ/ 1389-1392م) الاهتمام بجهاز الحسبة، واختبار المحتسب وامتحانه، وذلك لأهمية هذا الجهاز في خدمة الدولة والرعية.[6]

1- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 260.
2- محمد كمال الدين، أصول الحسبة في الإسلام دراسة أصولية مقارنة، ط1، دار الهداية، مصر، 1986م، ص ص15-16.
3- محمد الأمين البزاز، المرجع السابق، ص ص 364-365.
4- ابن عبدون، المصدر السابق، ص ص 235-236.
5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 227.
6- أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ص 153.

وتكمن أهمية الحسبة في تحقيق الأمن والاستقرار داخل المجتمعات، والحفاظ على النظام العام والآداب، لذلك كانت من الوصايا التي تركها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني لابنه، وإن الدور الذي لعبته السلطة التي حكمت المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، زمن وقوع الأمراض المعدية، كان نابعا من مبدأ الحفاظ على الاستقرار السياسي وتثبيت ركائز الحكم وذلك من خلال كسب الرعية وموالاتهم، وذلك من خلال الوقوف إلى جانبهم في وقت الشدائد والمحن، لذلك سعى الحكام والسلاطين على اتخاذ التدابير الاحترازية كتخزين الطعام والأقوات زمن الرخاء، تحسبا لأي كارثة أو أزمة قد تحل بالبلاد وخصوصا أن الأمراض والأزمات كانت تكتسح بلاد المغرب الإسلامي عموما بين الفينة والأخرى، وبشكل دوري[1].

2- التكافل الاجتماعي وجهود المتصوفة والصلحاء في مواجهة الأمراض:

أفرزت الأمراض التي كان يعاني منها بعض سكان المغرب الأوسط، ردود أفعال من طرف السلطة السيّاسية التي حكمت البلاد، تمثّلت في تقديم المساعدات وفتح مخازن الحبوب والمؤن ومحاربة الاحتكار لرعيتها زمن الرخاء والشدة، وذلك من أجل استتباب الأمن والاستقرار، وكسب تأييد الناس لهم، ناهيك عن الأعمال الخيرية التي قدّمها الأغنياء والمتصوفة من مأكل وملبس، وكل ما يحتاجه الفقراء والمحتاجين، تعبيرا عن مبدأ التعاون والتضامن، الذي نادى به الدين الإسلامي والسنة النبوية، وكم هي الأحاديث النبوية التي تحثّ على التكافل الإجتماعي بين الناس، لقوله صلى الله عليه وسلم:**{ المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيْهِ كَانَ اللَّهث فِي حاَجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَةَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ}**.[2]

وحفظت المصادر الجغرافية، وكتب النوازل الفقهية والمصادر التاريخية، سلوكات اجتماعية واقتصادية، قام بها سكان المغرب الأوسط قبل وقوع الأزمات، فكان الادّخار وتخزين المؤن من أولى

1- الناصري، المرجع السابق، ج3، ص86.

2- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2080، ص 1199.

الإجراءات الاحترازية التي أقدم عليها الناس، بغية التخفيف من حدّة الأزمة، وهذا السلوك كان شائعا في بلاد المغرب والأندلس خلال الحقبة قيد الدراسة[1]، وكم هي الأمثلة التي حفظتها لنا كتب النوازل وبعض كتب الجغرافيين، التي تحدثت عمّا احتوت عليه بيوت سكان المغرب الأوسط من مطامير[2] من النوازل التي لنا الونشريسي(تـ914هـ/1508م) العديد من هذا القبيل[3].

ولم يقتصر التخزين على الحبوب والشعير والحنطة، بل كان الناس يدّخرون الزيت والسمن، والأشربة والنبيذ، وقيل إنّ بعض الشخصيات الكبيرة والأغنياء من أهل المغرب الإسلامي، كانوا يحتسون النبيذ المصنوع من الزبيب زمن المجاعة، وكان أهل الجنوب يشربون نبيذ النخيل المعروف باسم" اللاقمي"[4] وربما كان يستعمل لأغراض طبية، لأن الخمر كان يستعمل كنوع من الدواء بعد إضافة بعض تسين رائحته، ببعض النكهات [5].

وقد صاحب الادخار الفردي، ادخار جماعي حيث أقيمت مخازن جماعية خارج أبواب المدن، وبمحاذات المساجد في البوادي، واشترك في هذا الأسلوب أهل الحضر والبدو معا، حيث كانت القبائل البدوية، تتخذ قصبات جماعية لتخزين المؤن، أما أهل المدن فكانوا يصنعون سلالا من الطين كانوا يملؤونها بالأقوات[6]، ويخزنونها في غرفة مخصصة للادخار فوق السطوح، وهذا الأسلوب

1- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، ص ص 352-353.

2- **المطمورة**: جمعها مطامر، وهي حفرة تحفر في الأرض، ويوسع أسفلها، كان الناس يخبؤون فيها الحبوب وقد تبقى فيها الحبوب مدة طويلة دون أن تتلف. ينظر: أحمد رضا، المرجع السابق، ج3، ص 631.

3- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص ص 100-101.

4- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص287.

5- موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن2إلى القرن5هـ (8-11م)، تر: إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990م، ص 288.

6- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، ص 353.

كان منتشرا في المغرب ولا نجد غرابة أن يكون قد شاع في المغرب الأوسط، وبالأخص في المدن المتاخمة له كتلمسان وما جاورها، بحكم القرب الجغرافي[1].

وبالإضافة إلى الادخار الفردي والجماعي، فبرز التكافل الاجتماعي والتآزر بين مختلف طبقات مجتمع المغرب الأوسط، وتميزت نظرة المغاربة للمرضى بصفة عامة بالعطف والشفقة عليهم، حيث كان الناس يتعاملون مع الجذمان بكل عطف وإحسان، بالرغم من الفزع والرعب الذي كان يثيره مرض الجذام في أذهان الناس في كافة الأصقاع خلال العصر الوسيط باعتباره من الأمراض الفتاكة والمعدية، حتى أن السلطة الحاكمة خصصت بعض الحارات سميت بحارة المجذومين، وكانت الدولة هي التي تتكلف بالإنفاق عليهم في عهد المنصور الموحدي[2].

ولعبت الأوقاف أو الأحباس دورا هاما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية[3]، فتنوعت بين أحباس المساجد والمدارس والأربطة وكذا الزوايا، وقد وفرت هذه الأحباس رعاية اجتماعية بتلمسان والمغرب الأوسط موجهة للفقراء والمساكين، كما خصصت أحباس لرعاية المرضى والسهر على راحتهم وعلاجهم[4]، وفي زمن الوباء سنة 845هـ، ورد سؤال على الفقهاء، حول تاجر ذي جاه وأموال طائلة، تبرع بثلث جميع ما يتركه ميراثا عنه[5]، ولم يكن له ورثة سوى شقيقين، وتصدق بمال كان في ذمته من رجل لا يعرفه وأمره بأن يتصدق به على الفقراء والمساكين[6].

كما بادر أهل العلم إلى تفعيل السلوك التضامني زمن الكوارث والأمراض، حيث وقف الفقهاء والمحتسبون في وجه التجار وكانوا بالمرصاد لكل محتكر للسلع، إذ كانوا يحثونهم على إخراج

1- لعرج عبد العزيز، علي حملاوي، عبد الكريم عزوق، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، (د ت)، ص 17.

2- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 75.

3- محمد فتحة، المرجع السابق، ص ص 105-106.

4- بسام عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 170.

5- نبيل شريخي، المرجع السابق، ص132.

6- الونشريسي، المصدر السابق، ص 6.

السلع إلى الأسواق وبيعه بأسعار معقولة للناس، حتى أنه عندما كانت تتأزم الأوضاع ويشتد الجوع على الناس، ولا يجدون ما يقتاتون به، كان الفقهاء يجتهدون في إباحة المحرمات بناء على مبدأ " الضرورات تبيح المحظورات"، وذلك بالاستناد إلى قوله تعالى: ﴿ **وَمَالَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهَ عَلَيْهِ وقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ إلاَّ مَا اضْطُرِرْتُم إِلَيْه وإِنَّ كَثِيْرًا لَّيَضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالمُعْتَدِيْنَ** ﴾[1]، حيث وجدت إشارات إلى تناول الناس اللحوم المحرمة كلحم الميتة ولحم الخنزير وغيرها، وذلك من أجل الحفاظ على بقاء الإنسان على قيد الحياة[2].

لقد حمل أهل الصلاح والولاية لواء البر والإحسان في المجتمع المغاربي[3]، فخرج المتصوفة من عزلتهم من أجل إغاثة الناس، ومشاركتهم محنهم وآلامهم، وتقديم يد العون لهم؛ لتجاوز كربتهم وترميم جروحهم والدعاء لهم؛ للشفاء من العلل والأمراض التي ساروا يتخبطون فيها[4]، وبرز بشكل جلي الدور الاجتماعي أهل التصوف في هذه الحقبة الزمنية حيث كانوا يحثون الناس على التحلي بالصبر، وعدم الجزع من الأمراض، والتضرع إلى الله تعالى بالخشوع والورع، والإيمان بالقضاء والقدر، كما بادر المتصوفة إلى الأعمال التآزرية وتقديم المساعدات المادية، وإطعام الطعام للناس، وذلك انطلاقا من البعد الديني المفعم بالمعاني الإيمانية[5].

وكم هي الأمثلة كثيرة عن صور التكافل الاجتماعي في هذا الباب، فهذا ابن قنفذ عندما تحدث عن الفقيه أبي عبد الله محمد الجناتي، بأنه كان يسعى إلى خدمة المريض الغريب ويسعى في

1- سورة الأنعام، الآية:119.

2- عامر حميد حمود، المرجع السابق، ص351.

3- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ص ص7-8.

4- صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006م، ص 325.

5- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 261.

أمره[1]، ومثله أحمد الغماري (تـ 874هـ/1469م) الذي كان يسهر على خدمة المرضى والفقراء بنفسه، حيث كان يحمل إليهم الماء والطعام إلى بيوتهم، ويتفقد أحوالهم كل يوم، وهذا ما جعله مزارا للناس من كل حدب وصوب، وكانت كل الثمار والحبوب والصدقات التي تأتيه يقسمها على الضعفاء والمرضى، ولا يدخر منها شيء لنفسه[2].

وتكاد لا تخلو كتب المناقب من ذكر الأعمال التي قدمها المتصوفة، وإشفاقهم وعطفهم على الفقراء والمرضى في فترات الحاجة والعوز، حيث كانوا يتصدّقون بكل أشكال المؤن؛ فكان لأبي العباس أحمد بن مرزوق (تـ681هـ/1282م)[3]، مطامير من القمح والفحم والزيت، حيث كان يفتحها أمام المحتاجين وقت المحن[4]، وليس بالشيء الغريب عليه؛ فقد كان لوالده مطامير من الزيت والسمن والفحم والزرع وأخرى كان بها اللحم المدخر أو ما يعرف بالخليع والقديد[5]، والتي كان يفتحها أمام الفقراء والمساكين في أيام الشدائد، وكان لأخيه كذلك مخزن للزرع يتصدق منه كل يوم على الضعفاء والمساكين[6]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على حسّ الأخوة الدينية ومبدأ التآزر والرفق بالفقراء والمساكين.

أما أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب(تـ743هـ/1342م)، فقد كان يقدم الفقراء والمساكين على عياله، ويقدم لهم الطعام، ويحسن إليهم لأنه في نظره أحوج بتلك الصدقات من أولاده، وهم أولى بها مقتديا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:**{ على كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. فقالوا: يَا نَبِيَّ الله فَمَنْ لم**

1- **الجناتي**: هو أبو محمد عبد الله محمد الجناتي، وهو من أهل العلم والصلاح والزهد والورع والفلاح، كان شديد الاطلاع على كتاب الإمام الغزالي" إحياء علوم الدين". ينظر: ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 76.

2- زهوة أعزيبي، المرجع السابق، ص 190.

3- **أبو العباس أحمد بن مرزوق**: وهو أحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف وابن العالم ابن مرزوق، كان صالحا من أهل تلمسان ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص 137.

4- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 255.

5- **القديد**: وهي شرائح اللحم المملحة والمجففة وهو غذاء حار يابس ينفع لأصحاب الأمزجة الباردة الرطبة. ينظر: الصحاري، المصدر السابق، ج3، ص 119.

6- زهوة أعزيبي، المرجع السابق، ص ص 190-191.

يَجِدْ؟ قال: يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ قالوا: فَإن لَم يَجِدْ؟ قال: يُعِينُ ذَا الحَجَةِ المَلْهوفَ قالوا: فإن لم يجدْ؟ قال: فلْيَعْمَلْ بالمعروفِ، وليُمْسِك عنِ الشّرِّ، فإنَّها له صدَقَةٌ}[1].

إن الأعمال الخيرية والإنفاق والتآزر، الذي قام به المتصوفة والأولياء زمن الأزمات، عّبرت عن فلسفة خاصة قوامها التربية الروحية المفعمة بالتكافل والمجاهدة والإيثار، وهذا من أجل تفعيل مبادئ ومقومات الدين الإسلامي في التفاعل الاجتماعي والتعاون بين مختلف فئات المجتمع، والقضاء على الطبقية، وشحذ همم الأغنياء وأصحاب المناصب الرفيعة في السلطة، ودفعهم إلى العطاء ومساندة الفقراء والمستضعفين والمرضى الذين لاحول ولا قوة لهم، ومن أجل إشاعة سلوك الإنفاق ابتغاء مرضاة الله، ودعوة المستضعفين والمرضى والفقراء إلى التحلي بالصبر والاحتساب لله عزَّ وجل[2].

وقد خصصت بعض الأحباس لصالح الفقراء والمساكين، والتي كانت تقسم عليهم في شكل صدقات بشكل دائم خلال شهر رمضان[3]، وهناك من الأحباس ما كان يصرف للاعتناء بالمرضى[4] والبيمارستانات، وأخرى لحارات المجاذيم[5]، وقد ذكر الونشريسي (تـ914هـ/1508م) من الأحباس ما خصص لأصحاب الجذام، حتى لا يتضرر الناس من روائحهم، وسؤل عما إذا يمكن للأصحاء السكن معهم في الحارات المخصصة لهم، وكان ردّه بأن المجذومين أولى بها إذا وقع التضايق[6].

تعتبر ظاهرة التكافل الاجتماعي، وتقديم الصدقة للفقراء والمرضى والمعوزين، زمن الشدائد والمحن، نابعة من الوازع الديني الذي كان يتحلى به سكان المغرب الأوسط، فالصدقة والزكاة حثّ عليها الدين الإسلامي، لذا فلا غرابة في أن يكون هذا التعاون والتماسك بين أفراد مجتمع المغرب

1- البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث: 1445، ص 351.

2- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 262.

3- الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص182-183.

4- الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 58.

5- فتحة محمد، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن6إلى 9هـ/ 12-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص 106.

6- الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص ص38-39.

الأوسط، وهو نابع من المودة والرحمة، والتعاون على البر والتقوى، بالاستناد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:**{ المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه، ومَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيْهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، ومَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَة فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ}**[1]، وهناك الكثير من الأحاديث النبوية التي تحث على التعاون والتكافل والتعاطف بين المسلمين، حيث قال صلى الله عليه وسلم:**{مَثَلُ المُؤْمِنِيْنَ فِي تَوَادُهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مِثْلَ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى}**[2].

اتخذ سلوك المجتمع صورا ومواقف مختلفة، إزاء مواجهة الأمراض أو الاحتراز منها، حيث كانت هناك مواقف تضامنية بين أفراد مجتمع المغرب الأوسط، وقد شارك في هذا التكافل الاجتماعي كل من السلطة الحاكمة على رأسها السلاطين، والفقهاء والمتصوفة والأطباء والأغنياء.

وينبغي الإشارة إلى أنه بقدر ما سببته الأمراض من آثار سلبية، وألحقت بالأفراد آثار نفسية بالغة، أدت هي الأخرى إلى تأزيم الأمور وخلق أمراض وآفات اجتماعية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، والتي زادت في تفاقم الأمور، إلا أنه يمكن النظر إليها كذلك من زوايا قد تبدو لنا إيجابية، فمن الناحية العقدية والروحية يلاحظ الباحث أن الناس في فترات انتشار الأمراض والأزمات، يكونون شديدي التمسك واللجوء إلى الله تعالى، والتعلق به بالصلاة والدعاء ومنجاته من أجل الشفاء.

وقد أفردت المصادر، وخصوصا الفقهية وكتب المناقب، تجليات الواقع الذي خلفته الأزمات، وكيف كان الفقهاء والمتصوفة يحثون الناس على العبادة والصلاة والتضرع إلى المولى عزّ وجل، والدعاء وسؤاله بأن يرفع عنهم الأمراض[3]، نزولا عند قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ**

1- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2580، ص1199.

2- المصدر نفسه، رقم الحديث: 2585، ص1201.

3- أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص 40.

الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيْنَ﴾[1]، كما انتشر الدعاء بأسماء الله الحسنى نزولا عند قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وذَرُوا الذِيْنَ يُلْحِدُنَ في أَسْمَائِه سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[2]، فمن موجبات قبول الدعاء كذلك، أن يحسن العبد الظن بالله تعالى، وينتظر رحمته التي وسعت كل شيء، وأن يوقن الإنسان، بأن الفرج قريب؛ فلا يقنط المؤمن من رحمة الله، التي وسعت كل شيء

ومن الناحية الإنسانية، فقد عززت الأمراض الوحدة والتضامن الإجتماعي، وقوة الروابط الإنسانية والدينية، حيث كانت تجربة مشتركة بين كل فئات الناس؛ فهي لم تستثن أحد، ومشاهد عن التعاون والمساعدات والتطوع والتآزر، الذي كان بين فئات مجتمع المغرب الأوسط[3]، وكيف تحلى سكانه بالشجاعة والصبر والدعاء والتضرع إلى الله عزّ وجل في مواجهة الشدائد والمحن[4]، وفي المقابل تضمنت بعض النصوص استكانة أفراد مجتمع المغرب الأوسط، واستيعابه لسنن الطبيعة[5]، حيث أعطوا تحليلا منطقيا، لمجريات الأحداث تارة، وتعليل الواقع المعاش بالجانب الديني تارة أخرى، فكان الناس يهرعون إلى العبادة والصلاة والتقرب إلى الله تعالى، والجدير بالذكر أن الهروع إلى الصلاة والتضرع بالدعاء؛ لانجلاء أي أزمة تعترض حياتهم[6].

1- سورة غافر، الآية: 60.

2- سورة الأعراف، الآية: 180.

3- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 319.

4- إن الصبر وقت الأوبئة والطواعين إجراء ديني حث عليه الدين الإسلامي وأكدته السنة النبوية؛ حيث **قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:{ الفَأْر مِنَ الطَّاعُونِ كَالفَارِ مِنَ الزَّحْفِ، والصَابِرُ فِيهِ كَالصَابِرِ في الزَّحْفِ}، عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، {فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة= =للمؤمنين، وليسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِه صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللهُ لَهُ إِلَّا كَانَ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيْد}**. وقد بينت النصوص الإسلامية وأكدت أن الطاعون رحمة وشهادة لكل مسلم صبر واحتسب أمره لله تعالى. ينظر: البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث: 5734، ص 1452.

5- أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص 40.

6- سماح عبد المنعم السلاوي، المرجع السابق، ص 244.

إن هذا الإجراء الديني يبث في النفس نوعا من الاطمئنان والراحة النفسية، ويعتبر بمثابة بلسم لهؤلاء المرضى، ومن جهة أخرى كان يعتبر كتجديد لارتباط المرء بخالقه، فحسب معرفة وتأويل غالبية الناس أن هذه الظواهر الطبيعية والأزمات مرتبطة بالحشر والعذاب والعقاب الإلهي، نظير ما اقترفه المرء من ذنوب ومعاصي[1].

ومن جهة أخرى فعن الصبر على المرض واحتساب الأجر لله تعالى، يمت برسوخ الإيمان في قلوب الناس لأن جزاء ذلك تخلص المرء من الذنوب والمرض يعتبر زكاة نفس، والمرض ابتلاء من الله لعباده، ولعل ما قاله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي جاءت تطلب منه الدعاء لها بالشفاء دليل على ذلك، حيث قالت: **{يا رسول الله ادْعُ الله لِي قال:" وإِنْ شِئْت صَبَرْتِ ولَكِ الجَنَّةُ، وإِنْ شِئْت دَعَوة الله لأَنْ يُعَافْيكِ}**[2].

وهذا دليل قاطع على قيمة الصبر على المرض؛ لنيل الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيْبُهُ أَذَى- شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا- إِلاَّ كَفَّرَ اللّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**}[3]. وهذا كله ثواب للمؤمن على صبره على المرض وشدّته.

وقد تناقلت هذه المواقف المصادر التاريخية، فكانت بحق مواقف وعبر إنسانية ضرب بها المثل بين سائر المجتمعات الأخرى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى شكلت الأمراض دافعا قويا ومحفزا للبحث العلمي والطبي، حيث دفعت بالأطباء والصيادلة إلى دراسة الأمراض، والبحث في أسبابها ومسبباتها، والبحث عن العلاج الأمثل لها، وإيجاد طرق للوقاية من تفشي المعدية والحد من انتشارها بين أفراد المجتمع، وبفضل هؤلاء الأطباء وجهودهم المبذولة، أنتجوا العديد من المؤلفات الطبية، وأراجيز التي ساهمت في تطوير الطب والصيدلة والمنظومة الصحية.

1- عبد الهادي البياض، المرجع السابق، ص 79.

2- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2576، ص 1198.

3- البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث: 5648، ص 1432.

وكانت دافعا للبحث العلمي والطبي، ومحفزا أيضا لباقي فروع العلم الأخرى، والتي هي الأخرى راح روادها يبحثون، كل حسب مجاله وتخصصه؛ فكان هناك رصيد علمي ومعرفي في الجانب الفقهي التي تضمنت العديد والعديد من النوازل الفقهية، التي اجتهد أهل العلم من الفقهاء في الإجابة عليها، وتقصي تأصيلها الشرعي والفقهي من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكتب الفقه، فراجت كتب الفقه والنوازل والمدونات الفقهية، من ضمنها كتاب المعيار المعرب للعلامة الونشريسي (تـ914هـ/1508م) وغيرها، ومن النوازل التي ورد ذكرها في هذا الباب أذكر:

قال ابن رشد في حالة أو قضية طبيب عالج رجلا؛ فسقاه فمات، أو كواه فمات من كيه أو قطع منه شيئا فمات من قطعه، أو الحجام إذا ختن الصبي، فمات من ذلك أو قلع ضرس الرجل، فمات من ذلك فلا ضمان على واحد منهم في ماله ولا على عاقلته، إذا لم يخطئ في عمله، إلا أن يكون السلطان قد حذر الحجامين والأطباء بأن لا يقوموا بشيء حتى يستأذنه، وفعلوا، أي الأطباء والحجامين، ومات أحد على أيديهم، أو أتلفوا عضوا من جسد المريض، فيكون عليهم الضمان في أموالهم[1]، أما إذا لم يكن من أهل الطب فعليه العقوبة من الإمام بالضرب والسجن، وإعطاء الدية.

وسئل ابن عتاب عن رجل شكا إلى طبيب ألما بركبته، فقال له الطبيب: أكويك في الركبة وتفيق إن شاء الله، فاتفق معه على أجرة ودفعها إلى الطبيب وانصرف عنه؛ ليرجع إليه الشاكي ويكويه، ثم بدا له غير ذلك، وسأل الطبيب الأجرة ليردها عليه، فأبى الطبيب من ذلك، واحتج الشاكي بأن الكي لا يجوز فأجاب: الكي جائز غير ممنوع[2]، فقيل بأنه إذا كان الطبيب قد وصف الكي وجهز آلاته لفعل ذلك؛ فالأجرة لازمة، فإن لم يفعل فإن الأجرة غير لازمة[1].

1- العقباني، المصدر السابق، ص 85.

2- عن جابر بن عبد الله قال: {رُمِيَ أُبَيّ يَوْمَ الأَحْزَابِ عَلَى أَكْحلِهِ فَكَوَاهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم}. ينظر: أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2207، ص .1051

2- ابن سهل، الإعلام بنوازل الحكام لابن سهل، تح: نورة محمد التويجري، ط1، 1995م، ص 483.

وهذه بعض ما يمكن اعتباره نتائج إيجابية والتي تجلت من المنظور التاريخي والاجتماعي، والتي أفرزتها الأمراض على مجتمع المغرب الأوسط خلال الفترة قيد البحث.

ومجمل القول هو أن بلاد المغرب الأوسط، تعرضت إلى محن وشدائد على مرّ الأزمنة والعصور، فكان بعضها جراء الحروب والحصارات، وبعضها الأخر بسبب المجاعات والكوارث الطبيعية والاضطرابات المناخية المتكررة ،كالجفاف وما يصاحبه من قحط ومجاعات؛ فكان من نتائجها تفشي بعض الأمراض، حيث تعددت أسبابها والعوامل المؤدية إليها؛ والتي يمكن حصرها في عاملين أساسيين هما العوامل الطبيعية والأسباب البشرية.

وبتعدد الأسباب تنوعت الأمراض التي تعرض لها الناس، فكانت هناك أمراض جسدية كأمراض العيون مثل الرمد، وأمراض الجهاز التناسلي وأمراض الرأس، والأمراض الأخرى النفسية كالحزن والاكتئاب.

ما تمخض عنها جملة من الانعكاسات على سلوكيات وذهنيات أفراد المجتمع، إذ انساق بعض الناس إلى ممارسات دخيلة على الدين الإسلامي كاستعمال السحر والشعوذة، والاعتقاد في الأولياء والمتصوفة أمواتا وأحياء، كما استغل بعض المرضى جروحهم وأورامهم في عملية التسول من أجل استعطاف الناس.

وبالرغم من مرارة هذه الجوائح والأمراض، إلا أنها كانت من زاوية أخرى ذات نتائج إيجابية، حيث عززت مبدأ التكافل الاجتماعي بين طبقات مجتمع المغرب الأوسط، وشجعت على اللحمة ومبدأ التعاون من أجل اجتياز الأزمات والمحن، وهذا ما جاء به الدين الإسلامي القويم؛ ففي عزّ الأزمات التي كانت تعصف بسكان المغرب الأوسط، بقيت الروابط الدينية تعطي أكلها كل مرة، كما سعت الدولة والسلطات الحاكمة، التي لم تتوان عن تقديم يد العون والتسهيلات، لرعيتها في إطار المحافظة على الأمن والاستقرار واستتباب الأمور في صالحها.

وبرز وبشكل جلي دور المتصوفة والفقهاء، الذين كانوا يهبون كلما ضيقت الأزمات، الخناق على الناس خصوصا، فئة الفقراء والمستضعفين، من خلال المساعدات المادية والمعنوية، وتقديم يد العون للمرضى.

الفصل الثاني: طرق وأساليب العلاج في المغرب الأوسط في العصر الوسيط

المبحث الأول: الطب الشعبي

المبحث الثاني: الطب العلمي

المبحث الثالث: أنماط العلاج غير الرسمي(التداوي ببركة الأولياء والصلحاء، والسحر والشعوذة)

المبحث الرابع: الأساليب الوقائية

عرف سكان المغرب الأوسط الكثير من طرق العلاج، فقد حاولوا الاستفادة مما يحيط بهم في بيئتهم من نباتات ومعادن ومياه، لاستخدامها في مداواة أمراضهم، وهو ما يسمى بالطب الشعبي التقليدي، وهو من بين وسائل العلاج المتداولة منذ الأزل وليس وليد عصر من العصور، أو خصّ مجتمع دون آخر، ومع مرور الوقت وبالاحتكاك مع الأمم والدول المجاورة لهم، اكتسبوا خبرات والمهارات الطبية، جعلتهم يطوّرون طرق وأساليب العلاج التي كانت متداولة بينهم، كما مكنهم انفتاحهم على الشعوب الأخرى التعرف على الطب الطبيعي، الذي يقوم على أسس وقواعد علمية مضبوطة، وبالإضافة إلى الطب الشعبي والطب الطبيعي، فقد عرف الطب الروحاني رواجا كبيرا، بين مختلف شرائح المجتمع، كما اهتدى سكان المغرب الأوسط إلى الأساليب الوقائية، لتفادي الإصابة بالأمراض المختلفة.

المبحث الأول: الطب الشعبي:

يُعَرّف الطب الشعبي بأنه جملة من الأفكار والمعتقدات الشائعة حول أنماط المرض؛ ومسبباته والأنساق الثقافية التي تحدد طريقة المجتمع؛ في اختار المعالجين والممارسات العلاجية الشعبية خارج النسق الطبي الرسمي، والتي تشمل العادات والوصفات والطقوس العلاجية، والإجراءات الوقائية من الأمراض التي يكتسبها الفرد عن طريق التجربة المعاشة [1]، ومن أشكاله التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية والحجامة والكي والرقية وغيرها.

وحسب تعريف ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) للطب الشعبي، فإنه يرى بأن للبادية وأهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحيّ وعجائزه وربما يصحّ منه البعض، وهذا الطب كان عند العرب منذ القدم، والبربر أشبه بالعرب في بداوتهم وحضارتهم [2].

1- عبد الباقي غفور، (أهمية الطب الشعبي وتعايشه مع الطب الحديث)، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، تلمسان، مج8، ع1، 2012م، ص 263

2- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 268.

المطلب الأول: التداوي بالأعشاب الطبية:

يندرج أسلوب العلاج بالأعشاب الطبية، في خانة الطب الشعبي التقليدي، الذي يلقى رواجا كبيرا لدى السكان المغرب الأوسط، وفي مقدمة أساليب الطب الشعبي نجد التداوي بالأعشاب الطبية، التي اعتاد الناس على استخدامها؛ فالإنسان وليد بيئته يؤثر ويتأثر بها، كما أنه يسقل معارفه من خلال تجاربه اليومية، التي اعتبرت منطلق صناعة الطب ومنبعه[1]، فالطب الشعبي باعتباره عن تراكم، للتجارب السابقة، وهو حال الطب، الذي قام في بادئ الأمر على تجربة الناس، لبعض الأعشاب؛ التي فوائدها العلاجية لبعض الأمراض كالصداع أو الحمى مثلا؛ فكان كلما تعرض الناس لهذا المرض، كانوا يرجعون إلى تلك النبتة ويستخدمها، ومن هنا برزت أولى بوادر علم الطب[2].

وقد حاول سكان المغرب الأوسط كغيرهم من شعوب العالم الاستفادة من الطبيعة، وما ينمو فيها من أعشاب واستغلالها في مداواة الأمراض التي تصيبه، حيث يزخر المغرب الأوسط بغطاء نباتي كثيف، بحكم موقعه الجغرافي وطبيعته المناخية، وغناه بالموارد المائية، وهذا ما جعله يتّسم بالتّنوع. وأمام هذا الكم الزاخر من الموارد الطبيعية، قام سكان المغرب الأوسط باستغلالها في الجانب الطبي، واستعمالها في إنتاج عقاقير؛ لمختلف الأمراض التي اشتكوا منها، مثلما ما فعل سكان المغرب والأندلس[3].

فاستغل سكان تيهرت النباتات التي كانت تنمو في ربوعهم، لأغراض طبية كجوز مائل وشجرة المرقد، التي وجدت كذلك بالمغرب والأندلس، وكانت تستعمل كمخدر ومسكن ومسكر، كما نبتت بها أعشاب أخرى قاتلة، استعملت في قتل الحيوانات المتوحشة والضارية[4]، وتمكن أهل

1- علي المكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية دراسات نظرية وبحوث ميدانية، كتب عربية للنشر، مصر، 1991م، ص 20.

2- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج1، ص ص 163-164.

3- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص 411.

4- جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص 50.

قلعة بني حماد من صنع مشروب، من خواصه والتحصّن من لسعات العقارب التي كانت منتشرة بكثرة هناك، ويعتقد أن من شربه، لا يؤثر فيه سمّ العقارب عاما كاملا[1].

كما استخدمت بعض المحاصيل والمزروعات مثل التين والزيتون والعنب، إلى جانب فوائدها الغذائية، كمواد طبية أولية، حيث كانت منتشرة بكثرة زراعة العنب في بلاد المغرب الأوسط، كتلمسان وقلعة هوارة[2]وشرشال[3]وجيجل ووادي شلف[4]، وكان يستهلك طازجا أو بعد تجفيفه واستعماله كزبيب، ومنهم من كان يصنع منه الخمر، واستعمل كذلك كمستحضر علاجي، فكان يصنع منه "عقيد العنب" الذي اتخذ كعلاج لبعض الأمراض[5].

وكان ينمو نبات الريحان بجبل مليانة[6]، الذي استخدم في الوصفات الطبية المتعلقة بعلاج الوباء؛ لأنه يطيب رائحة الجوّ، ناهيك عن فوائده العلاجية في العديد من الأمراض، ويعرف بالشام والعراق بالحبق، أما بالمغرب الإسلامي فيطلق على نبات الآس[7].

أما نبات الحلفاء والذي يعرف بـ" عروس المؤذن"، والذي كان طعام بعض الزهاد بالقيروان[8]، وكانت منتشرة في المغرب الأوسط كتيهرت والأوراس وغيرها من المناطق الأخرى، واستعمل نبات

1- الإدريسي، المصدر السابق، ص 255.

2- **قلعة هوارة**: تقع بالقرب من تاهرت، وهي قلعة منيعة في جبل، عرفت بكثرة خصبها وبساتينها وأشجارها وأعنابها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 470.

3- **شرشال**: مدينة أزلية بناها الرومان على ساحل البحر الأبيض المتوسط، لجأ إليها أهل غرناطة بعد سقوط بلدهم في يد المسيحيين واشتهروا بصناعة السفن والملاحة,, ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 34.

4- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 88.

5- جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص 49.

6- المرجع نفسه، ص 49.

7- وقال ابن الخير الإشبيلي(القرن6هـ/12م) ليس هو الرند بل الريحان. ينظر: ابن الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح: محمد العربي الخطابي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص 41. داود الأنطاكي، المصدر السابق، ص 46.

8- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 183.

الحلفاء كعلاج لبعض الأمراض[1]، حيث أنّ مشروبها بالعسل علاج فعّال؛ لديدان البطن[2]، وبذر الكتان الذي كانت زراعته منتشرة ببلاد المغرب الأوسط، فمدينة بونة وأهل طبنة ومتيجة ومقرّة كل سكان هذه المناطق كانوا يزرعون بذر الكتان بأراضيهم، وذلك لأهميته وخواصه العلاجية حيث استخدم في علاج بعض الأمراض ومنها القروح[3].

والزعفران الذي كان ببلاد المغرب؛ والذي انتقلت طريقة زراعته من المشرق إلى بلاد المغرب، فهو يكثر في مجانة حسبما ذكره البكري[4]، وتكمن أهميته في تحضير بعض الأطعمة وعلاج لبعض الأمراض[5]، فإذا مزج مع دهن اللوز المر يسكن أوجاع الأذن وإذا وضع في الكحل فإنه يحد البصر ويجلي الغشاوة من العين وهو مفيد للقروح والجرب[6]، أما السمسم الذي كان يزرع على وادي الشلف وغيرها من المناطق[7]، فقد كان يستعمل زيت، لعلاج التهابات الجلد والجروح والحروق[8].

واستخدم سكان بلاد المغرب الأوسط الحنة، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن سلمى أم رافع التي كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت:{ **كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَى الله عَلَيْه وسَلَّم، فَمَا كَانَتْ تُصِيبُه قُرْحَةٌ أو نَكْبَةٌ إِلَّا أَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ عَلَيْهَا الحِنَّاءَ**}[9]، حيث زرعها سكان بني وازلفن[10] وأهل بجاية في أراضيهم[11]؛ فكان يخضب الرجل بها لحيته، وربما كانوا يستعملونها

1- جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص 55.
2- داود الأنطاكي، المصدر السابق، ص 130.
3- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 85.
4- الحميري، المصدر السابق، ص 529. البكري، المصدر السابق، ج2، ص329.
5- جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص 54.
6- داود الأنطاكي، المصدر السابق، ص 50.
7- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 86.
8- داود الأنطاكي، المصدر السابق، ص 56.
9- أبو داود، المصدر السابق، ج6، ص 9.
10- الإدريسي، المصدر السابق، ص253.
11- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 56.

كعلاج لما قد يصيب الرجلين والكفين من تشققات وجروح، كما أن من خصائص الحنة العلاجية خفض الحرارة ، إضافة إلى استعمالها من طرف النساء لغرض الزينة، فخضّبن بها أيديهنّ وأرجلهنّ[1].

كما كان الناس يعالجون داء عرق النّسا؛ بأخذ نصف ملعقة من مسحوق حبوب الخردل مع الزبدة، ثم يخضع المريض إلى مساجات بالزيت، حيث أن التدليك كان يخفف من الآلام التي صاحبت هذا المرض، وخصوصا على مستوى الفخذ والساقين[2]، وكان يستعمل الزيت لتنعيم البشرة[3].

واستفاد أهل البدو بالمغرب الأوسط، مما توفره لهم الطبيعة، فصنعوا الأشربة من القشور وعروق النّافع والحبق والترنج وغيرها من النباتات، لعلاج الأمراض التي كانت تصيبهم[4]، كما صنعوا أهل الجنوب نبيذ النخيل من التمرُ عرف بـ "اللاقمي"[5]، وروى ابن قنفذ قصة عن صبّي عاني من إسهال شديد، حتى إنّ الأطباء عجزوا عن معالجته في ذلك الحين؛ فقال بأنّه أطعمه النبق، فبرأ مما كان به من داء، وقد سار ذلك عُرف متداول بينهم[6].

1- حسن حافظي علوي، الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، كلية الآداب العلوم الإنسانية الرباط، 2011م، ص 23.

2- د.لويس صليبا، موسوعة الأيورفيدا، الطب الهندي، دراسة علمية ودليل عملي للتداوي وحفظ العافية، (د ط)، مكتبة بيبليون، جبيل، لبنان، 2006م، ص 677.

3- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص 148.

4- عادل بديرة، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط(دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرهما على السلوك والذهنيات) من القرن إلى القرن7هـ/10-13م، مذكرة ماجستير، (منشورة)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018م،ص 121.

5- روبر برنشيفك، المرجع السابق، ج2، ص 286.

6- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 88.

واعتاد الزيانيون على أخذ جرعات من حب الزنم[1]، والذي أبدى براعته في التسمين، واستعمال البصل والخل لعلاج البهاق[2]، واستعمل مشروب حب العروس، لعلاج الصداع ووجع الأسنان[3].

وعالج الأطباء مرض الرمد، بدواء يحضر بخلط الحضض باللبن، ثم تطلى الأجفان بذلك الخليط، وبعدها تغسل العينان بماء قد طبخ فيه "السادروج"، ويعصب عليها بمرهم مكون من ورق الهذب مدقوقا ومعجونا ببياض البيض "وورق الفجل"[4]، "ودهن الورد" مدقوقا حتى يصبح مرهما[5]، أما علاجهم للدّمل؛ فقد كان يتم عن طريق وضع لزقة من البصل على موضع دمامل الرأس، كما كان يؤخذ نصف ملعقة من معجون الزنجبيل، ومثلها من العقدة الصفراء، ويمزجان مع الماء وتوضع على الدّمل[6].

ووجدت بالطريق الرابط بين آشير ومرسى الدجاج؛ في سهل فسيح قرب قرية عشبة[7]، "جذور الغرديب"، وهي مادة مخدرة وربما هي "الكافورية" التي لها فوائد جمة كتخفيف آلام الأسنان، وعلاج نزلات البرد، وقال البكري بأنها "عروق عاقر قرحا" التي كانت تحمل إلى المناطق المجاورة[8] ولها

1- حب الزلم ويعرب بحب عزيز، حب السمنة وهو مدر للبول والمني، ويزيد في الشهوة عند الجماع، والإكثار من يولد الصداع، ويعرف بفلفل السودان. ينظر: ابن عبد الرزّاق حمدوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1996م، ص 132.

2- المرجع نفسه، ص 523.

3- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص246.

4- **الفجل**: يعرف هذا النبات في مدينة فاس بالكرنونش من فوائده أنه مدر للبول، نافع للكلى والمثانة، واذا خلط بالعسل وضمد به تحت العين نفعها، كما أنه نافع للنمش وآثار الضّرب والكلف والقوباء ودهنه نافع لآلام الأذن. ينظر: أبو القاسم بن محمد إبراهيم الغساني الوزير حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تح: محمد العربي الخطابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص ص 215-216.

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص ص 246-247.

6- د.لويس صليبا، المصدر السابق، ص 670.

7- عادل بديرة، المرجع السابق، ص 126.

8- البكري، المصدر السابق، ج2، ص 246.

خصائص علاجية فعالة إذا سحق وغلي في الزيت نفع المفلوج وشعر بالاسترخاء[1] ، وأما علاج الفتق عند سكان المغرب الأوسط؛ فقد كان يقوم على وضع كمادات من نبات "السرخس" على مكان الفتق ليلا، كما أن الكمون مفيد لاحتقان الخصية[2]، أما أطباء بلاد المغرب عموما، كانوا يستعملون "الخشب البنفسجي" من شجرة الطلح، وهي شجرة كبيرة شائكة لها أوراق كالعرعار، توجد في قفار نوميديا وليبيا، وكذلك ببلاد السودان؛ كعلاج لداء الإفرنج[3].

وبالنسبة لنبات "الترفاس"[4]، فقد استغله سكان المغرب الإسلامي في علاج أمراض العيون، وقيل إنّ ماءها يقوي البصر[5]، وقد وجدت ببادية المغرب الأوسط الحلفاء التي كانت تستعمل لعلاج العديد من الأمراض، كما وجدت نباتات أخرى كنبات" آطربلال" والذي كان يستعمل لعلاج البهق، وبزر هذه النبات فعالة لعلاج البرص حتى إنها تعرف هذه النبة بحشيشة البرص[6]، أما نبات الأرجنقة وتعرف عند الصباغين بالآرجيقن[7]؛ فإنها كانت تستعمل لعلاج اليرقان.

واستخدم سكان المغرب الأوسط "عرق السوس"، الذي يعرف كذلك بنبات السوس، وينبت ببجاية وبالأندلس، وهو نافع من السّعال وملين للحلق والصدر والقصبات الهوائية ومسكن للعطش، كما ينفع من الدّاحس إذا سحق وطبخ واستخدم كضمادات، وكان يستعمل لإذهاب الظفرة التي تظهر بالعينين، ونافع من حرقة البول والتهاب المعدة؛ وإذا شرب منه مقدار معين أزال خشونة الحنجرة[8].

1- ابن البيطار عبد الله بن أحمد، المغني في الأدوية المفردة، المجلد الأول، المملكة البريطانية، مخطوطات شرقية، في السجل :2408OR تاريخ جمادى الأولى 851هـ، ص 50 ظ.

2- عبد الله سنده، المرجع السابق، 315.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 283.

4- سمير إسماعيل الحلو، المرجع السابق، ص 97.

5- أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص 144.

6- داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع المعجب والعجاب، ج1، المغرب، 1008هـ، ص127.

7- عادل بديرة، المرجع السابق، ص ص126-127.

8- أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص ص272-273.

وكان يستعمل نبات "طرخون" لعلاج وجع الحلق والأورام العارضة فيه، وهو نبات يشبه الكرفس، ينبت في الأماكن الرّطبة، ويعرف عن العامة في فاس وتلمسان والجزائر بالمعدنوس، كما كان يعمل على تطييب رائحة الفم[1].

وقد تمكن أبو العباس السبتي (تـ601هـ/1204م) من معالجة أحد المجذومين، حيث قام بنصحه بتناول الخيار، وكان العلاج فعالا[2]، وبذور الكتان التي كانت زراعتها منتشرة ببلاد المغرب الأوسط، فمدينة بونة ووادي الشلف[3]، وأهل طبنة ومتيجة ومقرة كلّهم يزرع الكتان بأراضيهم، ومن خواصه أنه يستعمل في علاج بعض الأمراض وخاصة القروح[4]، والسّمسم الذي كان ينبت بكثرة على ضفاف وادي الشلف وغيرها من المناطق الأخرى، وكان يستعمل زيته في تركيب بعض الأدوية والأدهان[5].

وكانت تجلب من المشرق العربي مواد طبية، استخدم في تركيب العقاقير الطبية منها: جوز الطيب والقرنفل والزنجبيل والقرفة، والتي كانت تجلب من البندقية وجينوا في قوافلهم التجارية عبر الطرق البحرية، أما عبر الطرق البرية فكانت تأتي عبر مصر إلى تلمسان[6].

واستعمل في الطب الشعبي بالمغرب الإسلامي علاجات وأدوية، بناء على شكل أو رائحة أو لون العشبة، فكان يستعمل مثلا "الجوز" الذي يشبه شكل الدماغ، في معالجة آلام الرأس والاضطرابات العصبية وأمراض الدماغ، واستعملت الفوة ذات العصارة الصفراء، لمحاربة الاصفرار وفقر

1- أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص ص 130-131.

2- جمال بامي، المعرفة النباتية والطبية بالمغرب بين التراث العلمي والعلاج التقليدي دراسة تاريخية أنثروبولوجية)، مجلة الإحياء، مج2013م، ع 39-40، المغرب، 2013م، ص 141.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 86.

4- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 85.

5- المصدر نفسه، 56.

6- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص ص 148.

الدم واليرقان[1]، كما استعمل إكليل الجبل(آزير) وهو نبتة صفراء؛ لمعالجة أمراض الكبد والمرارة[2]، والحلبة التي تعرف "بنبتة الدم،" والتي استخدمت كمرمم لإعادة بناء خلايا الدم ومحاربة الوهن[3].

وقد وضعت جدول لمجموعة من الأعشاب الطبية التي كانت موجودة في إقليم المغرب الأوسط، وقد ذكرت بعض الأعشاب والحشائش الذي تداول ذكرها بين الرحالة والجغرافيين، ولم يذكروا أماكن تواجدها بدقة، بل اكتفوا بالقول بأنها تنمو في بلاد المغرب الإسلامي عامة، وهذا ما جعلني أضيفها لأن المغرب الأوسط رقعة من المغرب الإسلامي[4].

ارتكزت الممارسة الطبية في الغالب، على بناء معرفي علمي للوقاية والعلاج، إلا أنه في الواقع يكون ارتباط هذا الارتكاز وفق الثقافة السائدة في مجتمع ما، فكلما كانت الثقافة السائدة هي ثقافة شعبية، كلما طغت المعتقدات الشعبية؛ وتقلص دور العلم وتراجعت الخدمات الصحية الحديثة، لتحل مكانها العلاجات الشعبية المعتمدة على السحر والشعوذة، وغيرها من أنواع الطب الشعبي[5].

المطلب الثاني: التداوي بالحيوانات والعلاج بالماء:

اعتاد سكان المغرب الأوسط على استغلال البيئة من خلال ممارساتهم اليومية، وخصوصا في العلاجات الطبية، وقد استعملوا الحيوانات في انتتاج عقاقير وأدوية أبدت نجاعتها في علاج بعض الأمراض، كما استغلوا الموارد المائية ف عملية التنظيف كأسلوب وقائي، وأيضا علاجي من خلال التداوي بالمياه المعدنية.

1- **الفوة**: عرق نبات لونه أحمر يستعمله الصباغون، وهو مرّ المذاق. ينظر: محسن عقيل، معجم الأعشاب المصور، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 2003م، ص ص 407-408.

2- أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص 16.

3- المصدر نفسه، ص 115.

4- ينظر: الملحق رقم: 01.

5- محمود ذكار، المرجع السابق،، ص 83.

1- التداوي بالحيوانات:

اهتدى سكان المغرب الإسلامي عامة إلى التداوي بالحيوانات، فاستعملوا لحومها وجلودها وأحشائها في علاج بعض الأمراض، وقد وجدت وصفات طبية من هذا القبيل تداولها سكان المغرب والأندلس[1]، وعُرف كان سكان شمال إفريقيا يستعملون لحم السلحفاة التي لم يتعدّ عمرها سبع سنوات في معالجة مرض الجذام؛ بحيث كان يتناوله المريض مدة سبعة أيام متوالية، لكي يتماثل للشفاء[2]. كما استُعمل الماعز الوحشي عقار، لعلاج مرض البلغم[3]، وقد أشار البكري(ت 487هـ/ 1094م) إلى وجد لحم بقر ببونة، إذا أكله أصحاب البشرة السوداء نفعهم، وإذا تناوله أصحاب البشرة البيضاء سقموا ومرضوا[4].

ومن الفوائد جمة للأسماك، أنّ الأطباء كانوا ينصحون المرضى بتناولها، لتجاوز بعض الأعراض المرضية، فمثلا الحوت المعروف "بالرضرضي"، اعتبره ابن سينا من أجود أنواع السمك وأنفعها تغذية العليل المصاب التعب والإعياء الشديد[5]، أما سمك "موسى" فقد تطرق له البكري، وقال إنه نافع للحصاة ومقو للباه، وقد كان الأطباء أمثال جالينوس، ينصحون الأشخاص الذين يعانون من مشاكل في الجماع بتناول أنواع من الأسماك التي تقويهم مثل سمك القمرون[6]، وهو من الأسماك الموجودة بوادي بجاية، وله خاصية تفتيت الحصا[7].

1- ذكر ابن البيطار بعض الوصفات حيث قال بأن مرارة الثعلب وكبد القنفذ وحت دم النمس، كان يستعمله في معالجة المصابين بالجنون. ينظر: ابن البيطار، المغني في الأدوية، ص 50 و.

2- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج1، ص 82.

3- المرجع نفسه، ج1، ص 86.

4- البكري، المصدر السابق، ج2، ص 234.

5- ابن سينا، دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية- الأرجوزة في الطب- كتاب الأدوية القلبية، ص 103.

6- طاهر قدوري، (السمك والتغذية بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط)، عصور جديدة، مج، 03، العدد10، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2013م، ص 62.

7- ابن رزين التجيبي، المصدر السابق، ص 275.

وذكر ابن زهر في كتابه "الأغذية"، أن مرق لحم الدجاج يعدّل المزاج، كما أنه مفيد للمجذوم، أما لحم العصافير؛ فهو مفيد للفالج واللّقوة، ولحم البصابص التي كانت لها قوة في تفتيت الحصى[1].

2- العلاج بالماء:

للماء فوائد طبية عجيبة اهتدى إليها الأطباء منذ القدم، وكان التداوي بالمياه بمختلف مصادرها، سواء معدنية أو مياه أنهار وأودية من الأساليب العلاجية المعتمد من قبل سكان المغرب الأوسط، لغنى هذه المياه بمعدن الكبريت الذي له فوائد طبية كتسكين الآلام في الرأس والمفاصل[2]، ومداواة الأمراض الباردة[3] وجروح المجذومين[4].

وذكر الحميري(ق8هـ/14م) الحمامات المعدنية التي كانت متواجدة بمليانة، وقال بأنها بنيت على عين حارة عذبة، حيث كانت وجهة لكل سكان المنطقة[5]، وقد أشار القاضي النعمان إليها، في سياق حديثه عن المرض الذي كان يعتري أبو عبد الله الشيعي، فأشار عليه من كانوا بمجلسه بأن يستحمّ في حمّام كان بميلة فذهب إليه[6].

إن هذه الإشارة تبرز أن سكان منطقة ميلة، قد اعتادوا الذهاب إلى الحمام؛ لغرض العلاج والاستشفاء من بعض الأمراض، كعلة الحصى التي تصيب المثانة، وما لهذا الحمام ومياهه المعدنية من فوائد علاجية، تساعد على التخلص من الألم، وتعمل على تفتيت الحصى.

1- ابن زهر أبي مروان عبد الملك بن زهر الأندلسي، النشاط و القوة والشفاء في الأغذية ، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ص14-15.

2- جمال بامي، المرجع السابق، ص 142.

3- ابن البيطار عبد الله بن احمد، المغني في الأدوية المفردة، مج 1، ص 51 و.

4- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 91. روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص393.

5- الحميري، المصدر السابق، ص 547.

6- القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص 50.

وكانت الحمامات منتشرة في المدن الإسلامي لحث الدين الإسلامي على النظافة، فأقبل الخلفاء والحكام على بنائها في مختلف الحواضر الإسلامية[1]، وكانت موجودة بكثرة في مدن المغرب الأوسط، لحرصهم على النظافة، وقد ذكر العبدري الحمامات التي كانت بتلمسان ومدى نظافتها وتكلم عن حمام العالية وهو المشهور بها[2]، أما مدينة ميلة فهي الأخرى ضمت العديد من الحمامات، كما كانت بها عين ماء معدنية عُرف بـ"عين الحمى" حيث كان يُرش من مائها على المحموم، فيبرأ لبركتها وشدة بردها[3].

وقد استعمل في العهد الحفصي ولا محال أن سكان بجاية وقسنطينة، حيث استغلوا المياه الوفيرة التي تنعم بها بلادهم، في علاج بعض الأمراض كالجذام وألام المفاصل وغيرها، مثل ما كان معمولا به مثلا في قابس التي كانت بها بحيرة من الماء الكبريتي، وقد شهدت إقبالا كبيرا من المصابين بداء الجذام، وذلك لفاعلية معدن الكبريت في تسكين الآلام وتضميد الجروح[4].

وعليه يمكن القول بأن العلاج بالمياه الباردة والساخنة، والحمامات كانت متداولا لدى سكان بلاد المغرب الأوسط، ولاشك في أن استخدام هذه الحمامات، وبالخصوص المعدنية كان الغرض منها هو العلاج من بعض الأمراض الجلدية وأمراض المفاصل.

كما كان للمعتقد الشعبي حول قداسة الماء رمزية، وهذا الأمر أهله لأن يكون أحد رمزيات المتصوفة والأولياء وأسلوب لعلاج العديد من الأمراض[5]، فشرب المياه النّهرية يحفظ رطوبة البدن، أما مياه المطر فكان يحتفظ بها في جرّة صغيرة، للتبرك به؛ لاعتقادهم بأنها بركة إلهية، وكانوا يسمونها "ماء

1- ينظر الملحق رقم03.

2- العبدري، المصدر السابق، ص 49.

3- البكري، المصدر السابق، ج2، ص245.

4- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2 ، ص 393.

5- ذكر البكري عين ماء في مرسى سبيبة بين بجاية وجيجل تعرف بعين الأوقات، وهذا راجع إلى كون هذه العين تجري مياهها خمس مرات باليوم، وذلك وفقا لأوقات الصلاة، وينقطع جريانها بين ذلك، مما جعل لها مكانة خاصة وقداسة لدى سكان المنطقة. ينظر: البكري، المصدر السابق، ج 2، ص268.

نيسان"[1]، وربما كانوا يستعملونه في علاج بعض الأمراض، بحيث تعد مياه المطر مفضلة في الرقية والاغتسال بها، فقد كان الناس يرقون للمرأة التي لم تلد في ماء المطر[2]، كما أن شرب مياه الأمطار والثلج؛ يساعد في محاربة الأمراض الداخلية، وذلك لاعتبارها مياه طاهرة منزّلة من السماء، ، مازال هذا المعتقد راسخة لدى الكثير من الناس إلى يومنا هذا.

المطلب الرابع: التداوي بالمعادن:

اعتمد سكان المغرب الأوسط على التداوي ببعض المعادن التي كانت موجودة به، ومن بينها معدن اللازورد الذي استخدم لتقوية شعر الأجفان[3]، كما أنه يساعد على إنبات الأهداب ويقويها، وإذا شرب مغسولا سبب الإسهال، أما إذا شرب غير مغسول سبب القيء، وقيل إنه مفيد لوجع الكبد إذا مزج مع العسل، أما إذا استعمل كطلاء مع الخل؛ فإنه ينفع لعلاج البرص[4]، ويعمل على إسقاط الثآليل عن طريق حمله أو حكه على موضع المصاب[5]، كما يعمل على إسهال السوداء ومدر للبول ونافع من وجع الكلى[6]، ويستعمل اللازورد في علاج الدماميل ذات الخلط السوداوي، بحيث يسحق ويغمر في ماء مغلي ليلة كاملة أو أكثر، ثم يصفى ويقدم بالمقدار المعلوم الذي يصفه الطبيب للمصاب[7].

كما كان استعمال الكحل؛ للعينين شائعا بين النساء والرجال على حد سواء، فنقل ابن القطان أن سكان مدينة بجاية كانوا يستعملونه، حيث أنه عندما مرّ ابن تومرت سنة511هـ/1107م

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، 79.

2- سمية مزدور، الأزمة والولاية في المغرب الأوسط، ص 17.

3- اللازورد: معدن مشهور يتخذه الناس كحلي وله منافع طبية كثيرة. ينظر: ابن رشد، المصدر السابق، ص 609.

4- د.لويس صليبا، الرجع السابق، ص ص 584-586.

5- عادل بديرة، المرجع السابق، ص 127.

6- د.لويس صليبا، المرجع السابق، ص 586.

7- أبو مروان عبد الملك بن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، تح: محمد بن عبد الله الروداني، (د ط)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، المملكة المغربية، (د ت)، ص364.

ببجاية، رأى اختلاط النساء بالرجال والصبيان المتزينين المكتحلين، فأنكر عليهم ذلك ونهاهم عن التشبه بالنساء لأنه من المنكرات التي حرّمها الله تعالى على عباده الصالحين[1].

وكان سكان المغرب الإسلامي يكتحلون بالإثميد[2]؛ لعلاج أمراض العيون كالرمد، وهو أيضا يعمل على تجفيف العين من الدمعة ويُجِذُّ البصر، ويقوي أعصاب العينين ويخفف الأوجاع الكامنة بها[3]، وله خاصية قطع الرعاف العارض وينفع من حرق النار ويساعد على قطع النزيف[4]، وقد وجد في جبل الحصن التابع لتلمسان معدن الإثمد[5]، ولاغرو في أن سكان تلمسان قد استعملوه في ميدان العلاج والأمور الطبية، وهذا استنادا لما رواه ابن العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:{**البَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ البَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خِيرِ ثِيَابِكُم، وكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُم، وإِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُم الإثميدُ: يَجْلُوا البَصَرَ، ويُنْبِتُ الشَّعَرَ**}[6]، وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: { **عَلَيْكُم بالإثْمِيد عِنْدَ النَّوْمِ، فَإِنَّهُ يَجْلُو البَصَر، ويُنْبِتُ الشَّعْرَ**}[7].

ومن المعادن التي كان يحضّر بها العالجين في تلمسان وما جاورها بعض الأدوية معدن الشّب فإذا عمل منه معجون بمقدار قيروطي على المعدة الضعيفة؛ عمل على تقويتها، وهو مفيد للأمراض الصدرية، وإذا استعمل مع دهن السدّاب نفع في تحليل الريح، كما أنه نافع للسوداء والبلغم الغليظ، ويعمل على فتح السدد ونافع من الخفقان، أما ماءه فهو مفيد، للظهر إذا استعمل كطلاء[8].

1- ابن القطان أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص 93.

2- **الإثميد**: هو حجر الكُحل الأسود، براق صلب أجوده الذي إذا تم تفتيته كان سريع التفتيت وله لمعان وبريق وأملس. ينظر: أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص 37.

3- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 321-322.

4- عادل بديرة، المرجع السابق، ص 127.

5-البكري، المسالك والممالك، ج2، ص263.

6- أبو داود، المصدر السابق، رقم الحديث: 3878، ص28.

7- ابن ماجة، المصدر السابق، رقم الحديث: 3496، ص 1291.

8- سعدي شخوم، المرجع السابق، ص ص 521-523.

وما يمكنا قوله أن سكان المغرب الأوسط، استغلوا البيئة المحيطة بهم وسخروا ما تزخر بها من عشب ونبات وماء ومعادن، في علاج العديد من الأمراض التي كانوا يعانون منها.

المطلب الخامس: العلاج بالفصد والحجامة والرقية:

إن من بين طرق العلاج التي كانت متداولة في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، العلاج بالفصد والحجامة، وهما من بين أساليب الطب الشعبي.

1- العلاج بالفصد:

إن من طرق العلاج التي كانت متداولة في المغرب الإسلامي عموما خلال العصر الوسيط، عملية الفصد التي كانت تتم بفصد أحد الأوردة، لهدر مقدار معين من الدم، والفصد يكون لعلاج بعض الأمراض كعرق النسا داء الملوك وأوجاع المفاصل عامة، والصداع والسوداء وغيرها من الأمراض الأخرى التي تستدعي الفصد[1]، وهو من المهن التي كانت منتشرة في المغرب الأوسط، وقد ذكر لنا ابن عبدون في كتابه "رسالة المحتسب" كيفية الفصد، حيث قال فيها بأنه لا يفصد الفصّاد أحدا، إلا في آنية معلومة مرسومة المقادير؛ ليرى مقدار ما يخرج من الدم[2].

ومن الأمراض التي كانت تعالج بالفصد "داء الجرب "فيفصد المصاب ثم يلقى دمه في الماء فإذا طفئ؛ فقد بلغ المرض غايته، وإن رسب ففيه مجال للشفاء والعلاج[3]، ويذكر ابن زهر أن علاج داء النقرس يكون بفصد في القيفال –وهو عرق في الذراع– في الجانب المخالف للرجل المنقرسة، وأن يستخرج منها الدم بالقدر المعلوم؛ وفق الشروط المتداولة في عملية الفصد[4]، ويذكر عبد الواحد المراكشي، بأن الخليفة الموحدي الناصر، قد تعرّض إلى سكتة من ورم في الدماغ، فكان لا يتكلم

1- أحمد محمد كنعان، المصدر السابق ، ص771.

2- ابن عبدون التجيبي، رسالة في الحسبة، تح ليفي بروفنسال، ص 35.

3- الأنطاكي، المصدر السابق ، ص 344.

4- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص406.

فأشار عليه الأطباء بالفصد لكنّه رفض ذلك[1]، وقد استعمل الزيانيون أيضا الفصد، كأسلوب لمعالجة الكثير من الأمراض التي كانت تستوجب ذلك[2].

إن هذه الإشارات، تبين لنا أن عملية الف صد كانت متداولة بين الأطباء في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ولربما كان ينصح بها الأطباء المرضى الذين لم يستطيعوا معالجتهم أو لمن كانت حالاتهم مستعصية.

2- العلاج بالحجامة:

الحجامة هي إحدى الممارسات الطبية القديمة، التي كانت منتشرة في العديد من المجتمعات القديمة ومنها المجتمعات العربية، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وقدّم أجرة للحجام، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **{الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ: شَرْبَةُ عَسَلٍ وشَرْطَةَ محجم، وَكَيَّةَ نَارٍ وَأنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنْ الكَيّ}**[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله: **{إِنْ كَانَ فِي شَيء مِمَا تَدَاويتم بِهِ خَيْرٌ، فَالحِجَامَة}**[4].

وتعد الحجامة عظيمة المنفعة، وهي أقل خطرا من الفصادة، ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في الحجام أن يكون خفيفا رشيقا خبيرا بعلمها، فيخف يده في الشروط حتى لا يوجع المحجوم ويعلق المحجمة وتكون التعليقة الأولى خفيفة سريعة القلع، ثم يقوم بالقلع بإبطاء وتمهل، وأوقات الحجامة تكون في وسط الشهر باكتمال النور في جرم القمر، لأن الأخلاط تكون هائجة في هذا الوقت والأدمغة زائدة في الأجفان، وأفضل أوقات الحجامة الساعة الثانية والثالثة من النهار، وتكره أن تكون في بداية الشهر، خوفا من أن تكون الدماء هاجت[5].

1- المراكشي، المصدر السابق، ص 236.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 246.

3- البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث: 5680، ص1441.

4- أبو داود المصدر السابق، ج6، رقم الحديث: 3857، ص 8.

5-: الألباني، المرجع السابق، ص 422.

والحجامة هي من أكثر أساليب المعالجة شيوعا، بتلمسان في العهد الزياني، وقد كان الحجام بعد الانتهاء من عملية الحجامة، يطلب من المريض تناول بعض الأشربة المقوية، والغرغار وأدهنة توضع على الجروح، كما كانوا يقدمون شراب الأرجوان للمريض[1].

3- العلاج بالرقية:

إن العلاج بالرقية كان شائعا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، وقد تم تداول العلاج بالرقية بالمغرب الأوسط، كغيره من البلدان الإسلامية؛ لجواز واستحباب رقية المريض، وهذا بالرجوع للسنة النبوية التي ضمت العديد من الأحاديث النبوية حول الرقية فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا اشتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قال: {أَذْهِبِ الْبَأسَ رَبّ النَّاسِ واشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَما}**[3].

كان النبي عليه الصلاة والسلام كلّما يقوم بعيادة مريض يرقيه بهذه الكلمات، كما أثر عنه صلى الله عليه وسلم النفث بالمعوذات فقالت عائشة رضي الله عنها: **{ كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم إِذَا مَرِضَ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ، لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةٍ مِنْ يَدِي}**، فكان الرسول يأمر الناس بالرقية من العين والحمى والسعفة التي تظهر بالوجه[4]، وقد رخص النبي صلى الله عليه جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار[5].

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 246.

2- **الرقية:** وهي جمع رقى وهي العوَذَةُ التي يرقي بها صاحب، فيقال استرقيت فرقاني رقية فهو راقٍ وتستعمل كعلاج للحمى والعين والصرع وغير ذلك. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ص 1711- 1712.

3- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2191، ص 1045.

4- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث:2192، ص 1047.

5- كان أصحاب رسول الله في سفر ووجدوا رجلا مصابا أو ملدوغا، فتقدم رجل من أصحاب رسول الله فرقى له بالفاتحة، فشفي الرجل، فأعطاه قوم المصاب قطيعا من الغنم، فلم يأخذها وقال حتى يستشير رسول الله، وعند عودته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلمه بما حدث: فتبسم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**{ وما ادْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثم قال:{ خُذُوا مِنْهُمْ واضْرِبُوا لِي بِسَهْمِ مَعَكُمْ}**. ينظر: المصدر نفسه، رقم الحديث: 2201، ص 1049.

وانتشرت طريقة العلاج بالرقية في المغرب الأوسط، حيث كان هناك العديد من الرقاة؛ الذين كانوا يعالجون الناس، بالتفل أو المعوذات أو باستعمال النفث والمسح والدعاء للمريض بالشفاء، وهذا امتثالا ما جاءت به السنّة النبوية الشريفة، ومن الأمراض التي شاع العلاج فيها بالرقية نذكر: الحمى والعين والمسّ من الجن، كما طالت الرقية الأمراض المستعصية كالجذام والجرب، وداء الصرع والجنون، واتخذ الرقاة معالجة الناس بالرقية مهنة يسترزقون بها، وكانوا يأخذون عليها أجرة دون أن يحددوا مقدارها في غالب الأحيان[1].

وقد ذكر ابن مرزوق (تـ781هـ/1379م) أنه كان في صغره كثير الإصابة بالأمراض، حتى عجز الأطباء عن معالجته، لكن رقية والده كانت ناجعة، وامتثل للشفاء بفضل الله تعالى[2]، واشتهر العديد من الأشخاص بالعلاج بالرقية، فكان أبو العلاء المديوني (تـ737هـ/1334م) من المخصوصين بالكشف والرقى وعلاج جميع العاهات، وعن الشيخ علي بن موسى عُرف ضريحه بالترياق، حسب ما رواه الغبريني من كرامات لهذا الشيخ؛ حيث عرف بمعالجة الناس بالرقية، التي انتقلت إليه من الشيخ يحي العبدلي فقد رقى له في عصا وبهذا انتقلت إليه كرامة هذا الشيخ وحكمته في معالجة الناس؛ وقيل أنه رقى لطفل ببجاية لم يكن يقدر على المشي؛ فمسح الشيخ عليه ورقاه فمشى ذلك الطفل، لذلك يقال بأنّ دواءه رباني وطب إلهي[3].

إن تعليقي على هذه القصة هو أن لبعض الصلحاء والزهاد، حكمة ربانية، وهبها الله لهم لصلاحهم ونسكهم وتعبدهم، فلربما هذا ما جعل لهم مكانة عند الله ولدى الناس، لذلك كان دعائهم مستجاب.

1- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ص 17.

2- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص19.

3- أبو العباس أحمد الغبريني، الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص 272.

أما أحمد بن إدريس البجائي(تـ760هـ/1358م)؛ فقد كان من كبار العلماء ببجاية، وقد عرف بالزهد والورع، وذكر أنه مرّ ذات يوم بمصاب، وكان معه بعض الطلبة؛ فقرأ في أذن المصاب، وما إن أتمَّ القراءة حتى أفاق المريض؛ فسأله أحد الطلبة: ماذا قرأت في أذنه؟ فقال: الفاتحة. وفي يوم آخر مرّ ذلك الطالب بمصاب فقرأ عليه الفاتحة في أذن المريض؛ فتكلّم الجان وقال له: هذه الفاتحة وأين قلب ابن إدريس؟[1] .

كما كان أولياء المغرب الأوسط يتحصنون الناس بالرقية، من مرض الجذري والبرد وفالج وحكة، ولهذه الرقية فعالة في علاج وجع الأسنان والأذنين، وكانت تتم بأخذ ماء المطر ووضعه في إناء، وتُقرأ عليه الفاتحة سبعين مرة، ثم يشرب من ذلك الماء سبعة أيام متتالية على الريق ووقت العشاء[2]، واعتمد بعض المعالجين النّشَرة لعلاج بعض العلل كالجنون[3].

وذكر لنا الونشريسي(تـ914هـ/1508م) في إحدى النوازل فقال: "وسئل بعضهم عن رجل من أهل الخير والصلاح، كان يكتب للحمى ويرقي ويستعمل النُّشْرَ ولا يأخذ على ذلك شيئا، ويعالج المصابين بالصرع والجنون باستخدام أسماء الله الحسنى، وكان يصنع للمرضى العزائم والخواتم؛ فهل ترى ذلك جائز أو لا؟". وقد ورد الجواب عن هذا بجواز بكتابة الكتب للحمى والرقى وعمل النشر بالقرآن، أما في ما يخص معالجة المصروعين بالجنون باستعمال العزائم والخواتم؛ فإن ذلك من المنكرات والعمل به باطل[4]، وهذا بالاستناد لقوله صلى الله عليه وسلم: **{ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ}**[5].

1- التنبكتي، المصدر السابق، ص 99.

2- سمية مزدور، الأزمة والولاية في المغرب الأوسط، ص 17.

3- **النشرة**: هي رقية يعتمد عليها بعض المعالجين وسميت نشرة لأن المعالج ينشر بها عن المريض ما خامره من داي بمعنى يزيل ويكشف ما به من علّة وهي من السحر. ينظر: الصحاري، المصدر السابق، ج3، 126.

4- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 29.

5- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2200، ص 1048.

كان موقف فقهاء المغرب الأوسط من هذه الممارسات المنافية للشرع محرمة، وبالأخص العلاج باستعمال السحر والشعوذة؛ فهو محرّم قطعا، وقد ذكر الونشريسي(تـ914هـ/1508م) نازلة سئل فيها أبا الفضل العقباني(تـ871هـ/1467م)، حول ظهور ساحر يهودي بقلعة هوارة من أعمال تلمسان سنة 849هـ/1445م، هل يستحق القتل بسبب أعماله؟ فكان رد العقباني بأنه يستحق الضرب والسجن الطويل[1].

وقد ذكر في موضع آخر سؤال طرح عمّن يكتب حروفا مجهولة المعنى للأمراض، ويكون بها الشفاء فهل يجوز ذلك أم لا؟ وكان جوابه في ذلك بالاستناد لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرُّقا[2]، قال: **{اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ فَلَمَّا عَرَضُوهَا قال: {لَا أَرَى بَأِسًا، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَل}**. وقد رخص الرسول صلى الله عليه وسلم الرقية في العين والحُمة والنملة[3].

وطلب الرسول صلى الله عليه وسلم عرض الرقا عليه، ذلك دليل على أنه هناك من الرقا ما يكون كفر، ولهذا لا يجوز أن يستشفى بمثل هذه الرقا التي يُجهل معناها الظاهر[4]، والرقى ليست مجرد صيغ لغوية تلقى على المريض، ولكنها ممارسات جسدية مصحوبة باللمس والمسح والتفل بالريق، باستعمال العناصر المادية مثل الماء والتراب والنار ولكل عنصر من العناصر السابقة رمزية ومدلول ديني، فالتراب صعيد طيب طاهر وهو عنصر أصلي في ممارسة الرقية، والماء كذلك يرمز إلى الحياة والطهارة وبالاستناد لقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الذِيْنَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَواتِ والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ أفلا تُؤْمِنُوْنَ**﴾[5].

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 399.

2- المصدر نفسه، ص 399.

3- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2199، ص ص 1047- 1048.

4- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص ص 171 -173.

5- سورة الأنبياء، الآية:30.

لقد شكّل الراقي في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط شخصية خارقة للعادة، مكنته من السيطرة على أفراد المجتمع ووقوفهم مبهورين أمام ما قدمه من علاجات، قد عجز الأطباء عن إيجاد علاج فعّال لها، والسؤال المطروح هل هذا الاعتقاد الذي ساد المغرب الأوسط حول الرقية، كان نتيجة لنجاعة العلاج أم لعجز الناس عن مزاولة الطب الطبيعي، وعن دفع تكلفة العلاج التي كانت باهظة الثمن مقارنة بالأجر الزهيد الذي كان يقدّم للراقي؟

المبحث الثاني: الطب العلمي:

قوامه التجارب والتفسير العلمي لحدوث العلل بسبب التغيرات المناخية أ نوع الأغذية، والخروج بقوانين يقرها أهل الصنعة من أطباء، حيث كانوا يستدلون على المرض بالعلامات والتشخيص، ومن ثمة كانوا يصفون العلاج إما بالأغذية أو الأدوية أو بالحمية.

شهد الطب العلمي تطورا كبيرا في العصور الوسطى بفضل جهود العلماء المسلمين، الذين انكبوا على دراسة المؤلفات الطبية، التي خلّفتها الحضارات السابقة كاليونانية والإغريقية، وسهروا على تطويرها، فكانوا أهل حضارة بشهادة ذويهم من المؤرخين الأوربيين الثقاة، وقد نال المغرب الإسلامي حضه من هذا التطور، وساهم هو الآخر في تطوير ميدان الطب من خلال المؤلفات الطبية وتشييد البيمارستانات والصيدليات، وبروز نخبة من الأطباء والصيادلة الذين كان لهم السبق في هذا الميدان وفي هذا المبحث سأبين الطب العلمي الذي استخدمه سكان المغرب الأوسط في علاج مختلف الأمراض التي كانت تصيبهم.

المطلب الأول: الطب العلمي والعلاج النفسي في المغرب الإسلامي (النشأة والتطور):

يعتبر الطب العلمي المأخوذ من الكتب عن طريق التعليم، والقائم التي لقيت إقبال كبير من طرف العلماء والأطباء المسلمين الذين استغلوا هذا الزخم المعرفي في بناء طب علمي قائم على قواعد وأسس علمية، كما تعتبر حركة الترجمة التي قام بها المسلمون، للتراث اليوناني في ميدان الطب والصيدلة، وتنقيحهم لجملة من القوانين وتطويرهم للبعض الآخر، والإضافات التي جاد بها كوكبة من

العلماء المسلمين في هذا الميدان[1]، كلّها عوامل أعطت للطب والصيدلة الصفة العلمية، وأصبح علما مقننا بقواعد وأصول تنظم عمله وتضبطه[2].

وأثّرت الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية، حيث تمثلت بوادرها في كافة الميادين من جملتها الطب والكيمياء وعلم النجوم وغيرها كثير، وفي هذا الصدد ينقل لنا المؤرخ محمد رضا كاشفي مقولة الباحث "ول ديورانت"، التي يعترف فيها بفضل الحضارة الإسلامية على أوربا؛ فقال بأن أوروبا أخذت من ديار الإسلام الغذاء والعصائر والخبز والدواء والعلاج والأسلحة والآداب والصناعة والتجارة وقوانين الملاحة[3]، أما المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه؛ فقد كتبت في مقدّمة كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" شكرا خالصا لما قدّمه العرب من فضل نظير جهودهم المبذولة، ودورهم الفعّال في نمو حضارة الغرب والعالم قاطبة، وتنوه إلى أن التعصب الديني الأعمى أو الجهل، هو الذي وقف عائقا طيلة هذا الزمن الطويل، وحال دون تكريم عباقرة العرب والمسلمين حيال جهودهم المثمرة في التطور والازدهار، الذي شهدته الحضارة الإنسانية عامة[4].

1- قال ابن أبي أصيبعة أن أولى إرهاصات الترجمة كانت في عصر الدولة الأموية، ثم في عهد الخلافة العباسية، وقد تنامى حب المعرفة والاطلاع لدى المسلمين، لما تزخر به مكتبات الأمم والحضارات الأخرى، للاستفادة من علومهم في ما ينفعهم في حياتهم اليومية، وبالأخص العلوم الطبيعية والفلكية والطبية والكيمياء، وقد ازدهر بيت الحكمة ازدهارا كبيرا بفضل حركة الترجمة التي كان للخلفاء العباسيين؛ دور في تشجيع المترجمين على النهل من حضارة الأمم السابقة، ونقل مختلف العلوم والمعارف حتى صار بيت الحكمة يضاهي متحف الإسكندرية، الذي أسس في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد ظل تأثيره حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ويرجع الفضل الأكبر لعلماء المسلمين لما قدّموه من صنيع للحضارة الغربية، حيث أن حركة الترجمة التي شهدها العالم الإسلامي، قد حفظت التراث اليوناني من الضياع والزوال؛ وقال ابن أبي أصيبعة(ت1270/668م) أن أغلب النصوص اليونانية قد فقدت، ولم يبقى غير ما تم ترجمته للعربية فكثير من المخطوطات والكتب ككتب جالينوس وبطليموس وقانون العلوم لأرخميدس، لو لا العرب لما عرفنا اليوم عنها شيئا. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص 35-37. زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مرا: مارون عيسى الخوري، ط8، دار الجيل، بيروت، 1413هـ-1993م، ص 384.

2- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 166.

3- محمد رضا كاشفي، تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية، تع: أنور الرصالي، ط1، مركز المصطفى العالمي للدراسات والتحقيق، إيران، 1435م، ص193.

4- زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص ص 9-10.

وقد استفاد أطباء المشرق والمغرب الإسلامي، من خبرة الإغريق في مجال الطب من خلال ترجمة المؤلفات الطبية، غير أنهم لم يقفوا عند هذا الحدّ بل أضافوا الكثير من الابتكارات والنظريات وطرق العلاج، حيث أبدع الطبيب أبو القاسم الزهراوي الأندلسي (تـ385هـ/995م) في علم الجراحة، فقد كان أسلوبه ومعلوماته ومعداته وآلاته الجراحية اللبنة الأولى التي قام عليها صرح الجراحة الحديثة، كما اهتم الأطباء المغاربة بطب العيون الذي عرف بالكحالة في العصر الوسيط، وبرع الطبيب الأعين بن أعين الذي مدحه ابن أبي أصيبعة(ت668/1270م) بقوله:" كان طبيبا متميز، وله ذكر جميل وحسن معالجة"، ولعل شهرته هي التي جعلت المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/953-975م)من اختياره للانتقال معه إلى مصر ومزاولة مهنته هناك[1].

نال الطب العلمي بالغرب الإسلامي مكانة مرموقة؛ في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا الجهل والتخلف، حتى اصطلح على الفترة بالعصور المظلمة، نظرا للجهل الذي سيطر على أوروبا في العصور الوسطى، وبسبب القيود التي فرضتها الكنيسة، التي كانت تسيطر على زمام الأمور في تلك الفترة، وكانت بالمرصاد لكل عالم لأن العلم كان محصورا على الكهنة والقساوسة ولا يتعدى الكنيسة، حيث قامت بعمليات واسعة من التطهير؛ فأعدم أو أحرق كل من يحاول ابتكار أو يأتي بشيء جديد يخالف ما جاءت به الكنيسة؛ وفي المقابل كان الغرب الإسلامي يعيش أزهى عصوره من تطور وتقدّم وحضارة بلغت الآفاق، بفضل كوكبة من العلماء الذين نبغوا في شتى صنوف المعرفة العلمية، وأبلوا بلاء حسنا في العلوم الطبية، وأضحى أسلوبه علميا بحتا قائما على أسس وقواعد علمية رصينة،

1- لقد أدرجه ابن أبي أصيبعة ضمن الأطباء الذي كانوا بمصر، توفي سنة 385هـ، وله مؤلفات منها: كتاب في أمراض العيون ومداواتها، والكتّاش. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 87.

معتمدا على الأدوية المفردة منها أو المركبة[1]، وكان لهذه الأدوية فاعلية في القضاء على الأمراض، واستدراك العلاج والشفاء في وقت وجيز[2].

1- الطب العلمي بالمغرب الأوسط:

اهتمت دول الغرب الإسلامي بالعلوم التطبيقية، اهتماما منقطع النظير، وكان الطب في مقدمة اهتماماتها العلمية لقداسته، وجاء هذا الاهتمام في وقت مبكر منذ القرن 4هـ/10م، وقد حافظ الطب على مكانته المرموقة؛ بين سائر العلوم بالغرب الإسلامي طيلة العصر الوسيط.

ولا نغفل هنا من الإشارة إلى حظّ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط من التطور العلمي، حيث شهدت قلعة بني حماد تطورا ملحوظا، في كافة المجالات العلمية بما في ذلك الطب والصيدلة، ودام هذا الازدهار أكثر من القرن ونصف القرن منذ 398-545هـ/1007-1169م[3]، فشارك في ميدان التطبيب كل من المسلمين واليهود الذين زاولوا هذه لمهنة، وأبدوا براعتهم فيها[4]، وقد وجد عدد من الأطباء المشهورين الذين اعتمدوا في تشخيصهم للأمراض على طريقة تحليل البول، وأقدم البعض منهم على إجراء عمليات جراحية من أجل علاج بعض الأمراض الداخلية[5].

وفي عصر المرابطين انتشر الوعي بأهمية الطب والعلاج؛ فكان المرضى يقصدون الأطباء طلبا للعلاج، وقد كان هؤلاء الأطباء يكشفون على مرضاهم في المستشفيات والعيادات الخاصة التي كانت متواجدة بالمدن الكبرى، ويصفون لهم الأدوية التي كانت على شكل مستحضرات ذات أشكال مختلفة، وقد اشتهر أهل الذمة بممارستهم لمهنة الطب في المغرب الإسلامي بصفة عامة؛

1- **الأدوية المفردة:** تكون إما حيوانية أو معدنية أو نباتية، فالنباتية تكون ثمرا أو بزرا أو زهرا او ورقا أو أصولا أو عصارات وألبان من الحيوانات وصموغا. ينظر: الغساني، المصدر السابق، ص417.

2- أحمد جبار، العلوم العربية في عصرها الذهبي، تر: محمد نعيم، ط1، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2021م، ص 89.

3- محمد صديقي، المرجع السابق، ص102.

4- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص166.

5- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 292.

فكان إقبال الناس على هذا النوع من العلاج محتشما؛ لارتفاع تكلفته من جهة وتحفظ الناس من التداوي عند أهل الذمة لأن دوائهم مشكوك فيه فكان الناس يتخوفون منهم من جهة أخرى[1]، ومما يؤكد اهتمام المرابطين بالطب هو وجود منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية، وهو يعادل منصب وزير الصحة في الوقت الراهن، وهو يمثل المسؤول الأول أمام الأمير عن الميدان الطبي وكل ما يتعلق بالأدوية والعقاقير الطبية[2].

وتواصل هذا الإهتمام إلى عصر الموحدين، وخاصة عهد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1163-1184م) وابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله (580-595هـ/1184-1199م)، اللذين أولياه أهمية عظيمة؛ فشيدوا المستشفيات، إذ أسس يعقوب المنصور بالله مارستانا للمرضى وذوي الإصابات العقلية وأجرى النفقات على أهلها[3]، ونظموا التعليم الطبي وجعلوا لهذه المهنة رؤساء منهم أبو جعفر الذهبي (تـ600هـ/1203م) الذي كان مزوارا للأطباء[4]، ويظهر هذا التنظيم من خلال إنشاء مرفق خاص بالأشربة والمعاجين الطبية، والذي كان مخصصا للخلفاء الموحدين دون سواهم، كما ازدهر فن الصيدلة في هذا العهد؛ فكان بمستشفى مراكش وببلاط الخلفاء عدد من الصيادلة[5]، وقد ساهم الزيانيون أيضا من جانبهم بقسط وافر في خدمة المجال الطبي، حيث كان الطلبة يتلقون التعليم الطبي بالمساجد والمدارس والبيمارستانات، وبرزت كوكبة من الأطباء والصيادلة وعلماء في البيطرة وعلم النبات[6].

1- جمال بامي، المرجع السابق، ص144.

2- حمدي عبد المنعم محمد حسن، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص 409.

3- جمال بامي، المرجع السابق، ص 145.

4- **أبو جعفر الذهبي**: هو أبو جعفر احمد بن جرج كان عالما بصناعة الطب خدم المنصور والناصر، وكان ميّالا للأدب فكان يحضر مجلس المذاكرة في الأدب، توفي أبو جعفر الذهبي بتلمسان سنة600هـ عند غزو الناصر لإفريقية. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 81.

5- محمد حقي، المرجع السابق، ص 105.

6- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 248.

وما يمكن قوله أنه تعاقب على حكم بلاد المغرب الأوسط العديد من السلطات السياسية، اهتم حكامها بالجانب الصحي لرعيتهم وتوفير العلاج لهم؛ وهو علاج مبني على القوانين والتجربة العلمية الرصينة، وذلك عن طريق تنظيم التعليم الطبي وتشييد المارستانات، وكان هناك أطباء خاصون يعملون لحسابهم الخاص، وأجرتهم باهظة الثمن، وكانوا يختارون المدن الكبرى، لإقامتهم كفاس ومراكش وسبتة، وتلمسان وبجاية، وقد اشتهر أهل الذمة بامتهانهم مهنة الطب.

2- العلاج بالموسيقى والطب النفسي:

اعتبرت الموسيقى أداة علاجية منذ القدم، وكان ينظر إليها على أنها نوع من الطب، حيث كانت تعمل على تحسين الحالة المزاجية والصحية للمرضى، واعتمد عليها الفلاسفة المتقدمين قبل أبقراط[1] كأداة علاجية، غير أن الكندي (تـ260هـ/873م) اعتبر من أوائل الأطباء العرب الذين طبقوا العلاج بالموسيقى على المرضى[2].

ومن الآلات الموسيقية التي كانت تستعمل في العزف بغية العلاج، الآلة التي كانت تسمى بـ "اللورا" و"بالمزّمر"، فبعض الإيقاعات تبث في النفس الشجون، ومنها ما كانت تولد الحزن، وأخرى تجلب الفرح، وهناك إيقاعات موسيقية بمجرد سماعها يشعر المستمع بالطمأنينة والأمان وتسكن الأوجاع، وتساعد على الاسترخاء والنوم[3]، وقد نوّه ابن سينا إلى علاج النفوس بطيب الحديث، والعطور الفوّاحة، ودفعهم إلى الأفراح والغناء[4].

1- ابن الجزار، طب المشائخ وحفظ صحتهم، تح: فاروق عمر العسلي والراضي الجازي، ط1، مطبعة وفاء، تونس، 2009م، ص57.

2- عبد الكريم شحادة، صفحات من تاريخ التراث العربي الإسلامي، (د ط)، أكاديميا إنترناشيونال، بيروت، 2005م، ص 176.

3- أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو، مفتاح الطب ومنهاج الطلاب، تح: مهدى محقق ومحمد تقى، طهران، إيران، 1368هـ، ص 17.

4- ابن سينا، الأرجوزة في الطب، تح ودرا: محمد زهير البابا، منشورات معهد التراث العلمي العربي، 1984م، ص 164

واستخدام الموسيقى كأسلوب للعلاج في عهد الدولة الزيانية(633-962هـ/ 1235-1554م) بمستشفى تلمسان؛ فقد كان الموسيقيون يزورون المرضى مرة أو مرتين في الأسبوع، ويعزفون لهم نغمات موسيقية بإيقاعات تبث في النفس الشجون والراحة النفسية، فتساعد على الاسترخاء، ومن الألحان ما ينعش الروح؛ فتقوى ضربات القلب، وتعود الأعضاء الجسمية إلى تأدية وظائفها، وقد كان العلاج بالموسيقى والغناء من الوسائل النافعة في العلاج[1].

وقد حظى المصابين بداء الجنون بهذا النوع من العلاج، حيث كانت الموسيقى تعمل على تهدئة أعصابهم، وكانوا يتفسحون في الهواء الطلق، وكما زرعت أنواع مختلفة من الزهور في المستشفيات وأمام شرفات المرضى وفي الحدائق؛ لتدخل البهجة والسرور في قلوبهم، وطبق الأطباء في الدولة الزيانية طريقة العلاج النفسية على المرضى، وذلك عن طريق معاملتهم بالملاطفة والعلاج بالأضداد[2].

ونظرا لتأثر سكان المغرب الإسلامي بالفن الأندلسي بما في ذلك الموسيقى، نتيجة اختلاطهم بالأندلسيين المهاجرين[3]، ومن بينهم سكان المغرب الأوسط كتلمسان وبجاية ودلس، وقد عرف عن سكان دلّس، بأنهم ودودين محبين للحياة المرحة، وكان أثر سكانها يجيدون العزف على ألة القيثارة والعود، وكذلك هو الحال بالنسبة لسكان بجاية؛ الذين اشتهروا بالظرافة والمرح محبين للحياة السعادة[4]، وكان جل سكانها يجيدون العزف والرقص، ومن الآلات الموسيقية التي كانت موجودة في عهد الموحدين نذكر: الشبابة المزمار، البوق، الطنبور، القانون، والصنج، وقد اعتمد بعض الأطباء في العهد المريني، الموسيقى في علاج بعض الأمراض النفسية والعصبية[5].

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 247.

2- المرجع نفسه، ج1، ص 248.

3- أ بو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 47.

4-م. طالبي، إشعاع الحضارة المغربية من كتاب تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن الثاني إلى القرن السادس عشر، مج4، المطبعة الكاثوليكية ش.م. ل، بيروت، لبنان، 1988م، ص 85.

5- عبد الجليل عبد العزيز، محمد عبد الواحد حجاني، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، سلسلة عالم المعرفة، (د ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1403هـ، ص 264.

إن حب سكان المغرب الأوسط للموسيقى، دفعهم إلى استعمالها كأسلوب للعلاج، لأنها كانت تشعرهم بالفرحة والسعادة؛ وأزالت عنهم ضغوطات الحياة اليومية وهمومها، وقللت التوترات النفسية الناجمة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانوا يعانون منها، فكانوا يجدون فيها غايتهم المنشودة، ألا وهي الراحة النفسية.

المبحث الثالث: أنماط العلاج غير الرسمي(التداوي ببركة الأولياء والصلحاء، والسحر والشعوذة):

لقد شاعت ممارسات علاجية غير رسمية بين سكان المغرب الأوسط؛ لعلاج الأمراض التي كانت تنتابهم، والتي دار فلكها حول التبرك بالمتصوفة والاعتقاد بكرامة الأولياء ودعاء الصلحاء والفقهاء، فهناك من الأدوية التي تشفي الأمراض والعلل؛ ما لم تهتد إليه عقول أكابر الأطباء، على اختلاف أديانهم ومللهم، فاصطلح عليها بالأدوية القلبية الروحانية، كلها أدوية روحية جرّبها سكان المغرب الإسلامي، فوجدوا فيها غايتهم ومن جملتها:

المطلب الأول: التداوي ببركة الأولياء والصلحاء:

اكتسب الطب الروحاني[1] مكانة مرموقة بين مختلف شرائح المجتمع، وبالأخص فئة الفقراء والمساكين، كما أنه كان شائعا بين مختلف الأصقاع الإسلامية، بما في ذلك المغرب الإسلامي بكل أقاليمه، وكان متداولا بالمغرب الأوسط؛ فقد احتضنه الناس، وتداووا به خصوصا في فترة انتشار الأمراض الفتاكة، التي كانت تعصف بالبلاد بين الفينة والأخرى، فالعلاج الفعلي للطاعون في كتاب " أقوال المطاعين"؛ يكون بالدعاء وتلاوة القرآن وبعض الأدعية المأثورة عن السلف الصالح.

1-الطب الروحاني: وهو علم بكمالات القلوب وأمراضها ومداواتها، وكيفية حفظ الصحة والاعتدال الجسدي والروحي للقلوب، ورد العلل التي يمكن أن تصيب القلوب، فالطب الجسماني يرمي إلى حفظ صحة البدن، أو استعادتها، والطب الروحاني يهدف إلى حفظ الأخلاق الحميدة المنبئة عن صحة النفس أو استعادتها وقد ألّف الرازي كتاب في هذا المجال سماه طب النفوس أو تدبير النفس. ينظر: ابن رشد، المصدر السابق، ص 25.

والتجأ بعض المرضى إلى الأولياء والصلحاء؛ طمعا في الشفاء والتغلب على أمراضهم، وبالأخص هؤلاء المرضى الذين استعصت حالتهم ويئسوا من المرض، بعد فشل الأطباء في تشخيص حالتهم، ووصف العلاج المناسب لهم، ومن جملة الأمراض التي كانت تقود بأصحابها إلى هذا النوع من الطب داء الصرع والجنون[1]، بالإضافة إلى مرض الرعاف الذي كان يتخوف منه الناس كثيرا؛ لعدم معرفة سبب حدوثه.

وقد كان الفقهاء يعزون بعض العوارض المرضية الأخرى إلى المسائل القدرية، وسادت فكرة الاعتقاد في الصوفية والتبرك بهم؛ فكان الناس يهرعون إلى مشايخ الصوفية للتوسط لهم بفضل بركتهم، لدى الذات الإلهية في كثير من الأمور، كالفترات القحط وانحباس المطر، لانبهار المجتمع بكراماتهم وقدراتهم الخارقة على كشف أسرار الناس، وتحقيق رغباتهم وتفريج الكروب وجلب الشفاء للمرضى[2].

كما كان الناس يلجؤون إلى العلماء، الذين كانوا يقيمون مواكب لصلوات الاستقساء والابتهالات لله، لكي يرفع الله عنهم الطاعون، واعتبرت بركة كل من- الولي الصالح وشيخ الزاوية والمتصوف- بمثابة الملاذ الأخير لمواجهة بعض الأمراض، والتي بات الخلاص منها أمرا مستحيلا بعد عجز الأطباء عن توفير العلاج الأنجع لهم، كالعقم والبرص والجذام، إذ كان في اعتقادهم؛ أن التعاويذ والحروز والتودد للشيخ أو المتصوف أو الولي من أجل الظفر برضاه أو ملامسته وتقبيله، وطلب بركتهم أمر فعّال في صد هذه الأمراض[3]، فإن ذلك يبقى اعتقاد، لأن المرض وشفاء منه بيد الله تعالى.

1- حسين مؤنس، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 104.

2- بكري العيد، الحواضر الصوفية بالمغرب الأوسط بين القرنين (5-6هـ/11-12م) حاضرة بجاية وتلمسان أنموذجا، ط1، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2018م، ص ص40-41.

3- حسين بوجرة، الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير(1350-1800)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2011م، ص 190.

وذكر المقري في "نفح الطيب" قصة أبي مدين شعيب (تـ594هـ/ 1198م) مع سيدي أبي يعزى(تـ592هـ/1196م) وكرامته؛ فقال أنه كان يحضر مجلسه، وعندما قام الشيخ من مقامه، جال بخاطر أبي مدين أن يمرغ وجهه في مكان جلوسه، ففعل ذلك وعندما قام من مكانه وجد نفسه بأنه قد فقد بصره، وفي اليوم الموالي تقرّب من الشيخ وأخبره بما حدث معه، فقرّبه إليه ومسح بيده على عينيه؛ فعاد بصره ومسح على صدره؛ فزالت كل خواطره وهذا من بركة الشيخ وكرامته[1].

كان الناس يسارعون إلى طلب بركة الشيخ "محمد بن يوسف السنوسي" (تـ895هـ) لعلمه، حتى قيل فيه "عالم جمع له علم الظاهر والباطن"، وقد كان يأمر أهله بالإكثار من الصدقة زمن الغلاء؛ ليرفع الله البلاء على الناس، ولا يمنع من قبّل يده تبركا به[2].

وسادت فكرة قداسة الأولياء والصلحاء، والاعتقاد في قدراتهم وكراماتهم لدى سكان بجاية أيضا، فكان المتصوفة الأحياء منهم والأموات مقصدا للناس؛ لاعتقادهم في قدرتهم على تغيير الأقدار، وحل المشاكل العويصة؛ وإبراء ومعالجة العديد من الأمراض، وكمثال على ذلك قبر الولي الصالح أبي زكرياء يحي الزواوي(تـ611هـ/1215م)[3]، الذي كان معروفا بالزهد ومساعدة المساكين؛ فمن أعماله أنه في إحدى السنوات عمت المجاعة بجاية فقام بكراء فندق، واستدعى المساكين والفقراء إليه، وقدّم لهم الطعام والملابس التي اشتراها من مال قام بأخذه من عند عمال بجاية[4]، وبهذا حفظ كرامة هؤلاء من ذل السؤال أو موت جوعا[5].

1- المقري، المصدر السابق، ص 138.

2- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 240-243.

3- **أبو زكرياء يحي بن علي الزواوي**: وهو ولي صالح زاهد ورع أصله من مدينة بجاية، ولد بجبل أمسيون خارج بجاية، وقام برحلة إلى المشرق وأخذ العلم عن علمائه، ثم عاد إلى بجاية إلى أن توفي سنة 611هـ1215م.ينظر: ابن الزيات، المصدر السابق، ص 228.ابن قنفذ، الوفيات، ص 306.

4- بكري العيد، المرجع السابق، ص 42.

5- ابن الزيات، المصدر السابق، ص.229.

إلى جانب ذلك فقد كان الناس يتعالجون بالطرق التقليدية، على يد هؤلاء المتطببين من فقهاء ومتصوفة عن طريق العلاج بالكي[1]، فكان الكثير من الأطباء يقومون بكي موضع الوجع للمريض المصاب بداء النسا[2].

إنّ ظاهرة الإيمان بالأولياء كانت منتشرة بكثرة في بجاية، ويقال أن عدد الأولياء بها بلغ تسع وتسعين وليًّا، حتى أطلق عليها "مكة الصغيرة" لكثرة الأولياء بها[3]، وكان سكان بجاية مولعين بحب العلماء والأولياء، والإيمان بخوارقهم شديد الاعتقاد بكراماتهم[4]، وقد أشار المؤرخ الفرنسي روبر برنشفيك من المهتمين بتاريخ شمال إفريقيا وخاصة في العهد الحفصي، إلى أن السكان كانوا يزورون قبور الصلحاء، التي كانت تقع خارج "باب المرسى"، من أجل أخذ بركة ذلك الولي والدعاء عند قبره[5].

وأورده الونشريسي (تـ914هـ/1508م) معلومات فيما يخص حمل تراب المقابر، لتبرك به وذكر مجموعة من الأسئلة الفقهية عن ذلك، وقد ذكر أن العوام من الناس، كانوا ينقلون تراب ضريح الشيخ أبي يعزى (تـ592هـ/1196م)[6]؛ للاستشفاء من الأمراض والقروح المعضلة[7].

وما نستخلصه أن ظاهرة زيارة القبور والتبرك بالأضرحة، من المعتقدات التي كانت سائدة في المجتمعات المغاربية، ولا زال بعض الناس يعتقدون فيها ويحجون إليها كلما أتيحت لهم الفرصة لذلك

1- سعدي شخوم، الصناعة الصيدلية في الدولة الزيانية، الناصرية الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مج4، العدد 01، جوان2013، ص519.

2- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص410.

3- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، جمع وتنسيق، لغليطي حميد وسوسي جمال، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1991م، ص 230-231.

4- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 242.

5- روبر برنشفك، المرجع السابق، ج1، ص 415

6- حسب ما أورده التادلي بأنه كان يعالج بالتفل ونقل الولاية لابنه من بعده. ينظر: التادلي، المصدر السابق، ص 252.

7- الونشريسي، المصدر السابق، ج1 ،ص330.

حتى في وقتنا الراهن، غير أن الصواب هو جعل ذلك الولي الصالح قدوة يحتذى بها في الأعمال الصالحة والعبادة، وليس التسارع إلى قبره وتقبيه وأخذ تراب ضريحه، لأنه لا يسمن ولا يغني من جوع.

إن هذا الأسلوب العلاجي- العلاج الروحاني- الذي التجأ إليه الناس في العصر الوسيط، من أجل مواجهة بعض الأمراض المستعصية، بالرغم من اتسامه بالوهمية والخرافية، إلا أنه على الصعيد النفسي أبدى نجاعته وفعاليته؛ إذ كان يوفر نوع من الشعور بالأمن والاطمئنان، في ظل اقتصار السلطة السياسية على محاولة التصدي للعدوى، أثناء تفشي الأمراض المعدية، وانفلات زمام الأمور من السلطة الإدارية، إبان عجز الهياكل الطبية عن القيام بنجدة البشر، فشاع هذا الفكر الصوفي وتنامى إشعاع مشايخته، فكان من نتائجه تقوقع التفكير الطبي وتقلص دور الأطباء وتراجع نظرياتهم التي صيغت في القرون السابقة[1].

وطغى التفكير الصوفي والاعتقاد بهم، على سكان المغرب الإسلامي عامة، وبما في ذلك عوام سكان المغرب الأوسط، وشاع العلاج الصوفي الكرامي، حيث ذكر ابن قنفد(810هـ/1407م) قصة مرض أمير المؤمنين أبي يحي أبي بكر المتوكل الحفصي (718ـ747هـ/1318-1346م)، الذب توفي بمرض يسير أصابه بعد حكم دام ست وثلاثين سنة، ويحكي القصة بنوع من الكرامة التي امتاز بها جده يعقوب الملاري (تـ764هـ1363م)، الذي دعا لهذا الحاكم بطول الحكم والموت على فراش العافية، حين فزع الحاضرون مما شاهدوه من جروحه فقال لهم: " الأمر قريب، فإن سيدي يعقوب الملاري (تـ764هـ/1363م)[2]، وعدني أن أموت على فراش العافية"[3].

1- حسين بوجرة، المرجع السابق، ص 191.

2- يوسف بن يعقوب الملاري (680- 764هـ /1282-1326م)، وهو جد حسن بن علي ابن قنفذ لأمه، تولى رعايته وتعليمه، فقد كان رجلا عالما ومن الصلحاء توفي سنة 764هـ/1326م. ينظر: ابن قنفذ، الوفيات، ص 362.

3- ابن القنفد، المصدر السابق، ص90-91.

إن هذه القصة التي أوردها ابن القنفذ، ربما الغرض منها هو الافتخار بمكانة جدّه، ومحاولة إعطاء صورة كرامية له، والتفاخر به، لأنه كان متعلقا به وخصوصا أنه كان من الصلحاء والزهاد مستجاب الدعوة.

وشير هنا إلى قصة مشابهة تمثلت في مرض ابن مرزوق الخطيب (تـ781هـ/1380م) حتى أن الأطباء يئسوا من شفائه؛ وطلبوا من والده أبو العباس أحمد(تـ741هـ/1340م) بأن يتضرع ويدعو الله له بأن يشفه، حيث كان والده معروفا بالولاية والصلاح واستجابة الدعوة، وقد استجاب الله لدعائه، فقال أحد الأطباء: "هذا طب القلوب وليس طب العلوم "[1].

وقال المستشرق الفرنسي إدمون- وهو مختص بدارسة قضايا الحضارة العربية الإسلامية والأمازيغية بشمال إفريقيا- بأنه بالقرب من ضريح سيدي يعقوب التفريسي، كان الناس يقوم بالعديد من الشعائر، كتقديس الأشجار والمياه وأن الهدف من هذا المعتقد والطقوس، هو طرد الشر والنحس والآلام، التي كانت تعتري صاحب هذا الطقس[2].

وقال ابن مريم بأنّ ضريحه —سيدي يعقوب- مستجاب الدّعوة وله كرامات عديدة[3]؛ ولربما ما أورده إدمون يترجم لنا الاعتقاد السائد لدى أهالي المنطقة، وكل من يعرف هذا الولي الصالح.

1- **ابن مرزوق الخطيب**: وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحي بن أحمد بن الخطيب المشهور بابن مرزوق، التلمساني، من علماء وفقهاء تلمسان ولد سنة 710هـ/1311م، رحل إلى بلدان عديدة وتوفي بالقاهرة سنة 781هـ/1380م، ودفن بها. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص 258.

2- إدمون دوطي، المرجع السابق، ص ص 323-324.

3- **سيدي يعقوب التفريسي**: هو من الأولياء الصلحاء المعروف بالزهد والمكاشفة، كان يحضر بمجلسه الإنس والجن، وقد ذكر ابن مريم ذلك في كتابه وقال أنه كان يقدم درسا للطلبة ذات يوم؛ فإذا بحنش(ثعبان) يدخل عليهم، وتمرّغ بين يدي الشيخ ثم انصرف، وبعدها قال الشيخ لطلابه بأن ذلك الحنش من الجن، وقد قدم من العراق قد بعث علماءه يستفتونني فأجبتهم على فتواهم. ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 296-297.

وقد انتشرت العديد من الكتب التي اعتمدت العلاج الروحاني نذكر منها: كتاب قبس النوار وجامع الأسرار لجمال الدين يوسف بن أحمد الندرومي، ورسالة لأبي عبد الله الندرومي في خواص الحروف، وكتاب شموس الأنوار وكنوز الأسرار لمحمد بن الحاج بن عامر الغساني التلمساني.

المطلب الثاني: السحر والشعوذة:

في سياق الطب الشعبي، برزت ممارسات متعددة هدفت إلى معالجة الأمراض خارج نطاق الطب الرسمي من بينها ما عرف بالعلاج بالسحر والشعوذة، ومما لا يختلف عليه اثنين أن السحر موجود، وذلك بالاستناد لقوله عزّ وجلّ: ﴿**واتَّبَعُوا مَا تَتْلُوْا الشَّيَاطِيْنُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِيْنَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وما أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ومَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُوْلَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ ومَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ويَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

وتدليلا على أن السحر موجود وحقيقة لا ينكرها أحد، مؤكد في السنة النبوية الشريفة، حيث رُوي على أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قد سُحر؛ بناء على قول عائشة رضي الله عنها:{ **سَحَرَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلّم يَهُودِيّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ. يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قالت: حَتّى كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، يُخَيّل إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُه، حَتّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلّم ثُمَّ دَعا، ثُمّ قَال:" يَا عَائِشَةُ أشَعَرْتِ أنّ الله أَفْتَانِي فِيْمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيه؟ جَاءَنِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِيْ و الآخَرُ عِنْدَ رِجْلِيّ، فَقَال الّذِي عنْد رَأْسِيْ للّذِي عِنْدَ رِجْلَيّ، ما وَجَعُ الرّجُل؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ**

1- سورة البقرة، الآية: 101.

قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَم، قال: فِيْ أضيّ شَيْءٍ ؟قَالَ: فِيْ مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ، قَالَ وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ قال: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ }[1].

وعُرّف السحر على أنه عقد ورقى وكلام يقال أو يكتب، أو عمل يُعمل لشخص؛ فيؤثر عليه في بدنه أو قلبه أو عقله، من غير مباشرة له، ومن السحر ما يقتل وما يمرض، وما يفرق بين المرء وزوجه، وما يخلق البغضاء بين الناس، أو يحبب بين شخصين، لقد أشرنا في الفصل السابق إلى أن السكان المغرب الأوسط، خلال رحلتهم الطويل في البحث عن الدواء؛ لمعالجة الأمراض التي كانت تعترض طريقهم، ولما استعصت عليهم بعض الأمراض راحوا يستعملون الطقوس السحرية والشعوذة، فهمهم الأول والأخير هو التخلص من المرض، وما سببته لهم من آلام مهما كلف الثمن، وخصوصا أنهم كانوا يعتقدون بأن بعض الأمراض التي لم يجد لها سببا طبيعيا أو بشريا أعطوها، تفسيرا ميتافيزيقيا؛ له علاقة بعالم الجن كمرض الصرع[2]، فكانوا يزورون العرّافين الذين كانوا يوهمون الناس بمعرفة أسباب مرضهم وطرق علاجهم[3]، وكانوا يتنبؤون بما سيقع للناس في مستقبلهم[4].

وذكر العقباني(تـ871هـ/1467م) عنهم نصا عنهم فقال:" وقد وجد جماعة عرفوا بالغرباء، وعندهم صناعة معروفة معلومة لها مراتب من الحيل والتحيل والمدكات؛ وإبهام العقول تنقسم على وجوه كثيرة من بعضها الطب، وأنواع العلاج وبيع الحروز وادعاء القيام بالسحر، أشياء أخرى يتوصلون بها إلى أكل أموال الناس بالباطل، ويدخلون الوهم والعلل على صحاح الأجسام[5].

1- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 2189، ص 1044. البخاري، رقم الحديث: 5763، المصدر السابق، ص 1458.

2- عادل بديرة، المرجع السابق، ص 148.

3- وفي هذا الصدد ذكر حسن الوزان (ت بعد957هـ/1550م)، أن من النساء من كانت تمرض أو تتظاهر بالمرض، فكانت تذهب إلى العرّافة، لتخبرها بأنها مصابة بمس من الشيطان، ثم تطلب منها ممارسة أعمال شنيعة من أجل استرضاء الشياطين، ويطلبن من أزواجهن إقامة وليمة لجميع العرّافات، وهذا كله من أجل تماثلها للشفاء، وقد وصف هذا العمل بالغباوة والجهل لمن يصدق أقوال العرافين. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 264.

4- إبراهيم قادري بوتشيش، المرجع السابق، ص111.

5- العقباني، المصدر السابق، ص 86.

وقد لجأ العرافون إلى استخدام الطلاسم والتعاويذ والبخور وكتابة الحروز، التي في نظرهم تقي الناس من الإصابة بالعين الشريرة والحسد، بينما كانوا يخطون على جبين المجنون أو يده بعض الإشارات والحروف، ويرشونه بعطور مختلفة، ثم يبدأ العراف أو كما سمّاه حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م) بالسّاحر في رقية المريض ويطلب من الشيطان الخروج، بعد أن يسأله عن كيفية دخوله لجسم المريض وعن اسمه وأسئلة من هذا القبيل حتى ينالوا ثقة الناس[1].

وينبثق عن الطرح السابق أن انتشار هذه العلوم والممارسات التي تنظر في الأمور الغيبية، تنبؤ أولا بالعجز الذي كان يكبل الناس في الفترة الوسيطية، والذعر والخوف المستمر، الذي كان يراودهم من مخلفات الأزمات بما فيها الأمراض المعدية والمستعصة، لذلك ساد في اعتقادهم بأن هذه العلوم الغيبية، ستمكنهم من استشراف المستقبل والتأهب لأي طارئ قد يطرأ عليهم على حين غرة.

أما ما أورده المؤرخ روبار برنشفيك، الذي يعزي هذه الاستعمالات المتكررة؛ لبعض المفاهيم السحرية إلى تأثير الحركة الصوفية[2]، فبعض الطرق الصوفية تستأثر بعلوم السحر والطلسمات في حفظ الصحة ومعالجة بعض الأمراض، بعد أن عجز الطب عن إيجاد علاجات لبعض الأمراض المستعصية، فكان بعض المرضي يعلقون الأصداف[3]والتمائم، مثلما كان يصنع أهل بونة، حيث كان لا يكاد يخلو عنق أحدهم من تميمة[4]، وألحق بعض الناس التمائم والعزائم بالرقية؛ لاحتواء هذه الأخيرة على آيات قرآنية، وبعض أسماء الله الحسنى وبعض الأدعية، التي كانت تكتب على الأوراق؛ وتوضع في خرقة مع بعض الأعشاب، ويعلقها المريض في رقبته أو يحملها معه، حيث كان يعتقد هؤلاء مرضى أنهم تماثلوا للشفاء ببركة القرآن الكريم[5].

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 262..

2- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 394.

3- يعرف كذلك بالودع والخرز، والخرز اليماني، يقال بأنه يحمي حامله من الحسد والعين الشريرة. ينظر: إدمون دوطي، المرجع السابق، ص 61.

4- عبد الكريم شباب، المرجع السابق، ص 169.

5- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة، ص 186.

وحسب تعريف ابن خلدون(تـ808هـ/1406م) للسحر فال: بأنه علم بكيفية استعدادات، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إما بمعين هو الطلسمات من الأمور السماوية، أو بغير معين هو السحر؛ فالنّفوس الممارسة للسحر أو الكهنة لها خاصية التأثير في الأكوان، واستجلاب روحانية الكواكب، والتصرُّف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية والاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية، ولا يتم للساحر هذا، إلا بالاحتكاك بالشياطين عن طريق التذلل والخضوع والعبادة والسجود لغير الله[1].

والفرق بين السّحر والطلسميات؛ هو أن السحر لا يحتاج فيه الساحر إلى معين، بينما الطلسميات، فإن الممارسين لها يستعينون بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات، وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر، والشّريعة الإسلامية لا تفرق بين السحر والطلسمات والشعوذة، وإنما جعلتهما في باب المحظور والتحريم[2]؛ بل إن السحر يعتبر كفرا وشركا بالله تعالى[3]،فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**{اجْتَنِبُوا المُوبِقَات: الشِّرْكُ باللّه والسّحر}**[4]فمن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه[5].

وقد لجأ الناس بالمغرب الأوسط إلى السحر والشعوذة والمنجمين، بعد عجزهم ويأسهم من الأزمات التي كانوا يتخبطون في ويلاتها، فكانوا يصنعون التمائم والتعاويذ، لدرء الشّر والمرض والحسد والعين[6]، وهو حال سكان بونة فلا تكاد يخلو عنق أحدهم من تميمة[1]، كما كان الناس يحملون في أعناقهم الصفّيرة[2].

1- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 275.

2- ذكر الونشريسي حُرمت بيع كتب الخرافات والشعوذة وكتب الأحكام للمنجمين، وكذلك كتب العزائم بما لا يعرف من الحروف والكلام. ينظر: الونشريسي، ج6، ص70.

3- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 275.

4- البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث: 5764، ص 1459.

5- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص280.

6- عبد الكريم شباب، المرجع السابق، ص 169.

ومن الاعتقادات التي كانت سائدة لدى سكان المغرب الأوسط، وجود الجن في الكهوف والمغارات والتي تمثل بيوتا لهم، فكان في اعتقادهم أن لجن المغارات القدرة على إبراء الأمراض المستعصية.

وقد ذكر صاحب الاستبصار قلعة هوارة التي تقع بالقرب من مدينة تيهرت، واعتقد الناس أن الجنّ قد أخلت تلك البلاد، كما وزعموا أن في الليل السكان كان يرون بالصحاري نيران الجن تشتعل، وكانوا يسمعون عزفهم وغنائهم، حتى أن بعض يؤذون تعرضوا لأذيتهم، عن طريق الاختطاف، كما اعتقد بعضهم أنّ الجن كانوا يستبدلون أبنائهم؛ بأبناء البشر، وقد ساد هذا الاعتقاد لديهم وتداولت هذه الأخبار بين الناس[3].

إن أذيّة الجن للإنس تكون بتسليط الأمراض عليهم، أو عن طريق نشر الذعر والخوف في قلوب البشر، كما أن مسّ الجن يسبب أمراض نفسية وجسدية للمريض كشعوره بالتعب والألم في المفاصل وعدم قدرته على الحركة وغيرها من الأعراض التي تختلف من شخص إلى آخر .

ومن المعتقدات التي كانت سائدة أيضا أنّ الجن يفضلون الأماكن المائية والمواقد النارية، حيث تقبع المرأة وتوجد باستمرار، وهذا هو السبب الذي جعلها عرضة لأذيتهم باستمرار هذا من جهة، ومن جهة أخرى اعتبرت المسطحات المائية من جداول وأنهار وعيون وبرك، أفضل ماكن للتبرك والاستشفاء من العديد من الأمراض، خصوصا تلك التي كانت تتعرض لها النسوة كالعقم وتأخر الإنجاب أو موت الأجنّ في بطون أمهاتهم، كما توجهت النساء إلى هذه الأماكن طمعا في فك قيود السحر والزواج[4].

1- البكري، المصدر السابق، ج2، ص 234.

2- الصفّيرة: وهي من الأحجار الكريمة برتقالي اللون كان الناس يحملونه معهم حتى لا يصابون بالطاعون؛ ولو عمّ من حولهم، فلن يصابوا به. ينظر: إدمون دوطي، المرجع السابق، ص62.

3- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 179.

4- عبد الهادي أعراب، (صورة المرة في خطاب الممارسات السحرية والدينية بالمغرب)، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، مج7، ع26، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات المملكة المغربية،، 2018م، ص 115.

وبهذا فإن الاعتقاد في تأثير وسلطة هذه المعتقدات، ترجمة لنا بنية ذهنية الإنسان في المغرب الأوسط الزاخرة بطقوس التبرّك والقداسة، وزيارة الأماكن التي يتواجد فيها الجن، والقيام بممارسات وطقوس؛ لاسترضائها تارة، أو من أجل تجنب أذيتها لهم تارة أخرى، كما أن بعض الناس جعلوا من هذه الأماكن مزارات، يهرعون إليها كلما شعروا بخوف يداهمهم، أو من أجل تحقيق رغباتهم، وتبقى الأساطير والقصص كفيلة بإبراز هذا المعتقد، وأصدق صورة لهذا المشهد ما نقله لنا الوزّان حول "واد السلاحف"[1]، وهو عبارة عن حمّام يتكون من عيون ماء ساخن يتدفّق بين أحجار ضخمة تعيش فيه السلاحف، وكانت نساء المنطقة تعتقد بأن تلك السلاحف شياطين، وإذا مرضت إحدى النساء أو أصيبت بالحمى؛ فيرجعون السبب إلى السلاحف ولتتخلص من الدّاء، كان لابدّ من ذبح دجاجة بيضاء، وتوضع في إناء وتربطها بشمعتين وتحملها إلى تلك العين وتتركها هناك[2]،إن الجانب الطريف في هذه القصة، أنّه في بعض الأحيان كانت بعض النساء يتتبعن أثار المرأة التي تحمل الدجاجة، وما إن ترجع إلى بيتها حتى يسرعن لأخذ تلك الدجاجة ويقمن بطبخها وأكلها.

إن هذه القصة حملت في طياتها؛ تناقضا وتباينا بين فئات المجتمع الواحد، فهناك فئة تعتقد بأن هذا القربان والطقوس كفيلة بأن تشفيهم وتبعد عنهم الأذى الذي سلطته الجن، من خلال استرضائها، أما الفئة الثانية فقد أدركت أن هذا الاعتقاد خاطئ، واستغلّت سذاجة الفئة الأولى، وهذا الأمر غاية في الأهمية، فليس كل سكان المغرب الأوسط، كانوا يصدقون مثل هذه الاعتقادات، وربما ما زاد في ترسيخ هذا الاعتقاد هو أن الإسلام لا ينفي وجود عالم الجن، حيث تم ذكره في القرآن والسنة، لكن هذا لا يبرر الأعمال والطقوس التي كان يقوم بها الناس؛ فقد ظهر بعض الناس ممن ادّعوا قدرتهم على تسخير الجن لخدمتهم، واستحضارهم، والقدرة كذلك على إخراج الجن من

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 59.

2- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 393.

الممسوسين وكفّ شرّهم على الناس، وهذا الأمر مكّنهم من بسط نفوذهم وسيطرتهم على بعض الفئات من المجتمع بما فيهم النساء[1].

المبحث الرابع: الأساليب الوقائية:

يعد العلاج بالوقاية من أنجع طرق العلاج التي تبناها أطباء المغرب الإسلامي، وأعطوها أهمية بالغة للحفاظ على الصحة الجسمية والنفسية[2]، حيث نصت الشريعة الإسلامية على ضرورة حرص المسلم على نظافة بدنه وملبسه ومكانه، وفرضت على المسلم أن يكون على طهارة، وأن يتوضأ لأداء الصلاة؛ فلابد للعبد أن يكون نظيف الجسد، طاهر القلب استعدادا للوقوف بين يدي الله، كما اهتدى الأطباء إلى الحجر الصحي والعزل، لتفادي انتشار العدوى بين الناس، كما تعد التغذية السليمة والحمية الغذائية أسلوبا من أساليب الوقاية المعمول بها منذ القدم.

المطلب الأول: النظافة:

لقد بينت السنة النبوية في عدّة أحاديث، طرق وأساليب الوقاية من الأمراض المعدية وكيفية التعامل معها، كما جعلت الطهارة والنظافة عاملا أساسيا في الوقاية من مختلف الأمراض؛ فالنظافة من الإيمان، ومن الطبيعي أن يكون المسلم نظيفا ما دام يتوضأ يوميا لأداء فريضة الصلاة، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الطهارة أحاديث كثيرة؛ فعن أبي هررة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:**{الفِطْرَةُ في خَمْسٌ: الإخْتِتَانُ، والاسْتحْدَادُ، وقَصُّ الشَّرِبِ وتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ ونَتْفُ الإبِطِ}**[3]، وفي حديث آخر عن مصعب بن شيبة، عن طلق بن حبيب، عن عبد الله بن الزبير عن عائشة ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم: **{عَشَرَةٌ مِنَ الفِطْرَة: قصُّ الشَّارِبِ، وقَصُّ**

1- لقد تطرّق حسن الوزّان بشيء من التفصيل في موضوع العرافة والسحرة والمنجمين ولمزيد من المعلومات يتنظر: حسن الوزّان، المصدر السابق، ج1، ص ص 263-266.

2- ينظر الملحق رقم 04.

3- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 257، ص 134.

الأَظْفَارِ، وغَسْلُ البَرَاجِمِ، وإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، والسِّوَاكُ، والاسْتِنْشَاقُ، ونَتْفُ الإِبْطِ، وحَلْقُ العَانَةِ، وانْتِقَاصُ المَاءِ، وقال مصعب: ونسيت العاشرة؛ إلاّ أن تكون المضمضة }[1].

ومنه فإنّ السنة النبوية اهتمت بأدق التفاصيل، مراعية بذلك النظافة البدنية للمسلم، والتي تقيه من الإصابة بالأمراض، كما تندرج نظافة الأسنان وتطهيرها من الأساليب التي تقي الأسنان من التسوس والتآكل، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على استعمال السواك، لما له من فوائد للفم فقال صلى الله عليه وسلم: **{ لَوْلَا أَنْ أَشُقّ عَلَى المُؤْمِنِيْنَ، لَأَمَرْتُهُمْ بالسّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ}**[2].

وانتهج سكان بلاد المغرب الإسلامي أسلوب الوقاية، تفاديا للإصابة بالأمراض أو انتقال العدوى بينهم، وبرز ذلك جليا في أسلوب معيشتهم؛ فجعلوا من النظافة البدنية ونظافة المحيط أولى اهتماماتهم، وحفاظا منهم على دوام النظافة، كانوا يلبسون الثياب الصوفية البيضاء، التي لا تخزن أشعة الشمس أكثر من اللازم وتحفظ حرارة أجسامهم أثناء البرد، أما إذا اتّسخ فيظهر ذلك على الملابس البيضاء، فينزعونها ويتم غسلها بالماء والصابون، كما ارتدوا ملابس تتناسب مع فصول السنة كالملابس الصوفية والقطنية في فصل الشتاء؛ والملابس الخفيفة الفضفاضة في الصيف، وقد كان بربر المصامدة شديدي الحرص على نظافة أبدانهم، وقد عرفوا بغزارة شعر رؤوسهم، لكثرة اهتمامهم به، لذا كانوا يصبغونه بالحناء كل جمعة ، ويغسلونه مرتين في الأسبوع برقيق البيض والطين الأندلسي[3].

1- النسائي، سنن النسائي، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، (د ت)، رقم الحديث: 5040، ص ص 765-766.

2- أبو الحسن مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث: 252، ص 133.

3- الإدريسي، المصدر السابق، ص228.

وقد ذكر الرحالة مدينة بسكرة، فقالوا بأنها كانت من أجل وأعظم المدن، لخصبها وكثرة نخيلها وكثافة زرعها وزيتونها، كما وجدت بها مزارع الحناء والكتان[1]، وهذا الوصف يفضي إلى أن سكان المغرب الأوسط كانوا يستعملون الحناء سواء لغرض الزينة أو التداوي بها.

ومما يدل على اهتمام سكان المغرب الأوسط بالنظافة البدنية، انتشار الحمامات وكثرتها في كل مدن هذا الإقليم، وقد أشارت كتب الرحالة والجغرافيين إلى ذلك وعددت الكثير منها وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر الحمامات التي كانت تزخر بها كل من تلمسان[2]وبجاية[3] وبمستغانم[4] وبشلف[5]وميلة[6]، والحمام الذي كان بالقرب من بني مزغنة[7].

واعتنى الرستميون بالنظافة في كل نواحيها؛ لأنها مصدر للصحة والعافية، وهي شرط من شروط الإيمان[8]، فاتخذ الأغنياء والفقراء الحمامات، التي أكد البكري على وجودها في تيهرت وقد سمى منها اثنى عشر حماما[9].

إن كثرة الحمامات في المغرب الأوسط، تبرز حرص سكان هذا الإقليم على النظافة واهتمامهم بها، من خلال توجههم بشكل دوري إلى هذه الحمامات، ودأبهم على إزالة النجاسة

1- مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 366.

2- المقري، المصدر السابق، ج7، ص 134.

3- بن النية رضا، المرجع السابق، ص139.

4- مستغانم: وهي مدينة صغيرة على البحر بها أسواق وجنات وبساتين، كما توجد بها حمامات ومياه كثيرة. ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص ص71-72.

5- ابن حوقل، صورة الأرض، ص 88.

6- البكري، المصدر السابق، ج2، ص 245.

7- فطيمة مطهري، تاريخ وحضارة تيهرت الرستمية خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، ط1، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2017م، ص 185.

8- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 319-321.

9- البكري، المصدر السابق،ج2، ص250.

والتطهر، ولم تكن ظاهرة انتشار الحمامات حكرا على بلاد المغرب الأوسط فقط، بل كانت منتشرة في كامل المغرب الإسلامي[1].

وذكر صاحب "فضالة الخوان"، مجموعة من الوصفات التي كانت تستخدم في صنع الأشنان والغاسول، الذي كان متداولا بين الناس في العصر الوسيط، وبالأخص في فترة حكم المرينيين؛ فكان الناس يستخدمون مسحوقا استعمل؛ لتنظيف الجسم والأيدي والفم واللثة، وللتخلص من روائح الطعام الدسمة، وفي إحدى الوصفات المكونة استعمل المسك والكافور، لتنظيف الأيدي بعد تناول الطعام وكانت هذه الوصفة مخصصة للملوك والأكابر، وهناك وصفة أخرى مكونة مسحوق الحمص، وقد كان العامة من الناس يستخدمونها لتنظيف أيديهم، أما أصحاب الطبقة الوسطى فكانوا يستخدمون ثمر النبق والزعتر البري المجفف وورق الورد وورق الليمون المجفف وجوز الطيب والصندل، لتنظيف أجسادهم وأيديهم، لما تحتويه هذه الأعشاب من روائح زكية[2]، واشتهرت بجاية بصناعة الصابون، وذلك باستخدام زيت الزيتون الذي كان يدخل ضمن المواد الطبية والتجميلية[3].

وهذه الوصفات كانت تستخدم للحفاظ على نظافة البدن، وهي دليل على حرص سكان المغرب الإسلامي على النظافة، والتي بدورها تقيهم من الإصابة بمختلف الأمراض.

المطلب الثاني: التغذية:

إن من أنجع أساليب الوقاية تكون عن طريق التغذية؛ فالمعدة بيت الداء والحمية دواؤها، وقد حرص الأطباء المسلمون على اتباع القواعد الغذائية التي تقي الجسم من الأمراض، فالوقاية خير من العلاج، ومن القواعد الصحية التي دأب الناس على ترديدها على شكل حكم وأمثال نذكر: " أترك الطعام وفي النفس بقية"، " البطن تذهب الفطنة"، " الإقلال من الضار خير من الإكثار من

1- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 40.

2 - ابن رزين التجيبي، المصدر السابق، ص ص 278-279.

3- أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين، (مذكرة ماجستير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2007م-2008م، ص48.

النافع"[1]، ومن الأحكام الصحية المتعلقة بالأغذية نذكر: " كثرة الحامض يسرع الهرم"، " إدمان الحلو يحمّي البدن، ويذهب الشهوة والطعام المالح يجفف البدن ويهزله وملازمة الحمية تنهك البدن"[2].

وهذه القواعد والأحكام الصحية كانت منتشرة بين الناس، وقد أخذ بها سكان المغرب الأوسط؛ فكان أنجع علاج للفتق هو الوقاية، حيث كان يقلل من تناول الأغذية، فلا يأكل المريض حتى الامتلاء، وأن يقلل الحركة[3]، ويحفظ موضع الفتق بالحفاض المعهود، وهي عبارة عن كتانة يشد بها بين الفخذين، فهي تعمل على شد الفتق، وعدم بروزه وبذلك تقلل الآلام المصاحبة له[4]، كما أن ممارسة الرياضة كانت تساهم في الحفاظ على الصحة، وتقي الناس من الإصابة بالأمراض[5].

واعتمد سكان المغرب الأوسط العلاج بالأغذية، كاحتساء بعض العصائر لعلاج بعض الأمراض التي كانوا يتعرّضون لها، فكان أهل تلمسان يقدموا مرق الشربة بالدجاج للمريض المصاب بالزكام والسعال وحساء النشا[6]، أما المصاب بالكسر، فكان أهل المغرب الإسلامي يطعمونه الزبيب والتين؛ ليساعده ذلك على الجبيرة[7]، وكما اعتاد الناس على تقديم ماء العناب وماء الرمان؛ لمن كان يعاني من داء البلغم مصحوبا بسعال حاد؛ وذلك لخاصيتهما الفعّالة في تهدئة السعال والتقليل من حدّته[8].

لقد أولى المسلمون الطب الوقائي، اهتماما منقطع النظير، حتى وصل بهم المطاف إلى وضع كتب تهتم بكيفية الحفاظ على الصحة، عن طريق الحفاظ على نظافة المحيط وسبل التغذية السليمة،

1- داود الأنطاكي، المصدر السابق، ص 124.

2- ابن سينا، دفع المضار الكلية الكلية، ص10.

3- عبد الله سنده، المرجع السابق، 315.

4- براكلسوس الجرماني، طب الكيمياء والأعشاب، تح: خليل باز، ط1، دار الندى ، بيروت، لبنان، 2003م، ص ص195.

5- ابن سينا، دفع المضار الكلية الكليّة، ص51.

6- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، 246.

7- التادلي، المصدر السابق، ص85 .

8- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 244.

وممارسة الرياضة للحفاظ على أجسام صحية وسليمة من الأمراض ومنها: كتاب "طب المشايخ" لمؤلفه ابن الجزار(تـ369هـ/980م)، وكتاب" تقويم الصحة" لابن بطلان (تـ460هـ/1068م)[1]، وغيرها من الكتب التي رأت بأن الوقاية خير من العلاج[2]، حيث وضح الرازي(تـ313هـ/925م)[3] جملة من النصائح والإرشادات حول المأكل والمشرب، والحركة والسكون ولم يتوقف عند هذا الحد من الوقاية، بل تعداه إلى وضع نصائح لحفظ صحة أعضاء البدن للأصحاء[4]، ألّف ابن قنفذ القسنطيني أرجوزة في الأغذية، بيّن فيها الفوائد الصحية للأطعمة والحبوب واللحوم والبقوليلت، وذكر منافعها ومضارّها[5].

المطلب الثالث: العزل والحجر الصحي:

يعتبر العزل والحجر الصحي من الطرق والأساليب المتبعة للوقاية من الأمراض، وبالأخص الأمراض المعدية، وقد وجدت إشارات بينت بأن سكان المغرب الأوسط اتبعوا هذا المنهج الوقائي مع بعض الأمراض، ووقد ذكر الونشريسي (تـ914هـ/1508م) إشارة مهمة عن ذلك، حين تحدث عن تخصيص حارات يسكن فيها المجاذيم، وذلك لتجنب انتقال العدوى وعدم تأذي الناس من رائحتهم، كما خصص لهم بعض العمال الذين كانوا يقوم بسقاية الماء لهم، لتفادي اختلاطهم بالناس، ومن

1- **ابن الجزار القيرواني**(تـ369هـ/980م)، واسمه الكامل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الخالد المعروف بابن الجزار، ويرجع أصله إلى عائلة وطيدة الصلة بالثقافة والطب، ولد بالقيروان أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، له عدة مؤلفات كثيرة في الطب وبعضها في التاريخ والأدب والفلسفة، وأهم كتاب في التربية والتعليم وصحة الأطفال الذي سمّاه سياسة الصبيان وتدبيرهم، وطب الفقراء، زاد المسافر. ينظر: ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص ص 37-39. محمد الأمين بلغيث، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، ط1، أنتير سينيبي، الجزائر، 1428هـ/ 2007م، ص ص 8- 28.

2- محمد الجوادي، أفاق الطب الإسلامي رؤية علمية وتاريخ فلسفي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2015م، ص ص 59-60.

3- خالد حربي، تاريخ الطب الإسلامي بنية العلم الحديث، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية- مصر، 2015م، ص 158.

4- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، سر صناعة الطب، تح: خالد حربي، (د ط)، دار الثقافة العلمية، الإسكندري، مصر، (دت)، ص ص 54-55.

5- ينظر: الملحق رقم:02.

باب الوقاية أيضا أن الفقهاء، منعوا شراء كل شيء مائع كالماء والخل والزيت أو لبن وما شابه ذلك، ممن كان به ضرر كالجذام والأمراض المعدية لتفادي العدوى[1].

كما ذكرت الباحث سمية مزدور إشارات مفادها عزل الإمام، للمرضى المصابين بالجذام عن بقية الناس، حتى لا يتأذوا من رائحتهم، وذلك من خلال تقديمه لبعض آراء الفقهاء الأوائل حول العزل والعدوى، كما تقول بأن الإمام أبدى رأيه حيال ذلك ورأى أن يعزلهم الإمام إذا كثروا[2].

واتخذ الفقهاء أسلوب العزل، للعائن الذي يصيب جيرانه بالعين في أموالهم ومواشيهم وأبنائهم، ويتسبب في أذيتهم، فيمرضون ومنهم من كانوا يهلكون؛ فاتفق الفقهاء على أن يبيع داره ويسكن في مكان بعيد عن الأهل والجيران ليتفادى إصابتهم بالعين[3].

وألّف علماء المغرب الأوسط، كتبا في الطب الوقائي، وذكروا طرق وأساليب الوقاية من بعض الأمراض، وقد وردت إجابة فقهية عن النوازل المتعلّقة بالأمراض كالجذام وغيره، وفي مسألة الفرار من الوباء، وكيفية التعامل مع المصابين عن طريق الحجر والعزل الصحي، ومن جملة هذه المؤلفات كتاب "المسنون في أحكام الطاعون" لمؤلفه حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني" الذي سأتحدث عنه عند التطرق لمشاهير الأطباء[4].

والخلاصة من الإجراءات الوقائية التي اتبعها سكان بلاد المغرب الأوسط، هي أن الاهتمام بالتغذية الصحية، واهتمامهم بالنظافة باعتبارها شرط من شروط الإيمان، واعتمادهم الحجر والعزل الصحيين، دليل على فطنتهم ويقظتهم، وحرصهم على سلامتهم من الأمراض التي كانت تعكر صوفتهم.

1- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 421.

2- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة، ص 155.

3- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ص ص 17-18.

4- ابن قنفذ، كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983م، ص 7.

المطلب الرابع: أساليب أخرى:

ساد الاعتقاد بالعين والحسد في مجتمع المغرب الأوسط، بحكم البنية الدينية لهذا المجتمع من جهة؛ لأنّ ظاهرة الحسد والعين من المواضع التي تمّ تداولها في القرآن والسنة النبوية، وهذا الأمر زاد من حدّة وشيوع الظاهرة وتفشيها بين مختلف فئات المجتمع[1]، ومن أجل الاحتماء والتحصن من شر العين الحاسدة كانوا يضعون "الخمسة المقدّسة"[2]، وهي من أشكال الوقاية من العين والحسد التي كانت متداولة بكثرة لدى سكان المغرب الإسلامي بشكل عام، وتوجد إشارة قدّمها لنا ابن حوقل عندما تطرق إلى مدينة طبنة[3]، وتحدّث عن الثروات التي كانت تزخر بها وأنّ أصل سكانها قبيلتان هما: "عرب" و"برقجانة"، وقال بأن هذه الخيرات كانت نقمة عليهما فولدت بينهما البغي والحسد إلى أن أهلك الله بعضهم ببعض؛ فصاروا بعد السّعة والدعة إلى الضيق والذل والشتات والقِلّة[4].

وعندما غرق أسطول أبي الحسن المريني(732-752هـ/1331-1351م)؛ نسب بعض المؤرخين سبب الغرق إلى عين حاسد أصابته "بتدلس"، وكان عدد السفن نحو ستمائة سفينة لم ينجوا منها أحد إلا هو، حيث قال المقري بأن سكان المنطقة طلبوا من رجل معروف عندهم بالعين، بأن يصيب الأسطول بذلك؛ فما إن نظر في البحر حتى بدأت سفن أبي الحسن المريني بالغرق[5].

وإن لم يوجد لمثل هذه الأمور إشارة في المغرب الأوسط، فذهنية سكان المغرب الأوسط لا تختلف كثيرا عمّا كان متداولا من عادات ومعتقدات في باقي ربوع المغرب الإسلامي، خصوصا إذا

1- من الآيات التي تؤكد وجود الحسد قوله تعالى : ﴿ **ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ سورة الفلق، الآية5. وقوله: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيْمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتَيْنَاهُم مُلْكًا عَظِيْمًا**﴾ سورة النساء، الآية، 53.

2- ويعتقد بأن الخمسة المقدّسة ترمز إلى أهل البيت(الرسول صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة وزوجها علي والحسن والحسين).

3- **طبنة:** مدينة قديمة عظيمة كثيرة البساتين والزروع والقمح والحنطة والشعير، وبها حبوب غزيرة وكثيرة وافرة الماشية من البقر والغنم. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص 85.

4- المصدر نفسه، ص ص 85-86.

5- المقري، المصدر السابق، ج6، ص ص214- 216.

كان للمعتقد تلك الصبغة الدينية، فسيظل تأثيره كبيرا ويستمر لوقت طويل، وكدليل على ذلك ظاهرة الخمسة وتعليقها، لتفادي الإصابة بالعين؛ فهذا الاعتقاد لا يزال سائدا بين الناس إلى يومنا هذا.

ومجمل القول هو أن تعددت طرق وأساليب العلاج؛ التي انتهجها إنسان المغرب الأوسط في العصر الوسيط، بين طب شعبي تقليدي، وطب علمي وأنماط العلاج غير الرسمي، تمثلت في التداوي ببركة الأولياء والصلحاء، وممارسة السحر والشعوذة، حيث كان الهدف الأسمى من هذه الطرق هو الوصول إلى العلاج الفعال، الذي يخلص صاحبه من آلام المرض.

كما جاء اهتمام مجتمع المغرب الأوسط بالعلاج الوقائي مصاحبا لما سبق من طرق التداوي، حيث أن الوقاية أنجع من العلاج في بعض الحالات المرضية، أما إذا كان المرض مستعصيا؛ فكان لابد على المريض من الامتثال للعلاج الذي كان يصفه له الطبيب، حتى يستعيد عافيته، وقد كان العزل والحجر الصحيين من الأساليب الوقائية، المتداولة في المنظومة الطبية في المغرب الأوسط، وبالرغم من الإشارات المحتشمة حول ذلك، إلا أن هذه الإشارات أبرزت لنا الواقع الطبي لهذا الإقليم، وأنّ سكانه لم يكونوا في معزل عن أساليب وطرق العلاج المتداولة في العصر الوسيط.

الفصل الثالث: واقع وآفاق المعرفة الطبية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط

المبحث الأول: الفكر الطبي في المغرب الأوسط: تطوره، تنظيمه، وآفاقه المعرفية

المبحث الثاني: المؤسسات العلاجية ودورها في بناء آفاق المعرفة الطبية في المغرب الأوسط

المبحث الثالث: الأطباء والإنتاج العلمي والطبي في المغرب الأوسط

اهتم كل من العلماء والأطباء بتطوير المعرفة الطبية، من أجل مواجهة أخطار الأمراض بمختلف أنواعها؛ والتي كانت تهدد حياة الناس في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وقد عرفت الخدمات الصحية تطورا ملحوظا في المغرب الإسلامي عموما، حيث تكاثفت جهود الأطباء والسلطة الحاكمة على تطويره بمختلف الطرق والسبل، وقبل الحديث عن واقع المنظومة الطبية والخدمات الصحية في المغرب الأوسط، لابد من الإشارة إلى ما شهده علم الطب ومختلف قطاعات الصحة من بيمارستانات وصيدليات من تطور في المغرب الإسلامي، لأن هذه الإشارة ستبين لنا ما لحق المغرب الأوسط من هذا التطور بحكم المجال الجغرافي والروابط السياسية والاجتماعية والثقافية.

وفي هذا المفصل سأتحدث عن الخدمات الصحية في المغرب الأوسط، والمؤسسات الطبية من بيمارستانات وصيدليات ونظام عملها وتنظيمها، ثم سأتطرق إلى مشاهير الأطباء في المغرب الأوسط، وأهم إنجازاتهم وإسهاماتهم الطبية وجهودهم المبذولة في تطوير المعرفة الطبية.

المبحث الأول: الفكر الطبي في المغرب الأوسط: تطوره، تنظيمه، وآفاقه المعرفية:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي ازدهارا في شتى فنون العلم والمعرفة، من جملتها علم الطب، الذي عرف تطور كبيرا، نتيجة امتزاج الروافد الطبية اليونانية والمشرقية ؛ مع الواقع البيئي والاجتماعي المحلي خلال العصر الوسيط[1]، وفي هذا السياق برزت الحواضر الكبرى مثل فاس والقيروان وبجاية وتلمسان، كمراكز نشط لتدريس الطب وممارساته.

المطلب الأول: المرتكزات العلمية لتطور وتنظيم العلوم الطبية في المغرب الإسلامي:

تجلت البوادر الأولى للحركة الطبية في المغرب الإسلامي عامة، إبّان حكم أسرة المهالبة (96-184هـ/715-800م)، الذين استقدموا معهم عدد كبير من الأطباء من المشرق[2]، وأغدقوا عليهم

1- لم يكن الاهتمام بالطب، وليد بلاد المغرب أو المشرق الإسلامي، بل كان للعرب في صدر الإسلام عناية كبيرة به؛ فبرز منهم الكثير من المتطببين لحاجة الناس إليه في أمور دنياهم ومداواة أمراضهم التي كانت تعتريهم بين الفينة والأخرى. ينظر: ابن صاعد، طبقات الأمم، نشر: الأب لويس شنجو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م، ص 46.

2- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 87.

بالأموال وقرّبوهم إليهم في القصر[1]، ومن أبرز الأطباء الذين برزوا في هذه الفترة، الطبيب السرياني أبو يوحنا ماسويه (تـ243هـ/857م) الذي وفد مع الأمير يزيد بن حاتم المهلبي (144-152هـ/762-770م) إلى القيروان[2]، وأجزل عليه بالعطاء وجعله طبيبه الخاص ومستشارا له في مجلسه[3]، وقد تلقى تعليمه الطبي في مدرسة" جنديسابور "الطبيبة المشهورة بالعراق[4]، كما قام بعدة إصلاحات وجدد المسجد الجامع بإفريقية[5]، وكان محبا للشعر والشعراء فوفد إليه لحسن سيرته وإحسانه لهم[6].

وما إن أمسك أمراء الدولة الأغلبية زمام الأمور، والتدريس، شجعت الدولة الأغلبية (184-296هـ/800-909م)[7]، منذ قيامها العلماء والطلبة على التعلّم لمواكبة التطور العلمي والحضاري،

1- لقد كان يجلس في مجلس الأمير يزيد الطبيب يحي الطبيب، وكان يحضر مجلسه العلماء والفقهاء والزهاد والقضاة، وهذا يدل على اهتمامهم وحبهم للعلماء وتقديرهم لهم. ينظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، من الفتح إلى بداية الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، ج1، (د ط)، منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993م، ص368.

2- هو يزيد بن حاتم بن قبيضة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، المكنى بأبو خالد(144-170هـ/760-786م)، تولى ولاية إفريقية سنة 144هـ إلى غاية سنة 152هـ، في عهد الخلافة العباسي أبي جعفر المنصور، وعرفت في عهده عدة إصلاحات، حيث جدد جامعها. وتوفي سنة170هـ. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، مصر، 1985م، ص72-76. ابن خلدون، العبر، ص 148.

3- بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م، ص489.

4- **جنديسابور**: مدينة من بلاد فارس، وهي من أعمال بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه، وسكنها طائفة من الجند وسبي الرّوم معناها بالعربية خيرٌ من أنطاكية، وإليها تنسب مدرسة الطب الشهيرة، وتم فتحه من طرف المسلمين أيام فتح نهاوند، سنة21هـ/642م، كثيرة النخيل والزروع والمياه. ينظر: ياقوت الحموي، مج2، ص 198. الحميري، المصدر السابق، ص 173. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1 تح: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004م، ص 342.

5- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 113.

6- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص114.

7- **دولة الأغالبة**(184-296هـ/800-909م): أصل حكامها من عرب مصر، تأسست على يد إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-812م)، والتي كانت تمتد من طرابلس وإفريقية وجزء من المغرب الأوسط، وهو إقليم الزاب وانتهى حكم الأغالبة على يد الفاطميين، بعد أن تداول على حكمها أحد عشر أميرا. ينظر: ابن ودان، تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم ومحمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ص 30. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص 92- 96.

الذي كان يشهده المشرق الإسلامي[1]، وبذلت قصار جهدها على استقدام عددا كبيرا منهم من مشارق الأرض ومغاربها، حتى برزت في الحركة العلمية بشكل واضح، بآفاق واعدة وذلك بفضل جهود أمرائها الذين استقدموا الأطباء من المشرق، واستعانوا بهم في العلاج، كما فتح إبراهيم الثاني الأغلبي (261- 289هـ/875-902م)[2]، مكتبة بيت الحكمة، أمام أهل العلم، وشجعهم بالدعم المادي والمعنوي، واستجلب نفائس الكتب في علم الفلك والطب والحساب من مختلف الأمصار، تشجيعا منه للطلبة والعلماء على اقتحام مضامير العلم والمعرفة، وماهي إلا فترة وجيزة، حتى لمع في مجال العلوم العقلية ثلة من العلماء، كلٌ في مجال اختصاصه، فبرز في الطب مثلا: إسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم العالم بفنون الطب والرياضيات، والطبيب الخاص للأمير الأغلبي إبراهيم الثاني[3].

لقد شهد الطب في إفريقية تطورا ملحوظا، وبالخصوص بعد أن شيدّ الأغالبة بيت الحكمة، الذي قصده الأطباء من المشرق لإلقاء دروس ومحاضرات في جميع العلوم العقلية، ومن جملتها الطب. ومن بين الأطباء الذين برزوا في دولة الأغالبة (184-296هـ/800-909م) إسحاق بن عمران البغدادي(تـ320هـ/932م) الملقب "بسُم السّاعة" درس الطب في بغداد وسامرّاء[4]، ولقب بهذا اللقب لسرعة تأثير الدواء الذي يصفه للمريض؛ فيشفى منه بإذن الله، وقد اعتبره المؤرخون أول من أدخل الطب والفلسفة وتركيب الأدوية (الصيدلة) إلى بلاد المغرب، بتشجيع من طرف الأمير زيادة

1- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 99.

2- ابن ودان، المصدر السابق، ص61.

3- إبراهيم بن أحمد الأغلبي(261-289هـ/875-902م) تاسع الأمراء في البيت الأغلبي، وهو أطولهم حكما، ودامت ولايته بإفريقية خمس سنين وأحد عشر شهرا وأربعة أيام، عرف بالرزانة ورجاحة العقل في السنوات الأولى من حكمه، كما اهتم ببناء المنشآت الدينية أهمها قصور العباد والمساجد والأربطة، وشيّد مدينة رقادة، ويقول حسين مؤنس أن كان غريب الأطوار، وبعد هذا الاختلال النفسي، أصيب بمرض عصبي سبب له اضطراب في النوم، وكثرت مخاوفه وزادت هواجسه؛ حتى صار يقتل كل من يشك فيه من رعيته، وتولى بعده ابنه أبي العباس عبد الله، بعد أن بعث له الخليفة العباسي يأمره فيه بأن يتنازل عن الحكم. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 184. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 107.

4- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 35.

الله الثاني الأغلبي (290-296هـ/902-908م)، وما إن أوجس السلطان الأغلبي خوفه منه أبعده من قصره، مخافة السيطرة عليه، حيث كان إسحاق بن عمران(ت320هـ/932م) على اطلاع بكل أسرار الأمير الصحية، وهذا الأمر أرّق زياد الله بن الأغلب الثاني(290-296هـ/902-908م)؛ فكان يراقب كل تحركات الطبيب عن كثب، ومنعه من العودة إلى المشرق أو الانتقال إلى الأندلس[1].

فما كان على الطبيب إلا أن مارس عمله كطبيب حر في إحدى ساحات القيروان، أين وضع كرسيا ودواة وقراطيس، وعكف على معالجة الناس، وتقديم الوصفات الطبية لهم كل يوم بدنانير[2]، مستغلّا سمعته كطبيب للعائلة الحاكمة، في جلب الزّبائن، ومكّنه هذا الأمر من تكون ثروة طائلة وسمعة ليس لها مثيل، غير أن هذا النجاح جلب له سخط الأمير الأغلبي زيادة الله الثاني(290-296هـ/902-908م)، فتعرض الطبيب بذلك لمحنة كبيرة سجن خلالها، والتعذيب إلى أن تمّ إعدامه؛ وقيل أن السبب وراء هذا العمل الشنيع، هو اعتراف الطبيب للأمير الأغلبي ، بأنه كان يضع له مركب كيميائي[3]، من أعراضه الإصابة بداء الماليخوليا مع مرور الوقت[4].

وترك إسحاق بن عمران مجموعة من التصانيف والمؤلفات في ميدان الطب والصيدلة وهي كالتالي: "الأدوية المنفردة"، "العنصر والتّمام في الطب"، "نزهة النّفس"، "النبض"،" أقوال جالينوس في الشراب"، "أقوال أبقراط في البول"، وترك مقالات في الأدوية وبعضها في أمراض الجهاز التناسلي والهضمي، وكتابه "الماليخوليا"، وهو من أهم الإضافات التي قدمها في تاريخ الطب النفسي؛ إذ فسّر

1- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 36.

2- ابن جلجل، المصدر السابق، ص 85.

3- بلقاسم جدو، تطوّر العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الدول المستقلة(140-296هـ/757-909م)، (مذكرة ماجستير منشورة)،جامعة العقيد الحاج لخضر ، باتنة، 2013-2014م، ص 115.

4- ابن جلجل، المصدر السابق، ص 86.

حالة المريض بأسلوب التحليل النفسي، بعيدا كل البعد عن التفسير الميتافيزيقي والخرافي، الذي كان شائعا في ذلك الوقت[1].

ووجد طبيب آخر تتلمذ على يد إسحاق بن عمران(ت320هـ/932م)، عرف بالكحّال المصري إسحاق بن سليمان الإسرائيلي توفي بالقرب من سنة تـ320هـ[2]، حيث اشتغل بالطب بعد أن استقر بالقيروان في عهد زيادة الله الأول[3]، وبعدها عمل في بلاط الفاطميين، أين عالج الداعية الفاطمي" أبو عبد الله(تـ298هـ-922م)"، من حصاة في الكلى بدواء يحتوي على العقارب المحرقة[4].

وعاش إسحاق الإسرائيلي(تـ320هـ/932م) أكثر من مائة عام، كان هو الآخر خبيرا بالطب والصيدلة، حيث ترك مؤلفات منها : كتاب "الحميات" و"الأغذية" و"الأدوية" كتاب "البول" و"الاسطقسات"، وكتب أخرى في "النبض" و"مدخل إلى صناعة الطب" و"كتاب الترياق"[5]، وفي أواخر العصر الأغلبي برزت أسرة بني الجزار، التي توارثت أسرار مهنة الطب لمدة تفوق مائة عام؛ فبرز أبوبكر محمد الجزار (تـ369-979م)[6]، حيث ألف كتاب يحتوي على أدوية وأشربة ومعاجن وترياقات[7].

1- بلقاسم جدو، المرجع السابق، ص 116.

2- ابن جلجل، المصدر السابق، 87.

3- بلقاسم جدو، المرجع السابق، ص 116.

4- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 37.

5- بلقاسم جدو، المرجع السابق، ص 117.

6- أبوبكر محمد بن خالد الجزار عاش في منتصف القرن الرابع، له عدة مؤلفات حول المعاجن والترياقات وحتى الأشربة والأدوية. ينظر: ابن جلجل، المصدر السابق، ص 90.

7- **الترياق**: مشتق من كلمة يونانية تيريون وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها، ويقال له بالعربية الدرياق. ينظر: فايز الدّاية، المرجع السابق، ص 205.

المطلب الثاني: النسق الطبي في دويلات المغرب الأوسط بين الرعاية والتنظيم:

ساهمت الدويلات التي نشأت في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، في بناء نسق طبي متكامل جمع بين الرعاية الصحية وتنظيم المعرفة الطبية، المتراكمة من عهد الرستميين إلى عهد الزيانيين، فأولت بعض هذه الدويلات اهتماما خاصا بإنشاء المارستانات وتشجيع تعلم الطب، وتنظيم المهنة الطبية عبر ضوابط أخلاقية ومؤسساتية الهدف منها الرقي بالمنظومة الصحية، وعلى هذا الأساس كان للإشعاع الحضاري والفكري الذي اتّسمت به عاصمة الرستميين تيهرت، صداه على كافة المستويات والأصعدة، وقد وصل صيت فقهائها وعلمائها في مختلف الميادين إلى مشارق الأرض ومغاربها، وتجلى ذلك الزخم الحضاري من خلال مؤلفاتهم في مختلف فنون العلم.

وفي خضم الحديث عن الطب في الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) فلا يكاد يُعرف عنه إلا النّزر القليل، فبالرغم من التطور والحضارة التي شهدتها الدولة الرستمية، ومن خلال عملية البحث في هذا الجانب، وبالعتاد على ما بحوزتي مراجع متخصصة في تاريخ الدولة الرستمية، لم أجد معلومات كافية تشفي غليل الباحث حول الأوضاع الصحية والممارسات الطبية، والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان كيف كان يعالج الرستميون الأمراض التي كانت تعتريهم؟ وهل كان في الدولة الرستمية أطباء وصيادلة؟ وهل وجدت هناك مرافق صحية أو مستشفيات أو صيدليات؟ كلها أسئلة خامرت تفكيري، وأنا أبحث عن معلومات التي تساعدني في محاولة رسم صورة عن المنظومة الطبية لدى الرستميين، الذين عُرفوا بأنهم بيت علم، وقد أعطى بعض المؤرخين والمهتمين بالتاريخ الرستمي، تخمينات وتوقعات، مفادها أن الدولة الرستمية، بحكم أنها كانت تضم فسيفساء من الأجناس من بينهم اليهود والنصارى[1].

1- قال ابن الصغير المالكي بأن الدولة الرستمية عرفت الأمن والاستقرار، وهذا راجع للأمن والاستقرار الذي حققه الإمام عبد الرحمن ابن رستم، وهو الأمر الذي جعلها تستقطب الناس إليها، فقال فلا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، والأخرى للقروين، حتى إن التسامح الديني جعلهم لا يمانعوا من أن تنشئ كل طائفة مسجد خاص بهم، وهذا بناء على قول ابن الصغير الذي قال هذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين، وبهذا قد ضمت=

وما هو معروف على اليهود والنصارى، بأنهم كانوا براعين في ميدان الطب، فابن أبي أصيبعة(ت1270/668م) الذي ألف كتاب طبقات الأطباء، احتوى عددا من الأطباء كثير منهم يهود ونصارى، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنه ربما كان هناك أطباء في الدولة الرستمية من أصول يهودية ونصرانية، وما يؤكد وجودهم هو أنه كان بتيهرت درب عُرف بالرهادنة[1].

وممن أيّد هذا الرأي الدكتور إبراهيم بحاز في "كتاب الدولة الرستمية"، الذي يبدو أنه عاتب بكتابه هذا ابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/1270م) لتقصيره في الإلمام بذكر أطباء المغرب الإسلامي، وعاب عليه ذلك فلم يذكر منهم إلا عددا قليلا، يكاد يُعدّون على أنامل اليد، مقارنة بما ذكره من أطباء الأندلس والمشرق الإسلامي، وكأن المغرب الإسلامي لم يعرف علماء في هذا الاختصاص[2].

وتأسيسا على ما سبق يمكن التصريح بأنه هناك الكثير من العلماء الأطباء الذين لم تنصفهم أقلام أصحاب الطبقات والتراجم، بالرغم من براعتهم وبشهادة المؤرخين لهم، كما إن الأمانة العلمية التي التزم بها الدكتور إبراهيم بحّاز، لم تمنعه من ممارسة حسّه النّقدي للإغفال الذي طال جهود أطباء المغرب الإسلامي عموما، وهذا ما يمكن ملاحظته من المقولة التي تحمل في طياتها نبرة من العتاب والتحسر، حيال إغفال جهود وعلماء المغرب الإسلامي في ميدان الطب رغم كثرتهم.

أما ما يُقال عن رأي الدكتور علي دبوز، الذي جعل احتمال وجود أطباء بتيهرت، فهذا الاحتمال مفاده وحسب قوله :" إنه من غير الممكن أن تغفل الدولة الرستمية الطموحة، جانب

=أجناسا مختلفة من الناس. ينظر: ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص 32-69. بوركبة محمد، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، (د ط)، دار الكفاية، الجزائر، (د ت)، ص 103-105.

1- **الرهادنة**: ذكر ابن الصغير المالكي بأنه كان له دكانا بالرهادنة يبيع فيه ويشتري، فهل كلمة "الرهادنة" تدل على اليهود؟. ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص 84وص 102. عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي22-462هـ/642-1070م، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2001م، ص 43.

2- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، القرارة، نشر جمعية التراث، 1414هـ/1993م، ص 373.

الطب أو الكيمياء لتركيب العقاقير والأدوية وغيرها من الأمور المتعلقة بالوضع الصحي"[1]؛ فإن هذا الاعتقاد جاء نتيجة إغفال المصادر الإباضية، ذكر الجانب الطبي لدولة الرستمية، بما فيه الإنجازات الطبية من كتب ومنشآت عمرانية كالبيمارستانات والصيدليات، والأطباء وكل ماله علاقة بالجانب الصحي، أو لربما تعرضت تلك المؤلفات الطبية إلى السرقة، أثناء هجوم الدولة العبيدية الشيعية على تاهرت عاصمة الرستمية، وتخريبها لباقي المنشآت والمراكز الصحية، غير أن هذا الرأي يبقى مجرد تخمين يحتاج إلى معلومات موثقة تثبته.

وقد ربط المؤرخ محمد على دبوز، حضارة الدولة الرستمية في الشمال، بما كان من رقي وتحضر في الجنوب بورجلان[2] وسدراته، هذه الأخيرة التي أصبحت العاصمة الثانية للإباضيين بعد سقوط تاهرت عاصمة الرستميين، وهي حسب تعبيره "بنت تاهرت" التي حملت طابعها الحضاري، والتي حذت حذوها في كل شيء[3]، فبعد أن سقطت تاهرت وأحرقت مكتبته المعصومة على يد العبيدين، رحل الكثير من أهلها إلى سدراته وفي رحالهم مختلف العلوم وذخائر الكتب في مختلف الميادين[4].

كما عرف الطب نهضة وتطور في عهد الدولة الحمادية، التي اهتمت بدورها بمختلف العلوم والمعارف، وقد برز نخبة من الأطباء الذين نبغوا في المعارف الطبية والصيدلية على حد سواء، ومنهم من مارس الطب في البيمارستانات وعمل على رعاية المرضى، واهتم أيضا الفاطميون بالطب، حيث كان المعز الفاطمي(341-365هـ/953-975م) وهو رابع الخلفاء الفاطميين بإفريقية، من الشخصيات المثقفة، المحب للعلوم والآداب، وكان يحب الجلوس مع طبيبه الخاص "أبو سهل دونش"،

1- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 331.

2- **ورجلان**: تعرف أيضا "بوركلة"، وهي مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر، وحولها نخل كثير وبها عدد لا يحصى من القرى والقصور ، سكانها أغنياء لاتصالهم بمملكة أكدز، يحمل إليها تجار قسنطينة وتونس منتوجات البربر ويستبدلونها بما يأتي به تجار بلاد السودان. ينظر: الوزان حسن المصدر السابق، ج2، ص 136.

3- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 233.

4- نقولا زيادة، إفريقيات، دراسة في المغرب العربي والسودان الغربي، ط1، رياض الرين للكتب والنشر، لندن، 1991م، ص126.

والذي كان مترجما بارعا في بيت الحكمة بإفريقية، وله مجموعة من المؤلفات "كالرسائل الطبية" والتلخيص في "الأدوية المفردة"[1].

ثم نمت وتطورت العلوم الطبية وبلغت الآفاق في عهد المرابطين ومن بعدهم الموحدين، الذين استفادوا من خبرة أطباء الأندلس، وما نجم عن لذلك من تطور للحركة الطبية ببلاد المغرب الإسلامي كافة، ولم يكن المغرب الأوسط بمنأى من ذلك، فاستغلت حواضره النهضة العلمية، في تحسين الأوضاع الصحية، حيث بلغ الطب مبلغا عظيما في عهد الزيانيين، بظهور كوكبة من الأطباء الذين سيأتي ذكرهم وإنجازاتهم في مبحث خاص بمشاهير الأطباء في كل حوضر المغرب الأوسط.

المطلب الثالث: العوامل المساعدة على تطور العلوم الطبية في المغرب الأوسط:

ليس من السهل تحديد العوامل المساعدة والمؤثرة في تطوير العلوم الطبية في المغرب الأوسط طيلة العصر الوسيط بصفة خاصة دون سائر العلوم الأخرى، باعتباره مرّ بمراحل واضطرابات سياسية وأزمات اقتصادية أدت إلى حالة من الانحطاط كان لها تأثير بالغ على الحياة العلمية والثقافية عموما، وهذا ما جعلني أتتبع العوامل المساعدة على تطور وازدهار الحياة الثقافية بمختلف العلوم التي انتشرت مركزة على العلوم العقلية وبالأخص الطب والصيدلة في حواضر المغرب الأوسط بناء على ما قاله ابن خلدون:" إن العلوم إنّما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك أن تعليم العلم من جملة الصنائع، والصنائع تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة، والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة."[2]

واهتم علماء المغرب الأوسط على غرار مختلف الأقطار بالعلوم الطبية، فسعوا جاهدين على تعلمها وتعليمها، واستفادوا من العوامل التي أتيحت لهم، فكانت لهم إسهامات ودور فعّال في تطور

1- عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 151.

2- ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 548.

العلوم الطبية بهذا القطر المغاربي، فماهي أبرز العوامل التي ساعدة في تطوير الحركة الطبية بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط؟

1- جهود السلطة الحاكمة في تطور العلوم الطبية:

لعبت السلطة الحاكمة دورا محوريا في دعم العلوم الطبية، باعتبارها أحد أبرز مظاهر التقدم العلمي والحضاري، فبادرت إلى تشجيع ودعم العلوم وتوفير الإمكانيات وتنظيم التعليم الطبي، واستقطاب الكفاءات العلمية من مختلف الأقطار، مما جعل المغرب الأوسط مركزا علميا نشطا ومن جملة المبادرات أذكر:

1-أ- تشجيع السلاطين والحكام لتطوير المنظومة الطبية:

يعد دعم وتشجيع السلطات الحاكمة، من العوامل الجوهرية التي دفعت بالمنظومة الطبية إلى التطور التي عرفته العلوم الطبية في المغرب الأوسط منذ قيام الدولة الرستمية الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) التي شهدت تطورا حضاريا وفكريا، مسّ العلوم الطبيعية بما فيها الطب والصيدلة والكيمياء، كون أن الرستميون بيت علم فكانت لهم مكتبة زخرت بمختلف فنون العلم والمعرفة بما في ذلك الطب، بعث الإمام عبد الوهاب ألف دينار إلى الإباضيين بالمشرق وطلب منهم أن يشتروا له بها الكتب[1]، حيث نسخ له أربعين حملا من الكتب وبعثوها إليه، ولا ندري مجالات هذه الكتب، لكن من المحتمل أن يكون بينها كتب طبية، وهذا بالنظر إلى أن هذا الميدان كان يشهد تطورا ملحوظا في بلاد المشرق[2]، وقد زاول أحد أحفاد عبد الرحمن بن رستم(161-171هـ/779-787م) مهنة الطب وهو محمد بن سعيد الذي كان مقيما بالأندلس والذي سأدرجه ضمن أطباء الدولة الرستمية.

وتواصل هذا الاهتمام بقدوم المرابطين التي حاولت توحيد المغرب الإسلامي برمتها، حيث أولت هي الأخرى العلوم والمعرفة؛ اهتماما ملحوظا، خاصة بعد الاستقرار السياسي الذي حققته في

1- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص330.

2- الدرجيني، المصدر السابق، ص ص 56 -57.

المغرب والأندلس، أين بلغت الأندلس الآفاق، لاحتوائها على رصيد هائل من المعارف[1]، سواء في عصر ملوك الطوائف أو في العصور التي سبقته، وكذلك هو الحال بالنسبة لمراكش والعدوة المغربية، التي كانت تعجّ بفطاحلة العلماء؛ الذين وفدوا إليها من كل حدب وصوب، من أجل النهل من العلوم التي كانت تزخر بها، بسبب استقطاب الأمراء المرابطون للعلماء، وإكرام مثواهم، حيث اعتبر ذلك عامل جذب، ساهم بشكل كبير في بزوغ نهضة علمية، مست كل العلوم بشقيها العقلي والنقلي؛ وحسب ما ذكره المراكشي فقد كانت حضرة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (460-500هـ/1061-1106م)، أشبه بحضرة بني العباس، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتّاب وفرسان البلاغة ما لم يجتمع في عصر من العصور[2].

وسار ابنه علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1106-1143م)، على نفس المنوال الذي سلكه والده من قبل في تشجيع العلم والعلماء[3]، فتوافد عليهم أهل العلم من كل حدب وصوب، وشهدت بذلك العلوم الطبية تطورا ملحوظا في عهده، وما العدد الكبير من الأطباء والصيادلة الذين برزوا في رحبهم (أي المرابطين) في المغرب والأندلس، لدليل قاطع على ما بلغته هذه العلوم من تطور[4].

1- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2006م، ص6.

2- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تعليق وتصحيح، محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، 1949م، ص 164.

3- إبراهيم قادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 105.

4- من أشهر الأطباء الذين لمعت أسمائهم في سماء المرابطين نذكر" أبو مروان عبد الملك ابن زهر الأندلسي، يرجع أصله إلى أسرة نبغت في ميدان الطب ويعد من أعظم الأطباء في الإسلام، عمد إلى دراسة الطب في المشرق على يد أمهر الأطباء حتى نبغ فيه ثم عاد إلى الأندلس واستقرّ بدانية ، ثم رحل إلى إشبيلية إلى أن توفي بها، وخلفه من بعده ابنه أبو العلاء ابن زهر الذي ورث عن أبيه علم الطب، فكان نابغة من نوابغه، حيث أهله ذلك إلى أن حضي بمكانة مرموقة لدى المرابطين، وقد ترك الكثير من المؤلفات منها: كتاب" الخواص" وكتاب "الأدوية المفردة، وتوفي بقرطبة سنة(525هـ)، وقد جمعت كل مؤلفاته ونسخت بأمر من أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين، وذلك سنة526هـ، وخلفه من بعد ولده أبو مروان عبد الملك بن زهر الذي ذاع صيته في=

وقد استثمر حكام دولة الموحدين(541-668هـ/1121-1269م)، الذين أسسوا دولتهم على أنقاض دولة المرابطين(447-541هـ/1056-1147م) هذا الرصيد العلمي، ووظّفوه لتطوير مجالهم العلمي، فلم تكن هناك قطيعة حضارية بين المرابطين والموحدين؛ فحضارة وفن الموحدين هو ازدهار وتطور لحضارة وفن المرابطين[1]. ناهيك عمّا جاءت به هذه الدولة، التي أسسها ابن تومرت دولة المرابطين(447-541هـ/1056-1147م)، الذي عُرف بتبحره في شتى العلوم؛ فكان بحرا متفجرا من العلم على حد تعبير ابن خلدون(تـ808هـ/1406م)[2].

وقد سار الخلفاء الموحدون على خطاه؛ فأنشأوا المدارس واستقطبوا كبار العلماء وشجّعوا على تأليف الكتب ونسخها وترجمة الكتب الأجنبية، التي كان لها الأثر البالغ في نقل الثقافات والأفكار بين الشعوب الأخرى، وأنشأوا الخزائن والمكتبات التي كانت أبوابها مفتوحة أمام جمهور العلماء والعامة، وعملوا على مجانية التعليم لتحفيز العامة على الولوج إلى عالم العلم والمعرفة، كما خصصوا للعلماء مرتبات كبيرة وعطاءات وإقطاعات تشجيعا واستقطابا لهم[3].

إن تشجيع الخلفاء الناس على طلب العلم، وبذل العطاء في سبيله وسخائهم اتجاه العلماء واحترامهم لهم، كلها عوامل تحفيز جعلت دولتهم قبلة لكل عالم أو طالب وفي طليعتهم الأطباء والصيادلة؛ لذلك فلا غرابة أن يتوافد الجمع الغفير من العلماء على المدن المغاربية، وتصبح قبلة لطلاب العلم والعلماء ولا يخفى على أحد أن الأمن والاستقرار، الذي استتبت أواصره بفضل الوحدة

=المغرب والأندلس، وكانت له مكانة رفيعة عن الأمراء المرابطين وكتبه تنبأ عن مكانته العلمية فقد ترك العديد من المؤلفات الطبية منها: كتاب "الاقتصاد في صلاح الأجساد"، الذي أهداه لابي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، وكتاب "التيسر في المداواة والتدبير" وكتاب "الأغذية"، وهما من أعظم كتب الطب في العصور الوسطى، وتم استدعائه إلى حضيرة مراكش ثم رجع إلى الأندلس وبقي بها إلى أن توفي سنة557هـ. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص ص 64-67. حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م، ص ص 407-409.

1- محمد طالبي، المرجع السابق، ص 76.

2- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 302.

3- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص105- 106.

السياسية التي حققتها دولة الموحدين(541-668هـ/1121-1269م)، كان لها دور كبير في ما وصلت إليه من تطور وازدهار وتبحر في الحضارة[1].

وحظيت العلوم العقلية بصفة عامة والطب والصيدلة بصفة خاصة، بنهضة شاملة في عهد الموحدين، حيث كانت الدولة تعجّ بالأطباء والصيادلة، الذين وجدوا كل التشجيع والدعم من الخلفاء الموحدين لمزاولة نشاطهم، فأبدع كثير منهم وجادت قرائحهم في تأليف الكتب والمصنفات الطبية والصيدلانية، ففي عهد عبد المؤمن بن علي(487-558هـ/1094-1163م)، كان للطب مجالس دراسة منظمة، كان يقصدها الطلاب من كل جهة ومن هذه المجالس تلك التي كان يعقدها ابن زهر(تـ596هـ/1199م)[2].بفضل طبيبه الخاص أبو بكر بن زهر(تـ596هـ/1199م)، الذي كان من أعظم الأطباء في العصر الوسيط[3].

وأولى الموحدون عناية كبيرة للرعاية الصحية والاهتمام بشؤون الرعية؛ وخصوصا في عهدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1163-1184م) وابنه أبو يوسف يعقوب (580-595هـ/1184-1199م)، فأنشأوا المستشفيات وجعلوا لها رؤساء يسهرون على تسيير أمورها، من بينهم أبو جعفر الذهبي (تـ600هـ/1203م) الذي كان مزوارا للأطباء والطلبة[4]، وفي عهدهم عرف الطب نوعا من التنظيم، وكان يدرس في فترة حكمهم بالمغرب[5].

1- نقولا زياده، المرجع السابق، ص 171.

2- أبو بكر ابن زهر وهو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن مروان بن زر الإشبيلي، تتلمذ على يد جده وأبيه وأخذ منهما التعاليم الطبية. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 80.

3- نجيب زيبب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تق: أحمد ابن سودة،ج2، ط1، دار الأمير، بيروت، 1415هـ/1995م، ص 382.

4- **أبو جعفر الذهبي**: هو أبو جعفر أحمد بن جرج كان عالما بصناعة الطب خدم المنصور والناصر، وكان ميّالا للأدب فكان يحضر مجلس المذاكرة في الأدب، توفي أبو جعفر الذهبي بتلمسان سنة600هـ عند غزو الناصر لإفريقية. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 81.

5- محمد المنوني، حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، 1989م، ص 88.

وقد ألّف أبو مروان عبد المالك ابن زهر (تـ557هـ/1162م)[1]، كتاب "التيسير في المداواة والتدبير"، وكان هذا الأخير حذقا في صناعة الطب، خبيرا بأعمالها، كما كان من أمهر الأطباء البارزين في الأندلس، ويعتبر كتاب هذا من أفضل المؤلفات العربية في ميدان الطب، وكتابه "الأغذية" الذي أهداه للخليفة عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م)[2]، وكتاب "الاقتصاد" و"الترياق السبعيني" و"الترياق الخمسيني"، وقد اعتبر أبو مروان الوقاية خير من العلاج، وكان على قناعة بنجاعة العلاج بالأغذية[3].

أما أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر(تـ595هـ)[4]؛ فكان وزيرا بإشبيلية وطبيبها، وأمر أن يكتب على قبره:

تَأَمَّـــلْ بِفَضْـــلِكَ يَـــا وَاقِفـــاً ولاحِـــظْ مَكَانًـــا دُفِعْنَـــا إِلَيْـــهِ
تُـــرَابُ الضَّـــرِيْح عَلَـــى صَـــفْحَتِيْ كَـــأَنِّي لمْ أَمْـــشِ يَوْمًـــا عَلَيْـــهِ
أُدَاوِي الأَنَـــامِ حِـــذارَ المَنُـــونِ فَهَـــا أَنَـــا قَـــدْ صِـــرْتُ رَهْنًـــا لَدَيْـــهِ[5]

1- هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر، أخذ الطب عن والده وكان جيّد القريحة في صناعة الأدوية المركبة والمفردة، شاع ذكره في الأندلس والمغرب فخدم الملثمين الذين أكرموا مثواه وأجزلوا العطايا عليه، ثم عمل عند عبد المؤمن بن علي، الذي أكرمه وقرّبه إليه، وجعله طبيبه فكان عنده عالي القدر مكينا مميزا عمن اشتغلوا بالطب في زمانه. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 65.

2- أمبروسيوهويثي ميراندا، المرجع السابق، ص 199.

3- محمد العربي الخطابي، الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص 25.

4- أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، كان مولده سنة 577هـ بمدينة إشبيلية، عرف بكثرة اهتمامه بصناعة الطب، قال عنه ابن أبي أصيبعة كان جيّد الفطرة حسن الرأي جميل المظهر، مفرط الذكاء محبا للملابس الفاخرة، أخذ أسرار الطب من والده، وكان يقرأ كتب الطب وقرأ كتاب النبات؛ لأبي حنيفة الدينوري وأتقن معرفته، وقد أجزل عليه الخليفة أبوعبد الله محمد الناصر بن المنصور بن أبي يعقوب بالعطاء، واكرمه، وجعله من المقرّبين، توفي سنة 602بسلا برباط الفتح ،ودفن بها ثم نقل رفاته إلى إشبيليه. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج 2، ص71.

5- المقري، المصدر السابق، ص، 434.

وهذه الأبيات إشارة إلى تفانيه في معالجة المرضى، وممارسته الطب لدفع الآلام والأضرار عنهم حتى تستمرّ الحياة، لكن الموت حق على كل عبد؛ فمهما كان الطبيب ماهرا وحاذقا بمهنته، لن يستطيع دفع الموت عن شخص قدّر له الموت حتى عن نفسه؛ فكل ما عليها فانٍ إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

وكان أبو يعقوب يوسف المنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1199م)، يجالس عدد من الأطباء الذين استدعاهم للعمل في قصره كالطبيب والفيلسوف أبي بكر بن الطفيل(ت581هـ/1185م)، فقد كان محبا للعلماء مقربا لهم، وقد كان ذو ثقافة وعلم غزير فقد تعلم الطب النظري من الكتاب الملكي[1].

والمتأمل في تاريخ الدولة الزيانية بالعلم، يجد أن نمو الحركة العلمية فيها كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بسلاطينها الذين كانت لهم عناية كبيرة بالعلم، فقد كان منهم العالم والفقيه والشاعر والأديب، لذلك شجّعوا رعيتهم على طلب العلم بجميع فروعها، وعملوا على تقريب العلماء واستقطابهم وتكريمهم، بما هم أهل له، وإجراء الأرزاق عليهم، فكان يغمراسن بن زيان يكرم العلماء والصالحين ويجالسهم[2]، وانتهج أبنائه من بعده نفس المنهج في تقريب العلماء[3]، فقد كان السلطان أبو حمو موسى الأول (708-718هـ/1308-1318م) محبا للعلم والعلماء وقد أكرم العالمين الجليليين ابني الإمام وقرّبهما وبنى لهما مدرسة وأسماها مدرسة أولاد الإمام. حتى إن السلطان أبو زياني أبو حمو موسى الثاني(760-791هـ/1359-1389م)، أوصى بالاهتمام بالطب والأطباء، معتبرا الطب من أشرف العلوم، لأنه يتعلق بحفظ النفس، وأبرز خلال الوصية صفات الطبيب الجيد والذي لابد أن يكون صادقا أمينا وعالما بالطب النظري والتطبيقي، حيث قال أبو حمو موسى الثاني في كتابه "

1- ابن بشكوال، الصلة، مج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008م، ص 15.
2- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 110.
3- التنسي، المصدر السابق، ص 126.

واسطة السلوك في سياسة الملوك " يوصي فيه ابنه، فقال:" اختر لنفسك طبيبا ماهرا، عاقلا أريبا فاضلا ثقة محبا ناصحا، ومع هذه الصفات لا تمكنه من نفسك، حتى لا يكون أعلم منك بنفسك، فإن اتخاذ الطبيب فيه قوة للقلب وراحة للنفس "[1].

وهذه الوصية تعكس رؤية السلطان الزياني للطب كأداة للحكم الرشيد، حيث يربط بين صحة الرعية واستقرار الدولة، كما تبرز حرص السلطة على تنظيم مهنة الطب، وهي بمثابة ميثاق أخلاقي يأطر المنظومة الطبية في الدولة الزيانية ويمهد لآفاق مستقبلية تنظم الجانب الطبي.

1-ب- إقامة المساجد والمدارس:

إن أهم ما شجع الناس على العناية بالعلوم هو الباعث الديني، وحثّ الإسلام على طلب العلم، وقد شهد تدريس العلوم الطبية في حواضر المغرب الأوسط، تطورا ملحوظا، فبعد أن كان مجرد ممارسات شعبية، أصبح علم قائم على أسس ومناهج علمية، يُلقن بالمساجد والبيمارستانات، وقد تم تداوله من الجانب النظري والجانب التطبيقي، وكانت العلوم تلقن في مرحلة التعليم الثانوي والتعليم العالي في المساجد والمدارس والربطات والزوايا، التي كانت منتشرة في بلاد المغرب الأوسط في العهد الرستميين والحماديين والموحدين، والزيانيين[2].

وقد لعبت المساجد دورا فعّالا في التعليم، بمختلف مراحله، لذلك أولى حكام المغرب الأوسط عناية كبيرة بتدريس العلوم الطبية في المساجد والمدارس، والتخصص في فروعه، فأنشأوا المدارس وجعلوا فيها تخصصات للطب سهر على تلقينها علماء وأطباء بارعين، أمثال الطبيب محمد بن علي بن فشوش، الذي زاول تدريس هذا العلم بمدارس تلمسان وخاصة المدرسة اليعقوبية، وقد أخذ عنه

1- موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، 1279هـ-1880م، (د ط)، ص 20.

2- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 252.

الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (تـ920هـ/1514م)، الذي أثنى عليه في كتابه كما سأذكر ذلك في ترجمة هذا الطبيب ما قاله عن فضله وعلمه[1].

وأسس أبو تاشفين الأول مدرسة بالقرب من الجامع الأعظم، والتي عرفت فيما بعد باسمه، إضافة إلى هذا لم يكتف طلاب العلم بتلمسان بالعلوم والمعارف المحلية بل كانوا يقومون بالرحلات العلمية إلى العواصم الكبرى كمراكش، وفاس، القيروان، مما ساعدهم في إثراء مكتسباتهم أكثر من خلال تبادل مختلف المعارف الطبية.

ومن أبرز الكتب الطبية التي كانت منتشرة، والتي كانت معمولا بها في المؤسسات التعليمية بتلمسان وما جاورها، ما كتبه العلامة السنوسي وابن زكري[2] والبيدري[3]، والطبيب الحكيم أبو عبد الله ابن الحاج بن عامر الغساني السلماني البجائي صاحب كتاب" شموس الأنوار وكنوز الأسرار"[4].

وما يمكن قوله في الأخير عن العلوم العقلية والطبيعية في المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، أنها كانت مزدهرة، وما العدد الكبير من العلماء الذين برزوا في الفترة قيد البحث والذين ذكرنا أشهرهم، إلا دليل على ذلك الازدهار والرّقي الحضاري الذي طال حواضر هذا الإقليم في العصر الوسيط.

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ج1، ص ص 45-46.

2- ابن زكري: هو أحمد بن زكري المانوي التلمساني، كنيته أبا العباس، كان من العلماء المشاركين في عدة علوم المنطق والفقه والنظم والبيان وعلم الكلام، وله مصنفات منها: " بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب "ينظر: عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج1، ص 265.

3- البيداري : هو أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان الشهير بابن الحاج البيدري التلمساني، قال عنه التنبكتي:" علامة تلمسان بدون منازع، أخذ العلم عن ابن ذكري والحافظ التنسي، والسنوسي، وكان إماما عالما من فقهاء المالكية ، إلى جانب كونه أديبا ولغوي ومنطقي، وله تآليف جمة منها شرح البردة للبويصري، ونظم على عقيدة السنوسي الصغرى، توفي نحو 920هـ/ 1524م. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص 136. عادل نويهض، المرجع السابق، ص 67.

4- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص 298.

1-ب- إنشاء المكتبات:

لعبت المكتبات في حواضر المغرب الأوسط دورا محوريا في تطوير العلوم الطبية، ونواة أولى لفكرة المراكز البحثية كآفاق مستقبلية، حيث وفرت مصادر تعليمية للطلاب، من خلال ضم الكتب الطبية المترجمة عن اليونانية والفارسية، ومؤلفات ابن سينا والرازي وابن الجزار، ومؤلفات أعلام الطب المحلية والتي سأذكرها بالتفصيل في مبحث الإنتاج العلمي لأطباء المغرب الأوسط، ما ضمنت استمرارية المعرفة عبر الأجيال، وقد كانت المكتبات ملحقة بالمدارس والمساجد والبيمارستانات، وقد كان بجامع المنارة بالقلعة مكتبة مليئة بالكتب المحملة من مختلف البلدان[1]، كما انتشرت المكتبات العامة والخاصة، وبهذا لم تكن المكتبات مجرد مخازن للكتب، بل كانت مؤسسات علمية وركيزة أساسية في تطور العلوم الطبية[2].

2- هجرة علماء الأندلس إلى حواضر المغرب الأوسط:

وكان لهجرة علماء الأندلس أثر كبير على مجتمع المغرب الأوسط من جميع النواحي، وقد كان من بين المهاجرين الوجهاء وأصحاب الحرف والعلماء من بينهم الأطباء، الذين حملوا بحوزتهم مختلف المصنفات العلمية والطبية إلى المناطق التي استقروا بها، وقد مثّل القرن 6هـ/11م، ذروة التطور في العلوم الطبية بالأندلس، وقد عرف الطب طريقه من الأندلس نحو المغرب الأوسط عقب انفراط عقد الأندلس وتساقط مدنها، الأمر الذي دفع بعلمائها وأطبائها إلى الهجرة وكان من حظ حواضر المغرب الأوسط الاستفادة من خبراتهم الطيلة ومعارفهم ومصنفاتهم في ميدان الطب، وقد عملوا على تدريس النظريات الطبية وإجراء التجارب الطبية التطبيقية، بغض النظر على إسهامهم في مجال التأليف وصناعة الأدوية ودراسة الفوائد الطبية للحشائش التي كانت تزخر بها مدن المغرب الأوسط كقلعة بني حماد وجبل أمسيون[3].

1- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 254.

2- محمد المنوني، المرجع السابق، ص 275.

3- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص ص61-62.

كما بدا تأثير الأندلسيين جليا على أفراد مجتمع المغرب الأوسط، من خلال عاداتهم وممارساتهم اليومية كالنظافة، وأساليب الحياة كتأثُّر مجتمع المغرب الأوسط بالموسيقى الأندلسية، وكما نعلم أن الموسيقى كانت نوع من أنواع العلاج النفسي، وقد كان هذا كفيل بالاطلاع على ما وصلت إليه الحضارة في الأندلس[1].

وهكذا يمكن القول بأن حواضر المغرب الأوسط كبجاية وتلمسان وقسنطينة، شاركت بمجهود كبير في إرساء معالم الحضارة الإسلامية، وقدمت الكثير من الأعمال والإبداعات في جميع مجالات الحضارة، بما في ذلك ميدان الطب والصيدلة، وذلك من خلال الأراجيز الطبية والمؤلفات التي تركها علمائها كدليل حي على تطور المعرفة الطبية في المغرب الأوسط[2].

3- الرّحلة العلمية:

تعتبر الرّحلة إحدى الوسائل لنقل العلوم والمعارف، لذا كان أمرا شائعا بين طلاب العلم التجوال من مصر لآخر في سبيل طلب العلم، والاستزادة في التخصص وأخذ العلوم من منابعه، واقتناء الكتب ولقاء العلماء والشيوخ المشهورين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقد شدّ الكثير من العلماء الرحال إلى الحواضر الإسلامية كفاس ومراكش والأندلس من أجل طلب العلم[3].

وعرفت بجاية خلال القرن السابع الهجري الموافق للثالث عشر الميلادي، نهضة علمية شاملة، حيث أن الأبحاث العلمية في ميدان الطب كانت قائمة على قوانين نظرية، وقد استقطبت العديد من العلماء والأطباء الأندلسيين بشكل خاص، الذين اختاروا بجاية دار مقام لهم؛ فمارسوا بها مهنة الطبابة ودرّسوا مؤلفاتهم الطبية للطلاب الذين توافدوا عليهم من داخل المغرب الأوسط وخارجه، كما حظت بجاية باهتمام الجغرافيين وعلماء النبات، وذلك بفضل المؤهلات الجغرافية والبيئية، واحتوائها على العديد من أصناف الأعشاب والحشائش الطبية[4]، حيث يوجد ببجاية من الجهة الشمالية جبل

1- أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص46.

2- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 172.

3- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 250.

4- المرجع نفسه، ص ص 270-271.

يسمى "أمسيول "أو "مسيون" وهو "جبل سام" صعب المرتقى[1]، جبل غورية وهو نفسه جبل أمسيون في المراجع القرون الوسطى، الذي احتوى على مجموعة من النباتات الطبية التي يزخر بها في منحدر التل[2]، والمنتفع بها في صناعة الطب مثل: "البرباريس" و"القنطوريون" و"الراوند" و"الاسفيوس" وشجر الحضض" و"القسطون" والإفسنتين" والسقولوفندوريون"، وغيره من الأعشاب والحشائش الطبية[3].

وعلى العموم فإن انتعاش العلوم والإنتاج الفكري ببجاية، كان عبارة عن ازدهار وتطور ثقافي متواصل منذ العهد الحمادي، واستمر هذا نشاط العلمي والثقافي حتى ما بعد الموحدين، حيث كانت بجاية حاضرة الدولة الحمادية، ثم زاد هذا النشاط في عهد الموحدين والحفصيين فيما بعد[4]، حيث برزت مجموعة من الأطباء المشهورين في كل من بجاية وقسنطينة، ويقول المؤرخ روبار بأن جل هؤلاء الأطباء المتمكنين والممارسين والمدرّسين للطب كلهم من المسلمين، وأغلبهم من أصل أجنبي وعلى سبيل الذكر طبيب المستنصر محمد بن أندراس، ونزيل بجاية ذو أصول أندلسية من مدينة مرسية، والطبيب محمد بن أبي عيشون[5].

وفي عهد الدولة الزيانية قصد الرحالة والعالم الجليل عبد الباسط بن الخليل المصري (تـ920هـ/1514م)، تلمسان من أطل طلب العلم والتضرع في العلم الطب، الذي أخذه من علماء تلمسان، على يد الطبيب الماهر محمد بن علي بن فشوش(تـ869هـ/1465م)[6].

1- الإدريسي، المصدر السابق، ص 259.
2- روبر برنشفك، المرجع السابق، ج1، ص 412.
3- الإدريسي، المصدر السابق، ص 259.
4- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 284.
5- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 389.
6- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 149.

المبحث الثاني: المؤسسات العلاجية ودورها في بناء آفاق المعرفة الطبية في المغرب الأوسط:

إن الحديث عن المنظومة الصحية ببلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، يقودنا إلى التطرق إلى المؤسسات العلاجية التي تم تشييدها في كبريات حواضر المغرب الإسلامي، وذلك راجع إلى أن أهل الحضر والمدن أحوج بهذه المؤسسات الطبية، من أهل البادية حسب التنظير الخلدوني[1]، فوجدت البيمارستانات والصيدليات والدمن والدكاكين؛ التي كانت تبيع العقاقير الطبية، وقد حظي المغرب الأوسط، بتوفر هذه المنشئات الطبية في كل من تلمسان وبجاية، بهدف الحفاظ على صحة الرعية، وكان يعمل بها كوكبة من الأطباء والصيادلة الذين ساهموا بعلمهم ومؤلفاتهم الطبية في حضارة المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة.

المطلب الأول: الصيدلة في المغرب الأوسط: قراءة في التطور المعرفي والضوابط:

تعدّ الصيدلة صناعة مختصة في تحضير الأدوية، ومعرفة خصائصها وأغراضها العلاجية؛ حيث تندرج ضمن علم الكيمياء، وبدأ علم الصيدلة في المغرب الأوسط متأثرا بالمدارس المشرقية، ومصنفات الغرب الإسلامي عبر المراكز العلمية في المغربين الأدنى والأقصى والأندلس.

1-روافد المعرفة الصيدلانية في المغرب الأوسط:

تُعرف الصيدلة إذا هي علم وفن يبحث في معرفة كيفية تحضير الأقراباذين (الأدوية المركبة) ومعرفة أصول العقاقير من حيث تركيبها وتحضيرها والأدوية المفردة وخواصها الكيميائية والطبيعية[2]، على يد صيدلاني حذق بجمع الأدوية، وخبير بجمع الأعشاب النافعة للتطبيب[1].

1- ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص ص 428-430.

2- **العقاقير**: وهو الدواء، مفردها عقّار(بضم القاف)، مشتقة من الكلمة العبرية "عِقّار" معناها "أصول النبات" لأن أساس الأدوية، يقوم على أصول الأعشاب عند الشرقيين، ثم اتسع معنى الكلمة فيما بعد، فدلت على جميع أجزاء الأعشاب المستعملة للعلاج، كما ضمت الأدوية الحيوانية والمعدنية. ينظر: شحاته قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ط1، دار أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996م، ص 13.

إذا فتاريخ الصيدلة هو نفسه تاريخ الأدوية وطرق استخدامها وحفظها، وقد كانت هذه الصناعة تمارس من قبل الطبيب، الذي كان يسهر بنفسه على تحضير الأدوية التي يصفها للمرضى، وهذا راجع لاتصالها الوثيق بالطب في بادئ الأمر، ثم ما لبثت أن بدأت تنفصل هذين المهنتين عن بعضهما البعض تدريجيا[2].

ومعرفة العرب للطب والصيدلة أو بالأحرى علم الأدوية، كانت قديمة، تعود بأصولها إلى معرفة الإنسان للعقاقير النباتية التي كان يعالج بها نفسه، وقد كانت مقتصرة على الأعشاب الطبية وبعض الأشربة البسيطة، التي كانوا يتوارثون وصفاتها عن أجدادهم ومع الوقت ازدادت حاجة الإنسان إلى معرفة مصادر أخرى لصناعة العقاقير والأدوية، وخاصة بعد الاحتكاك بالثقافة الشعوب الأخرى كالحضارة الإغريقية، وكان للترجمة كما سبق الذكر، دور في ذلك حيث ترجم المسلمون كتاب "ديوسقوريدس"[3]، الذي كان معجما مهما في مجال علم العقاقير، كما اهتم المسلمون برسالة جالينوس في العقاقير، وانكبّ المسلمون على التأليف في مجال الأدوية[4].

ويرجع الفضل للمسلمين في كونهم كانوا السّباقين في فصل المعرفة الطبية عن المعرفة الصيدلانية، فهم أول من جعلوا مهنة الصيدلة منفصلة عن الطب، وقد كان الصيدلي لا يمارس عملا في المستشفيات، إلا إذا كان معروفا بالأمانة والكفاءة، ولا تعط رخصة الصيدلة إلا بعد تقييد أسمائهم في سجل خاص بهم[5]، كما كان لكل صيدلة أمين يتسلم ما بها من مواد صيدلانية ويحافظ عليها، فاكتسبت بذلك الصيدلة طابعا مستقلا عن الطب، ولكنّها بقيت عنصرا مكملا للطب، وقد ترك لنا

1- شحاته قنواتي، المرجع السابق، ص 12.

2- محمد مؤنس عوض، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار العالم العربي، مصر، 2010م، ص 152.

3- **ديسقوريدس**: من الأطباء القدماء له كتاب الحشائش. ينظر: ابن النديم، الفهرست، (د ط)، مطبعة الرحمانية، مصر، (د ت)، 408.

4- هوارد ر. تيرنز، العلوم عند المسلمين مقدمة مصورة، تر: فتح الله الشيخ، مرا: أحمد عبد الله السماحى، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القهرة، مصر، 2004م، ص174.

5- وجدان فريق عناد وستار جبار الجباري، المرجع السابق، ص12.

أطباء العرب وصيادلته والدارسين للنباتات والأعشاب الطبية والعقاقير مؤلفات؛ تبرز لنا ما كان عليه العلاج باستخدام العقاقير والأعشاب والأدوات الطبية المستخدمة، والقوالب التي كانوا يستخدمونها في إنشاء المواد الصيدلانية[1].

كما رسموا لنا صورة واضحة لصيادلتهم العربية، التي كانت بحواضرهم، فكان الصيدلي يرتدي ثيابا بيضاء[2]، ويقف أمام باب الصيدلية يصرف الدواء، وورائه الرفوف الممتلئة بالقوارير والمعاجين والأشربة والمراهم الطبية[3].

واعتبر العصر الأموي (41-132هـ/662-750م) بداية نهضة المسلمين في مجال الأدوية والعقاقير، لاسيما بعد فتح المسلمين لبلاد الأندلس، وهذه الفترة هي مهد وميلاد تاريخ صناعة الصيدلة، ومن أشهر المؤلفات كتاب" السّموم" لابن الوحشي الكلداني (تـ318هـ/930م)[4]، الذي واعتبره البعض أول مؤلف يغوص في أعماق علم العقاقير بمنهج علمي، وفي نهاية العصر برز أبو الكيمياء عند العرب "جابر بن حيان" (تـ200هـ/815م)، الذي يرجع له الفضل في اكتشاف العديد من المواد الكيميائية، التي استخدمت في صناعة الأدوية وله العديد من المؤلفات[5].

كما عرفت صناعة الأدوية أوجّ ازدهارها في العصر العباسي (132-656هـ/750-1258م)، أين تمّ تأسيس أول صيدلية في العالم أنذاك، على يد الصيدلاني "عيسى أبا قريش"[6]

1- يعتبر العرب أول من عملوا على تحضير الأدوية والعقاقير، حيث عثر على أول دستور للأدوية في تاريخ البشرية، يرجع لحضارة بلاد الرافدين، وهو عبارة عن لوح طيني نقش عليه بالخط المسماري اثني عشرة وصفة طبية من الأدوية المتصلة من قبل طبيب سومري. ينظر: رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت لبنان، ص 41.

2- ينظر الملحق رقم: 05.

3- محمد الجوادي، المرجع السابق، ص 57.

4- ابن النديم، المصدر السابق، ص 433.

5- **جابر بن حيان**: هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي، فيلسوف وكيميائي، أصله من خرسان، وهو من أهل الكوفة، توفي سنة 200م/815م، له مصنفات كثيرة وللاطلاع على المزيد من المعلومات حول مؤلفات جابر ابن حيان ينظر: ابن النديم، المصدر السابق، ص499. الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص 103.

6- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص215.

وذلك سنة 774م، وشهد علم الصيدلة بعد ذلك نهضة علمية كبيرة وصلت إلى ذروتها، بوضع أول دستور للأدوية والمادة الطبية يضم قوانين لابد منها لتعاطي مهنة الصيدلة، على يد العالم الشهير صابر بن سهيل[1]، بأمر من الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) والذي سمي بـ" كرابان" أو الأقرباذين، كما يحتوي على أسماء العقاقير والأدوية وأثمانها[2].

ومن كتب الطب الشعبي "كتاب منهاج الدكان ودستور الأعيان" لأبي داود بن أبي النصر (تـ658هـ/1260م) من علماء القرن السابع الهجري ويعد كتابه هذا من أهم المؤلفات في علم العقاقير والصيدلة، حيث تناول فيه تركيب الأدوية النافعة وتطرق إلى أخلاقيات مهنة الصيدلة[3]، وكتاب" الرحمة في الطب والحكمة"، وقد احتوى على الأعشاب والتركيبات واستعمالاتها في علاج الأمراض، وقد أبرزت كتب الصيدلة المكانة المرموقة التي كانت عليها، والأشواط الكبيرة التي بلغها العرب والمسلمون في مجال علم الأدوية والكيمياء، ومن كتب الصيدلة نذكر: "تذكرة ابن داود" الذي يشتمل على عقاقير وأعشاب طبية، ووصفات مرتبة ترتيبا حسب الحروف الهجائية[4].

حظت الأعشاب والنباتات البرية بمكانة بارزة في صنف العلاج، واعتبرت مصدرا رئيسيا في صناعة الأدوية؛ ففي عهد الأغالبة أبدى "إسحاق بن عمران "تمكنه في ميدان الطب، بالإضافة إلى ماهرته في معرفة خصائص النباتات في الاستشفاء، وإحاطته بمعرفة كل أجزاء النبتة وفائدتها العلاجية،

1- **سابور بن سهل**: كان عالما نصرانيا فاضلا متقدما وصاحب بيمارستان جنديسابور، ويسميه القفطي بسهل بن سابور بن سهل، ويعرف بالكوسج وله مؤلفات عديدة منه كتاب "الأقراباذين"، وكتاب" قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها"، وتوفي سنة 255هـ. ينظر: ابن النديم، المصدر السابق، ص 413.القفطي، المصدر السابق، ص 152.

2- صابر جبرة، تاريخ الصيدلة، (د ط)، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020م، ص72.

3- أبو المنى داود بن أبي النصر العطار، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان، الطبعة الأخيرة المنقحة، المطبعة اليوسفية، مصر، (د ت)، ص ص 4-5.

4- أحمد علي الملا، المرجع السابق، ص ص 148-150

وهذا العلم يندرج ضمن الإرهاصات الأولى لعلم الصيدلة، وانتشرت دكاكين عديد متخصصة في بيعها سميت بالصيدليات في ذلك الوقت[1].

كما عرف علم الصيدلة ازدهارا كبيرا في عهد الموحدين؛ فكان بمستشفى مراكش وببلاط الخلفاء عدد من الصيادلة الذين ساهموا في الإنتاج العلمي، بما قدموه من معارف في مجال تخصصهم[2]، ومن مظاهر التنظيم المحكم الذي وصل له الطب في عهد الموحدين، إنشاءهم لبيت الأشربة والمعاجن الطبية، خاصة بخلفاء الموحدين، وكانت تحتوي على أنواع العقاقير والأدوية والأشربة والمعاجين والعطور الفائقة، وغيرها من المواد الصيدلية خاصة بهم[3]، وقد تولى الإشراف عليها أبو محمد قاسم الإشبيلي(581هـ/1185م)أيام حكم يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1163-1184م) ثم خلفه ابنه، أبو يحي بن قاسم الإشبيلي[4]، أيام حكم يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المنصور(580-595هـ/1184-1199م)، وبقي بهذه الوظيفة إلى أن توفي في عهد المستنصر بالله(595-610هـ/1199-1213م)، فعيّن ابنه خلفا له[5]، ويعدّ هذا المرفق من مظاهر التنظيم الصحي في الدولة الموحدية، ويشبه إلى حد كبير مختبر تركيب الأدوية في الوقت الرّاهن.

2- تطور علم الصيدلة في حواضر المغرب الأوسط:

عرفت صناعة الأدوية تطورا ملحوظا في قلعة بني حماد، لثراء المنطقة بالأعشاب الطبية، وقد تداول ذكر ذلك عند الجغرافيين في العصر الوسيط، وهذا الأمر أهلها لأن تكون بيئة ملائمة

1- بلقاسم جدو، المرجع السابق، ص 116

2- محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص88.

3- محمد الجوادين المرجع السابق، ص 57.

4- **أبو يحي بن القاسم الإشبيلي**: كان خبيرا في صناعة الطب وبارعا في صناعة الأدوية المفردة والمركبة، تم تعيينه على إدارة خزانة الأشربة والمعاجين في عهد الخليفة المنصور إلى أن توفي بمراكش في عهد المستنصر، وعيّن ابنه عوضا عنه. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 79.

5- محمد المنوني، حضارة الموحدين، ص ص 91-92.

استقطبت العشابين والعطارين، الذين أحصوا عدد كبيرا من الأعشاب الطبية التي استخدمت في إنتاج عقاقير طبية وأدوية لمختلف الأمراض.

وقد برز عدد من الصيادلة أمثال البذوخ القلعي(تـ575هـ/1179م)، الذي كان له دكان في سوق اللبادين في دمشق، كان يبيع فيه الأدوية في شكل مسفوفات ومعاجيين وأقراص، وهو ما يشبه الأدوية الصيدلانية اليوم، ومما لا شك فيه أنه كان يأخذ المادة الأولية من القلعة، كما كان من بين المهتمين بكتب الطب وما ألفها المتقدمون، وقد وضع حواشي على كتاب القانون لابن سينا[1].

كما اشتهر سكانها بصناعة مشروب أشبه بالترياق، كانوا يتحرزون ويتحصنون به من لسعات العقارب التي كانت منتشرة بكثرة، فقد كان يشرب الملسوع شراب نبات الفوليون الحراني[2]مقدار درهمين، وهذا كان يكفيهم لعام كامل، وهو ما يشبه عملية التطعيم وأخذ لقاح في الوقت الراهن، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على التطور الذي شهدته صنعة الصيدلة في قلعة بني حماد.

أما في عهد الدولة الزيانية (633-962هـ/ 1235-1554م)، فقد ألحق بيمارستان المنصورة في تلمسان بصيدلية وعدد من الصيادلة، الذين سهروا على صناعة المعاجن، والأدهان والأدوية للمرضى، ووجدت إشارات لوجود بعض الصيدليات الأخرى التي كانت ملكا؛ لبعض الأطباء في سوق العطارين، كانت تباع فيها المواد المتعلقة بالعطارة والطب، التي يهيئها الأطباء والحكماء في منزلهم، ويشتريها المرضى مقابل وصفة طبية[3].

1- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 156.

2- الفوليون الحراني يقول عنه ابن حمدوش بأنه هو نبات جعدةن وهو الشندقورة، واستعمل لقتل الديدان في البطن. ينظر: ابن عبد الرزّاق حمدوش، المرجع السابق، ص ص113-114.

3- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 248.

3- ضوابطها (الحسبة على الصيدلة):

شرّع الدين الإسلامي نظرا لاعتنائه بصحة الفرد والمجتمع قوانين تضبط مهنة الطب والصيدلة على حد سواء، تحت نظام الحسبة والمحتسب[1]، الذي يتمثل دوره في مراقبة الأطباء ومحاربة من يدّعي التطبب، محاربة كل أنواع الغش التي كانت تطول فروع علم الطب والصيدلة ومراقبة الصيادلة والأدوية، ومحاربة الغش في صنع العقاقير والأشربة الطبية، وتسليط العقوبات اللازمة لمنتحلي هذه المهن، للحدّ من هذه السلوكيات التي تضر بالفرد والمجتمع، وتزعزع الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

حيث كانت هناك إشارات تسلط الضوء على الاستخدام السيئ؛ لبعض العطارين لأعشاب، وكمثال على ذلك أنه إذا أفتى الطبيب بأوقية من شراب الورد، أعطاه الشرابي شرابا عقد منه بالماء شرابا لا طعم للورد فيه فلا ينتفع المريض بشيء[2]، وكان بعض مدّعي الصيدلة يبدّلون الأعشاب بما يشبهها "كالراوند الصيني"، بما يقاربه من "الراوند الشامي"[3]، ودهن "السوسن" بدهن "حب القطن"، وغيرها من أنواع الغش والتدليس[4].

فكان المحتسب يقف بالمرصاد لكل من سولت له نفسه؛ لفعل أي عمل شنيع ينجم عنه أذى للناس، ومن مهامه التجول في الأسواق، لكشف كل أنواع الغش وبُيّن للناس المحتالين والغشاشين، ويصدر العقوبات الأزمة في حقهم، ومن الصفات التي كان على المحتسب أن يتّسم بها هي بصيرته وحذقه بالعقّار، فهناك من العقاقير والأعشاب ما يتماثل في النوع والشكل، ولكنه يختلف في الفعل والمنفعة، ولا يتم له ذلك إلا إذا كان من العارفين بهذا العلم ومتمرسا فيه بالخبرة، واحتكاكه

1- **الحسبة**: وهي وظيفة دينية، تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يعين لهذه الوظيفة من كان أهلا لها واستوفى كامل الشروط، ويسما محتسبا، ومهمته تكمن في البحث عن المنكرات وتغيرها وتأديب مرتكبيها، ويحارب كل أنواع الغش والتدليس، والحسبة بمنزلة خادمة لمنصب القضاء. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 407.

2- جمال بامي، المرجع السابق، ص 143.

3- الرواند الشامي: ويسمى روبارب و روبرب، وهو نبات له عروق خشينة حار يابس، وهو نوعان الصيني والشامي، وأفضهما الصيني، لأنه يقوي الكبد ويزيل أوجاعها ويقوي المعدة والطحال والكلى. ينظر: ابن حمدوش، المرجع السابق، ص 192.

4- السقطي، المصدر السابق، ص 22.

بالثقات من التجار المتجولين في البلاد والأطباء، وبهذا كان يصقل معرفته، وليتمكن من كشف كل أنواع وأساليب الغش الاحتيال[1]، وأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مدعي الطب في حديث صحيح فقال: **{مَنْ تَطَبَّبَ ولَمْ يُعْلَم مِنْهُ طِبٌ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُو ضَامِنٌ}**[2]، وهذا الحديث موجه لمن عالج أوداوى الناس، وهو جاهل بعلم الطب، فعليه تحمل مسؤليته حيال[3].

وخلاصة القول أن علم الطب من أشرف العلوم، ولم يزل على ذلك الشرف حتى تعاطاه، من يدعي علم الطب ومعرفة صناعة الأدوية، وانتحالهم لمهنة يجهلون مبادئها وأصولها، لذلك جاء نظام الحسبة الذي ضبط القوانين والأسس، التي يقوم عليها علم الطب والصيدلة، وقد استفردت به الأمة الإسلامية عن سائر الأمم، فحارب المحتسب كل أنواع الغش والاحتيال؛ التي قد تسبب أذية الناس أو تزيد من معاناة هؤلاء المرضى، وهو ما نحن بأمسّ الحاجة إليه في وقتنا الحاضر.

المطلب الثاني: تطور البيمارستانات في المغرب الإسلامي ودورها في بناء المعرفة الطبية:

شمل التطور الطبي الذي عاش في كنفه مجتمع المغرب الأوسط، إنشاء البيمارستانات، وتعميم وجودها بمدنه وحواضره، التي نسج تنظيمها وسير أعمالها وقف ما كان في الحواضر المجاورة في المغرب الأدنى والأقصى، لذ ارتأيت إدراج البيمارستانات وكيفية عملها بالأقاليم المجاورة.

تعتبر المؤسسات العلاجية كالبيمارستانات[4]؛ مؤشرا يقاس به درجة تقدم وتطور المستوى الصحي في المجتمعات البشرية، كما أنه مرآة تعكس مدى اهتمام ووعي السلطة الحاكمة بصحة وسلامة رعيتها، كما أن أول المستشفى في الإسلام هي المستشفيات العسكرية (الحربية) المتنقلة إلى

1- السقطي، المصدر السابق، ص 23.

2- ابن ماجة، المصدر السابق، رقم الحديث:3466، ص 1283. الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيارته، ص 1059.

3- محمد الجوادي، أفاق الطب الإسلامي رؤية علمية وتاريخ فلسفي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2015م، ص 21.

4- **البيمارستانات**: هي جمع لكلمة بيمارستان (بفتح الراء وسكون السين)، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين" بيمار" أي مريض، و"ستان" أي مكان أو محل، ومعناها دار المرضى، ثم اختصرت فصارت مارستان، بمعنى المستشفى، وهي إحدى المنشآت العمرانية التي كان يشيدها الخلفاء والحكام والسلاطين وأهل الخير، وهي تعني المستشفى. ينظر: أحمد عيسى بك، أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستان في الإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1939م، ص 3-4.

غاية مجيء الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، الذي يعدّ أول من وضع الملاجئ الخيرية في الإسلام، وجعل للمجذومين وغيرهم من ذوي العاهات، دارا خاصة جعل لهم من يخدمهم وأجرى الأرزاق لهم[1].

وكثر بناء البيمارستانات في الخلافة العباسية؛ لاهتمامهم البالغ بالطب؛ فشيد كل من هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م)أول مستشفى في بغداد، وانتشر بنائها في كل حواضر الأقاليم الخاضعة للسلطة العباسية، والتي استفادت من عشرات المستشفيات كدمشق والقيروان ومراكش وفي مصر كثر بناءها من طرف الأمويين حيث ضمت القاهرة أكثر من خمسة بيمارستانات[2]؛ والمستشفى الأعلى في عهد أحمد بن طولون (254-270هـ/868-884م) ومستشفى النوري الكبير في دمشق بناه نور الدين بن محمود الزنكي(541-561هـ/1146-1174م)[3]، والمستشفى الناصري الذي بناه صلاح الدين الأيوبي (567-589هـ/1174-1193م)، بيمارستان قلاوون، والذي قال عنه ابن بطوطة بأنه يعجز اللسان عن وصفه لكثرة محاسنه، حيث جهزه بالمرافق والأدوية التي لا حصرة لها وقدرت نفقتها بألف دينار كل يوم[4].

ولم تكن البيمارستانات مقتصرة على معالجة المرضى، بل كانت في نفس الوقت تمثل معاهد علمية ومدارس يتعلم فيها الطلاب تعاليم الطب والصيدلة[5]، ويتخرّج منها الأطباء، والكحالين والجراحين[6]، وكانت تتكون من عدّة مرافق، كمسجد ومدرسة قرآنية ومكتبة بالإضافة إلى صيدلية،

1- قال أحمد عيسى بك أن أول مستشفى في الإسلام، كانت خيمة رفيدة وهي امرأة كانت تداوي الجرحى من المسلمين. ينظر: أحمد عيسى بك، المرجع السابق، المقدمة ص، ب.

2- أحمد جبار، المرجع السابق، ص 94.

3- أحمد على الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ط2، دار الفكر، دمشق، 1981م، ص 140.

4- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ص 41-42.

5- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 78.

6- أحمد عيسى بك، المرجع السابق، ص ص 4-5.

ومكتبة، وقد خصص مرفق للمجانين وأصحاب الأمراض العقلية (المعتوهين)[1]؛ فكانت إلى جانب مؤسسة استشفائية؛ مؤسسة خيرية يأوي إليها الفقراء والمساكين الذين لا مأوى لهم[2].

وتأثرت بلاد المغرب الإسلامي بما كان يجري في المشرق الإسلامي من تطور في مجال الطب، وكان بنو الأغلب السّباقين لذلك؛ فما كان يظهر كتاب أو علم في الدولة العباسية إلا وقد اقتنوه وجلبوه إلى إمارتهم[3]، فقاموا بمحاكاة ما كان يجري فيها من تطور، وأنشأ الأغالبة في كل مدينة بيمارستان للمصابين بالأمراض المعدية والأمراض المعضلة (الصعبة)، التي كانت تستدعي وقتا طويلا لشفائها، مثل ما كان معمولا به في المشرق، وأول بيمارستان أنشئ في المغرب كان على يد الأغالبة وكان بالقيروان، وأطلق عليه اسم الدّمنة في أوائل القرن 3هـ/9م، وهي وسيلة من وسائل الحفاظ على الصحّة العمومية[4]، وقد أنشأ عدد من "الدّمنات " في مدن أخر في القرن(4هـ/10م) حيث كانت تحتوي على كل المرافق، من مسجد وحمام وغرف خاصة بالمرضى وأخرى خاصة بالمجذومين[5]، كما زودت بالماء الصالح لشرب وللاستحمام، واحتوت أيضا على ماجل(صهريج) لتجميع مياه الأمطار،

1- لقد اعتنى الأمويون بالمصابين بالأمراض العقلية، وكانوا يسمون بالمجذوبين أي من جذبهم الله إليه، و كانوا يعاملون بإحسان، لأن إصابتهم كانت قضاء من الله وقدره، وقد وضعت لهم مؤسسات ومصحات عقلية، كان يتولاها أطباء متخصصون في الأمراض العصبية. ينظر: زواوي مراد، المرجع السابق، ص88-89.

2- جان شارل سورنيا، تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص، تر: إبراهيم البجلائي، مطابع السياسة، الكويت، 2002م، ص91.

3- يُرجع جل المؤرخين أن أول من أدخل الطب والفلسفة وتركيب الأدوية (الصيدلة) إلى بلاد المغرب، كان إسحاق بن عمران البغدادي، وذلك بتشجيع من طرف الأمير زيادة الله الثاني الأغلبي(290-296هـ/902-908م)، حيث كان يلقب "بسُم السّاعة"، بهذا لسرعة تأثير الدواء الذي كان يصفه للمريض. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 35.

4- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 113.

5- لقد وجد في المغرب الإسلامي، حارات خاصة بالأمراض كحارة المجذومين، وكانت بعض الأحياء تحمل هذه التسميات كمحلّة المرضى وحارة الجذماء. ينظر: أبو بكر عبد الله محمد المالكي، رياض النفوس، ج2، تح: بشير البكوش، مرا: محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص138.

واستعماله على مدار السنة في الشراب والطهي[1]، وكان بها خادمات زنجيات، وفقهاء البدن الذين كانوا يزورون المرضى ويعتنون بهم[2].

وفي عهد الخليفة الموحدي المنصور (580-595هـ/1185-1199م)، الذي أولى للطب مكانة عظيمة؛ فكان يعتني بصحة الرعية كاعتنائه بصحته[3]، حيث قام ببناء مستشفى بمراكش والذي قال المراكشي عنه "ما أظن أن في الدنيا مثله "، وقد اهتم بكل شاردة وواردة متعلقة به فأجرى فيه مياها كثيرة، وغرس فيه أشجارا وأمر بصب كل يوم بثلاثين دينارا للأدوية[4]، وعيّن عليه أمينه وطبيبه أبو إسحاق إبراهيم الداني(ت620هـ/1223م) وأصله من بجاية الذي كلّفه بإدارة هذا المارستان[5].

وشيّد الخلفاء الموحدين المارستانات، منها المارستان المعروف "بدار الفرج" في الجهة الشرقية من الجامع المكرم[6]، وأقيمت فيه المتنزهات وأجرى فيه المياه وغرست فيه الرياحين، ووظف به الطّباخين، ليقدّموا للمرضى أشهى الأطعمة والأشربة، وفي سنة 585هـ/1189م، استدعى العلماء ورواة الحديث وأمرهم بتدريس الحديث فيه[7]، وكان بالبيمارستانات صيادلة سهروا على عمل الأشربة والأدهان والأكحال، كما وضع فيها ثياب كانت وزع على المرضى بالليل والنهار، صيفا وشتاء[8].

فكان يأوي إليه المرضى من كل مكان، وخصص حكام دولة الموحدين(541-668هـ/1121-1269م)حارات خاصة بالمجذومين، تجنبا لانتشار العدوى بين الناس، حيث كانت

1- بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ص 491-494.
2- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص 316-319- 264.
3- الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 71.
4- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 209.
5- أحمد علي بك، المرجع السابق ، ص 252.
6- إبراهيم قادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 124.
7- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 210. إبراهيم قادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 124.
8- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، 1977م، ص 130

تقام خارج أسوار المدن حارات مخصصة لأصحاب الأمراض المعدية والعاهات الدائمة كحارة الجذماء التي كانت تقع خارج أسوار مراكش وهو إجراء وقائي يبرز مدى الوعي التنظيم الذي طال قطاع الصحة في بلدان المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط [1].

المطلب الثالث: البيمارستانات في حواضر المغرب الأوسط وآفاق الطب المؤسساتي:

تأثرت بلاد المغرب الأوسط بما شهدته الأقطار الإسلامية الأخرى، من تشييد للمؤسسات الاستشفائية والعلاجية، وجاء هذا التأثر نتيجة عدة عوامل من جملتها: قرب المسافة خصوصا بين المغربين الأقصى والأدنى، وبحكم أن المغرب الأوسط كان تحت حكم الموحدين والمرابطين، وهذا ما يرجح استفادته من التطور العلمي الذي طالهما، بالإضافة إلى التجاذب العلمي والتواصل الثقافي بين حواضر العالم الإسلامي خلال الحقبة الوسطية، وانشاء البيمارستانات بحواضر المغرب الأوسط أبرز ذلك التحول نحو الطب المؤسساتي، وذلك من خلال دمج الوظيفة العلاجية الصرفة هذه المؤسسة، مع فضاءات أخرى متعددة الأبعاد، جمعت بين الرعاية الصحية والتعليم الطبي، وتنظيم هياكل العلاج، في إطار مؤسساتي خاضع للرقابة والتنظيم الإداري، ورغم قلة المعلومات والتفاصيل التاريخية حول البيمارستانات إلا أن هناك بعض الإشارات التي أوردها بعض المؤرخين في مؤلفاتهم، حيال هذا الموضوع، وهو ما يدل على الوعي الصحي واهتمام السلطة السياسية بالمنظومة الصحية، لرّقي بقطاع الصحي في المستقبل.

1- بيمارستان بجاية:

اعتنت السلطة الحاكمة بجاية بمجال الرعاية الصحية أيما اعتناء، وتجلى ذلك في إقامة بيمارستان بمدينتهم، وقد دأب أهل بجاية على تجهيز بيمارستانهم بكل التجهيزات اللازمة وتوفير أنواع العلاج للمرضى، كما جلبوا له مجموعة من الأطباء للسّهر على راحة وصحة المرضى، وكان من بينهم

1- إبراهيم قادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 122.

ابن النباش أبو عبد الله محمد بن محمد البجائي الذي كان ذو عناية فائقة، ومعرفة كبيرة بصناعة الطب مواظبا على راحة وصحة مرضاه[1].

لقد ورثت بجاية التطور الحضاري الذي كانت تزخر به قلعة بني حماد، وقد اتسع عمرانها؛ فشيدوا بها القصور والفنادق والحمامات والزوايا والجوامع، وكانت عامرة بالمدارس التي تستقطب عدد كبيرا من الطلبة وأساتذة الفقه وسائر العلوم من بينها العلوم العقلية كالطب والصيدلة، وشيّدوا البيمارستانات التي كانت تأوي المرضى، ويتعالجون على يد أمهر الأطباء[2]؛ كما برز بحاضرة بجاية ثلة من الأطباء، أبدوا براعتهم في ميدان الطب والعلاج، وقد واصلت بجاية تطورها الحضاري والعمراني طيلة الفترة الوسيطية، فتأثرت بحضارة المرابطين ومن بعدهم الموحدين والحفصيين، حيث يذكر حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)، أنه كان بها البيمارستانات[3].

ذكر حسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م) البيمارستانات بصيغة الجمع، وهذا يدل على أنها احتوت على عدد معتبر به من المارستانات، لكنه لم يعطينا تفاصيل كثيرة حولها، ولا على النظام الداخلي وكيفية عملها، غير أنه يمكن التخمين بأنها كانت في تنظيمها وتجهيزها، تشبه إلى حدّ ما كانت تسير عليه بيمارستانات إفريقية، و الموحدين والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، بحكم أن بجاية كانت في العصر الوسيط؛ لفترات تحت حكم السلطة الحاكمة بالمغرب الأدنى، كما أنّ بعض الخلفاء الموحدين والأمراء الحفصين، اتخذوا من بجاية مركزا لهم؛ فبنوا بها القصور وشقوّا الطرقات، فمن غير الممكن أنهم لم يشيدوا فيها مراكز للعلاج، تُراعي صحتهم وصحة رعيتهم[4].

1- محمد طمار، المرجع السابق، ص233.

2- محمد صديقي، المرجع السابق، ص151.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 50.

4- على سبيل الذكر عبد العزيز بن أبي فاس(796-837هـ/1394-1434م) ينظر: حسن الوزان، المصدر نفسه، ص 49.

2- بيمارستان تلمسان:

اهتم سلاطين الدولة الزيانية بالخدمات الصحية، وسهروا على راحت رعاياهم وبالأخص المرضى منهم، لهذا الغرض قاموا ببناء المؤسسات الصحية وعلى رأسهم البيمارستانات، التي تقوم بتقديم خدماتها الصحية للمرضى مجانا[1]، وكانت السلطة الزيانية هي من تسهر على إراداتها والإنفاق عليها، بالإضافة إلى ما تدر به عليها الأحباس الموقوفة عليها لصالح المرضى[2].

وقد أشار الدكتور عبد العزيز الفيلالي بأن السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م)، كان يجمع الفقراء والمساكين في فصل الشتاء، في بيمارستانات المدينة ويقدم لهم الأكل وما يلزمهم بكرة وعشية، وقد ذكر هذه المستشفيات بصيغة الجمع للدلالة على كثرتها[3].

يبدو أن بيمارستان تلمسان، قد شيد قبل عهد أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م)؛ لأن السلاطين الذين سبقوه، كانوا شديدي العناية برعيتهم محبين للخير، مولعين بالبناء والتشييد، لذا فاحتمال وجود هياكل صحية وقاعات للعلاج في تلمسان.

أما بيمارستان المنصورة، فقد كان واحد من أهم ما تمّ تشيده بتلمسان، من طرف السلطان المريني يوسف بن يعقوب(685/1286 -706هـ/1306م)، أثناء حصاره الطويل، حيث اعتنى بتجهيزه بالوسائل المادية والبشرية، وقد عمل به الكثير من الأطباء، الذين سهروا على مداواة المرضى والتخفيف من آلامهم، أين كانوا يتلقون المكافئات من السلطان المريني، الذي قدّم لهم مرتبات حسنة، مقابل ما يقدمونه لهؤلاء المرضى، ومن بين الأطباء نذكر: سعيد بن عبد الله محمد بن عبد

1- الونشريسي، المصدر السابق ج 7، ص 481.
2- بسام كامل عبد الرازق شقدان، المرجع السابق، ص 170.
3- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 248.

الحليم الزواوي المليانى، وأحمد بن علي المليانى، وأبي جمعة التلاليسي، الذي أجرى عملية جراحية للسلطان أبي يعقوب المريني بعد أن طعن في إحدى المعارك[1].

أما عن الهيكل التنظيمي للبيمارستان فلم يختلف عن تلك التي عرفتها الحضارة الإسلامية قاطبة؛ فقد ضمّ عدة غرف، منها ما خُصّص للمجانين والمجذومين، كما خصّصت فيه أماكن للفقراء والمساكين ومن لا مأوى لهم، وكان يُدفع لهم مبالغ مالية بعد خروجهم من البيمارستان، مثل ما كان معمولا به في البيمارستانات الإسلامية في العصور الوسطى[2].

وبالرغم من انعدام الوثائق التي تبين سير العمل في البيمارستان التلمساني، وتوضيح هيئة الموظفين الذين عملوا به، إلا أنه يمكن استخلاص ذلك، من خلال إشارات التي أوردها حسن الوزان الفاسي(ت بعد957هـ/1550م)، والذي أكد على وجود موظفين للبيمارستان، إلى جانب الأطباء والحكماء، منهم الكُتّاب والممرضون والحراس والطباخون وغيرهم، كان يتقاضى كل واحد منهم أجره كل شهر[3].

كما كان الأطباء يتتبعون الحالة الصّحية لكل نزلاء البيمارستان، وفضلا عن المهمة الصحية والإنسانية، التي يقوم بها البيمارستان كان يستقبل الغرباء ويستضيفهم لمدة ثلاثة أيام، ويتكفل بتغسيل الأموات منهم وتكفينهم ودفنهم[4]، ولم يكتف بعلاج المرضى فحسب بل كان يتداوى به حتى الطيور والحيوانات الجريحة[5].

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 247.

2- محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 153.

3- عبد العزيز المرجع السابق، ج1 ، ص 247.

4- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص ص 129-130.

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 247.

وقد سهر العمال والأطباء في البيمارستان على راحة المرضى؛ فكانوا يقدمون للمرضى ثياب بالمجان للنوم في الليل والنهار، وخصصت ملابس لفصل الصيف وأخرى لفصل الشتاء، كما ألحق بالمستشفى، صيادلة لصناعة اليتوعات[1] والأشربة والأدهان والأكحال والأدوية[2].

ولم تكن البيمارستانات لوحدها تمثل دور العلاج، بل كانت المنازل هي الأخرى مكانا يتلقى فيه المرضى علاجهم، حيث خصص بعض الأطباء غرفا في بيوتهم، زاولوا فيها مهنتهم، كما كان بعض الأطباء ينتقلون إلى منازل المرضى، الذين كانوا لا يستطيعون الحركة أو كانت حالتهم مستعصية، فكان الطبيب يذهب إليهم ويكشف عنهم، ثم يصف لهم العلاج[3].

وقد عملت السلطة الحاكمة في المغرب الأوسط على تجهيز حواضره بمختلف المرافق العمومية والمؤسسات، وعلى سبيل الذكر مدينة وهران؛ التي كانت مجهزة بكل المرافق والمؤسسات كالمساجد والمدارس والبيمارستانات والحمامات والفنادق، التي أهلتها لأن تكون مدينة حضرية تضاهي كبريات حواضر المغرب الإسلامي، دون أن ننسى ما كانت عليه تلمسان وقسنطينة وبجاية وتيهرت من تطور وحضارة خلال العصر الوسيط[4].

إن عدم وجود معلومات كافية حول المؤسسات الاستشفائية، والمرافق الصحية بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط، لا يعن انعدامها وعدم وجودها بل يحيلنا إلى القول بأن المصادر تطرقت إلى بلاد المغرب الأوسط، وذكرت الأحداث السياسية والاقتصادية، وهذا بالنظر للأوضاع التي كانت تعيشها حواضره، وبالخصوص ذلك الجانب السياسي، وإن وضعنا احتمال عدم وجودها فكيف واجهت السلطة الحاكمة والرعية الأمراض التي كانوا يعانون منها؟ وأين زاول الأطباء الذين عاشوا في

1- اليتوعات: وهي النبات المسهل وهو كل نبات له لبن حار مسهل. ينظر ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 160.
2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 248.
3- محمد صديقي، المرجع السابق، ص148.
4- حسن الوزان، المصدر السابق،ج1، ص 401.

كنف المغرب الأوسط مهنتهم، ومن أين اقتنوا الأدوية التي كانت يصفها الأطباء للمرضى في غياب الصيدليات؟

وفي غياب المصادر والوثائق المادية الملموسة والتي تسلم بما تم ذكر، يبقى الموضوع مرهونا باحتمالات وتخمينات، تراوحت بين القبول والرفض إلى أن يوجد ما يثبتها أو ينفيها، وذلك من خلال البحث وتقصي الحقائق بالأساليب والمناهج العلمية الرصينة، إما بتحقيق المخطوطات أو بظهور شواهد أثرية قد تزيل هذا الغموض، الذي اكتنف تاريخ المغرب الأوسط في عصره الوسيط.

3- تطور علم الجراحة في تلمسان خلال العهد الزياني:

تعد الجراحة في تلمسان خلال العهد الزياني من أبرز مظاهر التقدم الطبي في المغرب الأوسط، حيث تجاوزت حدود الممارسة الطبية التقليدية؛ لتصبح جزءا من منظومة معرفية ومؤسساتية متكاملة، وذلك من خلال العملية الجراحية التي قام بها الطبيب أبي جمعة التلاليسي(تـ767هـ/1365م)، للسلطان أبي يعقوب المريني الذي تعرض لجروح على مستوى الأمعاء، وقد تمكن الطبيب الجراح من خياطة جرحة لبراعته وخبرته، في مدينة المنصورة، وهذه العملية كشفت لنا مدى تطور الجراحة وإسهامها في بناء آفاق المنظومة الطبية وشكلت اللبنة الأولى في تأسيس الطب التطبيقي في المغرب الأوسط[1].

المبحث الثالث: الأطباء وإنتاجهم العلمي والطبي في المغرب الأوسط:

لا غرو في القول بأن علماء المغرب الأوسط، قد كان لهم إسهامات فعّالة في مجال العلوم الطبية، فإلى جانب دورهم في تطبيب المرضى وعلاجهم، فقد ساهموا في حركة التدوين وتأليف المصنفات الطبية بالإضافة إلى صناعتهم للعقاقير والأدوية التي قاموا بتركيبها من الأعشاب الطبية التي كان يزخر بها إقليم المغرب الأوسط، وفيما يلي ذكر لأشهر علماء الطب وما جادت به قريحتهم حواضر المغرب الأوسط:

1- النويري، المصدر السابق، ج5، ص 243.

المطلب الأول: مشاهير الأطباء في تيهرت وبجاية:

لقد حفظ كتاب ابن أبي أصيبعة (ت1270/668م) تراجم بعض الأطباء، الذين كان لهم قدم راسخة في ميدان الطب والصيدلة، والذين كانوا سواء من أصل مغاربي أو من أماكن مختلفة من العالم، وشدّوا الرحال إلى المغرب الأوسط، فأسهموا في بناء منظومته الطبية، وسأسلط الضوء في هذا الجزء، على المجهودات العلمية التي قدّمها هؤلاء الأطباء في المغرب الأوسط، والبداية بالدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) والتي من أبرز أطبائها:

الطبيب الرستمي محمد بن سعيد (ق4هـ/10م):

ترجع أصول هذا الطبيب إلى العائلة الرستمية، وعرّفه ابن الأبار قائلا :" محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم، مولى الغَمر بن يزيد بن عبد الملك، دخل أبوه الأندلس وكان يعيش بناحية الجزيرة، اصطنعه عبد الرحمن بن عبد الحكم (300-350هـ/929-961م)، في إمارته على شذونة[1]، وقيل عن محمد ابن رستم بأنه كان أديبا حكيما وطبيبا محنكا، ولاعبا بارعا في لعبة الشطرنج، وله شعر في" الحدائق" لابن الفرج[2]، وكان بالإضافة إلى علمه يعد من رجال السياسة؛ الذين احتلوا منصب الوزارة والحجابة في بلاد الأندلس في عهد عبد الرحمن بن الحكم (300-350هـ/929-961م)[3]، وقد ترجم له ابن القوطية الذي قال بأنه كان حاجبا لعبد الرحمن بن الحكم[4] بعد وفاة عبد الرحمن بن غانم[1].

1- **شذونة:** كورة من كور الأندلس، متصلة بكورة موروا، وهي التي شهدت أرضها هزيمة لذريق سنة ست وتسعين، وهي جليلة القدر كثيرة الخيرات. ينظر، الحميري، المصدر السابق، ص 339.

2- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م، ص 372-373.

3- إبراهيم بحاز وآخرون، المرجع السابق، ص 378.

4- عبد الرحمن بن الحكم، ولد بطليطلة سنة176هـ، تولى الحكم سنة ست ومائتين، دامت خلافته إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وستة أيام وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين. ينظر: ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي=

من بين المراكز الحضارية التي زخر بها المغرب الأوسط، قلعة بني حماد التي راج إشعاعها الحضاري والعلمي ووصل إلى الآفاق، حيث شهدت تطور في جميع نواحي الحياة، بما في ذلك الطب والصيدلة، وقد استمر إشعاعها لقرون، بفضل نخبة من العلماء الذين برعوا في شتى العلوم النقلية والعقلية، ومن الأطباء الذين ذاع صيتهم في عهد الدولة الحمادية أذكر:

أبو جعفر بن علي البذوخ(تـ575هـ/1179م):

يعتبر أبو جعفر بن علي البذوخ المشهور بابن البذوخ القلعي أول طبيب، ولد في مدينة قلعة بني حماد سنة (472هـ/1094م)، في عهد المنصور بن الناصر بن منصور الحمادي (498هـ-1105م)، أين تلقى تعليمه بها؛ فحفظ القرآن على يد أبي عبد الله الغديري، ثم هاجر إلى دمشق سنة 511هـ/1136م، واتخذها مركزا لإقامته إلى أن وافته المنية سنة 575هـ/1179م[2].

وعرف بحذقه في الطب، وخبيرا فاضلا بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة، كما كان عالما متمكنا بمعرفة الأمراض وكيفية مداواتها، كان له دكان عطر بسوق اللبّادين، يجلس فيه ويعالج من يأتي إليه من المرضى؛ فيصف لهم الدواء، وكان يهيئ عنده أدوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والأقراص

=مكي، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1415هـ/1994م، ص 158. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، 1410هـ/1989م، ص 28.

1- ويتضح من خلال كلامه أنه بدلا من قوله محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن رستم، قال أنه عبد الرحمن بن رستم فمن غير الممكن أن يكون عبد الرحمن بن رستم المؤسس وإلا هو حفيد أخر لابن رستم في الأندلس كما هو حال محمد بن سعيد ويرى محمود إسماعيل أن من بين الشخصيات الرستمية التي كانت بالأندلس شخصيتي هما محمد عبد الرحمن بن رستم وقد خدم في جند الحكم بن هشام، وشخصية محمد بن سعيد بن رستم الذي تقلد ولاية شذونة. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1410هـ/1989م، ص78. ابن عذارى، المصدر السابق، ص83. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 205.

2- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 156.

والسفوفات[1] وغيرها؛ فيبيعها لناس لينتفعوا بها وقد أصيب بالعمى في آخر عمر، وترك الكثير من المؤلفات منها: شرح كتاب الفصول لأبقراط، وحواش على كتاب القانون لابن سينا[2].

ومن الأطباء الأندلسيين الذين مارسوا مهنة الطب بالمغرب الأوسط، واتخذوا من حواضره مستقرا كبجاية على سبيل المثال، أين مارسوا مهامهم الطبية، ودرّسوا مؤلفاتهم للطلبة الذين توافدوا عليهم، من المدن المجاورة، ومن بين هؤلاء نذكر :

ابن النبّاش البجائي (توفي في أواخر القرن الخامس الهجري):

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي، كان طبيب مواظبا على علاج المرضى، وكان ذو معرفة جيدة بالعلوم الطبيعية والفلسفية[3]، وكان ضمن طاقم الأطباء ببيمارستان بجاية[4]، اتّخذ من مرسية دار مقام له[5].

الطبيب أبو إسحاق إبراهيم الداني (تـ620هـ/1223م):

عُرف بعنايته الكبيرة للطب؛ لذلك استقدمه الخليفة الموحدي المنصور(580-595هـ/1160-1199م) إلى حضرة مراكش، وجعله طبيبه الخاص وأمينا على البيمارستان، وتوفي الداني في مراكش في عهد المستنصر بن الناصر(610-621هـ/1213-1224م) وتم تعيين ابنه أبو عبد الله محمد أمينا للبيمارستان خلفا لوالده[6].

1- **السفوف**: مفردها سّفف، وهي اسم لما يُسْتَفُّ من الأدوية اليابسة والتي يتم سحقها جيدا. ينظر: الصحاري، المصدر السابق، ج2، ص 302.

2- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 157.

3- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص ص 49-50.

4- عادل نويهض، المرجع السابق، ص328.

5- **مرسية**: من كور الأندلس اختطّها عبد الرحمن بن الحكم، وسماها تدمير، لها حصون وقلاع. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص539- 540 .

6- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 79.

أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي ابن أندراس(تـ674هـ/1274م) :

كان مولده في حدود600هـ، أصله من مرسية ثم هاجر إلى بجاية واستقرّ بها في حدود (650-660هـ)، كان طبيب مختص بأمراض النساء والتوليد، ومن تلاميذه أحمد الغبريني صاحب كتاب "الدّراية"، والذي أفرد له ترجمة حيث قال عنه بأنه كان طبيبا باحث متبحر في ميدان الطب، وعلوم أخرى كاللغة العربية وأصول الدين، وبأنه كان مختصّا بطب الولادة ببجاية مع مجموعة من الأطباء، وقد نظم رجز في بعض الأدوية ببجاية، قال الغبريني أنه طلب مساعدته في نظم الأدوية المفردة من القانون فساعدته[1]،كان من أشهر أطباء المستنصر[2]، وكان إذا دخل على السلطان في مجلسه قرّب له السلطان بيده مخدة من مخاد سريره إكراما لعلمه، وقيل فيه أنه ابن سينا زمانه لتمكنه من صنعة الطب[3].

أبو القاسم محمد بن أحمد بن خالد المالقي(تـ**600هـ/1262م**): أصله من مالقة وهو من المشاركين في الطب[4]، قدم من الأندلس إلى المغرب، واستوطن بجاية حيث كان له مجلس بمنزله يأتي إليه الطلاب ليدرسوا عنه، ومن تلامذته الغبريني الذي أفرد له ترجمة في كتابه الدراية، وقال بأنه قرأ على المالقي البعض من كتاب "معيار العلم "في علم المنطق، وله عدّة مشاركات في علوم الطبيعيات والفقه، وتوفي ببجاية ودفن بحومة باب امسيون[5].

أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام: أصله من تدلس وسكن بجاية، برع في عدة علوم كالفقه والأدب وعلم التاريخ إلى جانب توليه القضاء ببجاية، وكان له حظ في الطب ببجاية[6]،

1- الغبريني، المصدر السابق، ص 295.

2- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، 389.

3- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص 163.

4- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، (د ط)، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ص 497.

5- الغبريني، المصدر السابق، ص ص 73-74.

6- المصدر نفسه، ص 341.

فكان مزاولا ومعالجا أي أنه كان يزاول مهنة الطب نظريا وعمليا، فكان يفحص المريض، ويصف له العلاج الأنجع لعلته[1].

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي (تـ691هـ/1291م): من أهل شاطبة بالأندلس، هاجر إلى بجاية استقرّ بها، كان له علم بأصول الفقه والعربية[2]، وله دراية بقوانين الطب تولى القضاء ببجاية ثم انتقل إلى إفريقية وتوفي بتونس ودفن بها[3].

الطبيب الإفريقي علي: يعمل كطبيب في الدولة الحمادية في القرن السادس للهجري[4]، ويقول عنه القفطي بأنه كان من المرتزقة في الطب[5]، وهو إلى جانب براعته في الطب كان شاعرا وأديبا[6]، ومن شعره:

يَـا جملـة الحسـن هَـبْ لِي مِنْـكَ إِحْسَـانًا إِنِي أُحِبُكَ إِسْرَارًا وإِعْلَانَا وَلَا أُحِـبُّ سِوَاكَ

أَصْـبَحْتُ عَبْـدَكَ لَا أَبْغِـي بِكُـم بَـدَلَا الـــــــــــدَّهْرُ إِنْسَـــــــــــانَا[7].

المطلب الثاني: مشاهير الأطباء في تلمسان:

برز كوكبة من الأطباء في الدولة الزيانية من جملتهم:

أبو عبد الله محمد بن سحنون المشهور بالندرومي (580-634هـ/1181-1237م)

طبيب كومي أصله من ندرومة احدى أعمال تلمسان، وكان مولده ب قرطبة أين نشأ بها ثم رحل إلى إشبيلية، والتقى بالقاضي أبي الوليد بن رشد أبي الحجاج يوسف موراطير[1]، وأخذ منهما

1- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 170.
2- عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص 392.
3- الغبريني، المصدر السابق، ص ص 115-117.
4- عادل نويهض، المرجع السابق، ص204.
5- القفطي، المصدر السابق، ص 182.
6- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 19.
7- القفطي، المصدر السابق، ص 182.

تعاليم الطب، ناهيك عن براعته في الأدب والعربية، حيث قام بوضع اختصار لكتاب المستصفى للغزالي بالإضافة إلى كثرة سماعه للحديث، وقد عمل كطبيب خاص لناصر في آخر دولته ثم لولده لمستنصر الموحدي من بعده[2].

أبو جعفر أحمد بن جريح الذهبي(تـ660هـ/1261م):

أصله من قرطبة من طلبة القاضي أبي الوليد بن رشد ومن المشتغلين بصناعة الطب حيث قيل فيه أنه كان ذكيا فاضلا حسن العلاج، فعمل بالطب في عهد الناصر وتوفي في دولة المستنصر قام بزيارة تلمسان، وربما في أثناء هذه الزيارة قام بتعليم بعض مبادئ الطب للأطباء الذين عاصروه، غير أننا لم نصادف معلومات حول هذه الزيارة، لكن من غير الممكن أن لا يستفيد أطباء تلمسان من خبرة وبراعة هذا الطبيب.

أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة التلمساني (725-776هـ /1325-1375م): من أطباء تلمسان وذهب إلى القاهرة وأقام بها وقام برحلة علمية إلى الحجاز ودمشق له كتاب "الطب المسنون في دفع الطاعون"، وتوفي بالطاعون بمصر[3].

أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلاليسي(تـ767هـ/1365م)[4]: طبيب جراح من مدينة تلمسان، أبدى براعته في علم الطب، فجعله السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ) طبيبا خاصا له في البلاط الزياني، وإلى جانب ممارسته للطب كان شاعرا وأديبا[5]؛ فكانت له

1- **أبو الحجاج يوسف بن موراطير**: وهو من شرقي الأندلس ومواطير قرية قريبة من بلنسية، وقد عرف بفضله في صناعة الطب خبيرا بها وقد عمل كطبيب للناصر ثم المستنصر، وقد توفي بداء النقرس في حضرة مرّاكش في دولة المستنصر. ينظر: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 78.

2- المصدر نفسه، ج2، ص 81.

3- عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 364-365.

4- المرجع نفسه، ص 63.

5- النويري، المصدر السابق، ج7، ص 129.

قصائد في المديح والوصف والرثاء والموشحات[1]، وقد قام بعملية جراحية للسلطان المريني أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) على مستوى الأمعاء[2]، وأخاط الجرح الذي أصابه في بطنه بالمنصورة[3].

أبوعبد الله الشريف العلوي التلمساني(771هـ/1370م):

إمام موسوعي تبحر في مختلف العلوم النقلية والعقلية بما فيها الطب، وقد تلقى تعليمه من علماء تلمسان ثم، رحل إلى تونس وانكب في تحصيل مختلف فنون المعرفة من خيرة علمائها، وبعدها عاد أدراجه إلى تلمسان، أين تهافت عليه الطلاب من كل حدب وصوب ليتلقوا مختلف العلوم، ولما حاصر السلطان المريني تلمسان سنة 753هـ/1352م، اصطفاه واختاره من بين رجال العلم وعينه عضوا في مجلس علمائه، وأخذه معه إلى فاس، ولفضله وعلمه بنى له السلطان الزياني أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن، بنى له مدرسته الشريفة التي عُرفت بالمدرسة اليعقوبية سنة 763هـ/1362م، فانكب على التدريس والتعليم، وقد تزاحم حوله طلبة العلم، ومن تلاميذه عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحي، وإبراهيم الثغري، وابن زمرك، وغيرهم. وكان من الراسخين في العلوم والمعارف المتنوعة، وقد كان من النابغين في الطب والتشريح[4].

محمد بن علي بن فشوش (تـ869هـ/1465م):

من أطباء تلمسان أبدى مهارة فائقة بممارسة مهنته، وقد زاول مهنة التدريس العلوم الطبية بتلمسان خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وقد ذكره الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (تـ920هـ/1514م)، الذي قام برحلة إلى المغرب سنة 869هـ/1465م، زار خلالها بجاية والجزائر

1- محمد الطمار، المرجع السابق، ص 185.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 249.

3- الحفناوي، المصدر السابق ص498.

4- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامين بيروت- لبنان، 1995م، ص ص60-65.

وقسنطينة وتلمسان، حيث درس الطب على يد أمهر الأطباء وعلمائها في ذلك الوقت، ومن بينهم محمد بن علي بن فشوش، قال عنه: " ولقينا في تلمسان جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والأطباء منهم، محمد بن علي بن فشوش، وقال بأنه حضر بعض دروسه ونقل عنه الكثير من الأشياء"[1].

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التلمساني المعروف بالثغري (عاش خلال القرن9هـ/15م):

طبيب وصيدلاني كان معاصرا لابن خلدون (تـ808هـ/1406م)[2]، وهو من مدينة تلمسان ألف رسالة في الطب وهي تحتوي على قائمة بأسماء الأعشاب، وما كان يستعمل للتداوي في ذلك العصر[3]، كما تطرق إلى ذكر بعض الأمراض كتلك التي تصيب العين[4]، واستهلّ رسالته بالأدوية النافعة لبرد الدماغ، وهي تشتمل على أدهان وأشربة وسفوفات ومعاجين، مع ذكره لمنافعها الطبية[5].

وقد ساهم بعض الفقهاء والعلماء، ممن كان لهم انشغال بمهنة الطب، لكنهم لم يكونوا متخصصين فيه كحال الطبيب نفسه، بل كانوا يزاولون مهنة الطبابة إلى جانب الفقه، وقد اصطلح عليهم فقهاء الأبدان ومن جملتهم:

سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمن بلعيش المقري: الذي كان حيا في سنة 1011هـ، كان فقيها وإماما مجتهد بتلمسان[6]، وأبدى نبوغه في العلوم العقلية كلها كالطب والتشريح والتنجيم والفلاحة والهندسة[7].

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص249.

2- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 92.

3- هذه الرسالة مخطوط توجد نسخة منها بالمكتبة الوطنية الجزائرية بمجموع تحت رقم 1777، عدد أوراقها أربعة، يعود تاريخ نسخها إلى 1122هـ/1710م. ينظر: سعدي شخوم، المرجع السابق، ص 521.

4- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 249.

5- سعدي شخوم، المرجع السابق، ص 522.

6- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 474.

7- ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 104-105.

الفقيه أبو الفضل المشذالي التلمساني (ت866هـ/ 1461م):

وهو محمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي أبو الفضل[1]، الذي درس الطب على يد محمد بن على بن فشوش التلمساني[2].

الفقيه الصالح محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/ 1428م)[3]: الفقيه الذي ربط بين الدين والطب، كان مولده سنة (832هـ/ 1490م)، واستعان في ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة، وكان يعالج الناس وفق هذا المنهج، وقد ألف كتاب سماه" شرح المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"، وقد حمل هذا المصنف عدّة عناوين منها رسائل في الطب والصيدلة كتاب "برء العيون الرمدة"، وكتاب "فوائد طبية"، ورسالة في الطب وتفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أصرار الصناعة الطبية، وقد بيّن فيه السنوسي أهمية الحمية في الحفاظ على الصحة، وكانت له تأليف أخرى منها : "مجريات في الطب" و"شرح أرجوزة ابن سينا في الطب[4]، ثم قام بذكر الأغذية والفواكه والأشربة وتأثيرها على البدن، كما تطرّق إلى جانب مهم، وهو الأخلاط وتأثيرها على الصحة[5]، ونقل عنه ابن صعد[6] وأبي القاسم الزواوي[7] وقيل ارتحل الناس إليه وتبرك به[8].

1- عادل نويهض، المرجع لسابق، ص 301.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 250.

3- قال عنه عادل نويهض في معجم أعلام الجزائر بأنه توفي بتلمسان وعمره 63 سنة ولم يذكر جانبه الطبي والصيدلاني بل قال بأنه من زهّاد تلمسان، وكبير علمائها عالم بالتفسير والحديث وعلم التوحيد. ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 180.

4- التنبكتي، المصدر السابق، ص 572.

5- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 250

6- هو محمد أبي الفضل بن سعيد بن صعد الفقيه العالم التلمساني صاحب كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب، وروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين، توفي بمصر سنة 901هـ. ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص575. ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 251-252.

7- التنبكتي، المصدر السابق، ص 572.

8- المصدر نفسه، ص 565.

أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن الإمام التلمساني (تـ 845هـ/ 1441م):

كان إماما وفقيها وهو من الملمين بالعلوم العقلية[1]، وعالما بالفقه والتفسير، مشاركا في التصوف وعلوم الأدب والطب، نشأ بتلمسان أين تلقى بها العديد من العلوم، ثم رحل إلى المشرق أين حجّ ودخل بعدها إلى القاهرة، وزار بيت المقدس، واثنى عليه مؤرخي أمثال القلصادي والسخاوي والونشريسي (تـ914هـ/1508م) وغيرهم[2].

واستفاد تلمسان هي الأخرى من خبرة الأطباء الأندلسيين الذين قدموا إليها وجلس يدرّسون الطب بمدارسها ومن الأطباء نذكر:

أبو القاسم محمد بن القاسم الشاطبي التلمساني: (عاش خلال القرن(هـ/14م) عمل كطبيب خاص للسلطان الزياني أبو تاشفين الأول(تـ737هـ/13337م)[3].

علي بن ثابت القرشي (772–829هـ/1371–1426م): وهو علي بن ثابت بن سعيد بن علي بن محمد بن علي بن سعيد التلمساني القريشي، يعود نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان، كان عالما لم يُرى مثله في الورع والاجتهاد، مشارك في أصول الدين والحديث، مؤرخ ومشارك في ميدان الطب[4]، وقد أجازه الشيخ الإمام ابن مرزوق الحفيد في الكثير من العلوم، له حوالي 28 مؤلفا في الكثير من العلوم من بينهم الطب، ومن بين مؤلفاته كتاب "شرح عقيدة الضرير"، "وثلاث شروح على البردة"، "شرح على تنقيح الفصول"[5]، توفي سنة 829هـ[6].

1- ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

2- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 75.

3- فافة بكوش، (إسهامات علماء المغرب الأوسط في انتقال وإنتاج العلوم الطبية ما بين القرون (06-09هـ/12-15م))، مجلة عصور ، مج22، ع02، جامعة أحمد بن بلة، وهران1أوت2023م، ص ص 138-139.

4- عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص 144.

5- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 72.

6- التنبكتي، المصدر السابق، ص 335.

ومن الأطباء اليهود الذين مارسوا مهنة الطبابة في فترة حكم الزيانيين أذكر:

الطبيب إفرايم بن إسرائيل النقاوة (761–846هـ/1359–1442م):

مارس الطب في مدينة تلمسان بعد أن إنتقل للعيش فيها، في فترة حكم السلطان أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى الثاني الملقب بالعاقل(834–866هـ/1431–1462م)، والذي كانت له ابنة تصارع المرض ولم يتمكن أطباء تلمسان من إيجاد العلاج لها[1]، فوصلت إلى مسامع السلطان شهرة هذا الطبيب اليهودي فاستدعاه ليشخص حالة ابنته الوحيدة، وعند دخول الطبيب، سأله السلطان هل يعتقد أنه يستطيع أن يشفي ابنته؟ فأجاب الطبيب: إن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعلم الغيب، وأنه علينا أن نتوكل عليه[2]، وبعد أن تمكن الطبيب إفرييم من معرفة علّتها عالجها، وتماثلت لشفاء ومكافئة له طلب منه السلطان أن يطلب ما يشاء، وتمثل طلب إفرايم أن يسمح لليهود بالعيش داخل أسوار تلمسان ويسمح لهم ببناء معبد لممارسة شعائرهم الدينية ؛ فقبل السلطان الزياني بهذا الطلب ووافق على إقامة اليهود بالمشور والسماح لهم بإنشاء درب يعرف بدرب اليهود[3]، وبعد وفاته سنة (846هـ/1442م) شُيّد له ضريح يخلد اسمه بمدينة ندرومة[4]، وتقول الباحثة فاطمة بوعمامة أن قبره موجود بمقبرة قباسة يغطيه أشجار التين والرند، وإلى جانبه يوجد قبور أبنائه وأفراد أسرته[5]، وأصبح يوم وفاته يسمى بلهيلولة[1].

1- عميرات محمد أمين، (هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط)، مركز الدراسات الأندلسية، الجزائر، العدد 23، كانون الأول، 2017م، ص 164.

2- المرجع نفسه، ص 164.

3- بن داود حفيظة، وهراني قدور، المرجع السابق، ص114.

4- **ندرومة**: أسسها الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة، تبعد نحو ميلين من الجبل واثني عشر ميلا من البحر المتوسط ، وهي مدينة مزدهرة لكثرة الصناع بها. أنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 13-14.

5- فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص176.

موشي بن صمويل بن يهوذا الإسرائيلي المعروف بابن الأشقر: ولد قبل سنة 820هـ/1418م: يعد من أشهر الأطباء اليهود في تلمسان، أين ذاع صيته بها كطبيب وأستاذ للطب فعرف بالطبيب العالم الرئيس[2]، وهو من مالقة من أعمال الأندلس، وأخذ عنه الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل الطب سنة 869هـ/1464م، وامتدحه فقال :"لم اسمع بذمي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم"، وبالإضافة إلى كونه طبيبا كان عالما بالميقات وعلوم أخرى، وكان ملازما للسلطان محمد بن أبي ثابت[3].

ومن أطباء مدينة وهران الذين أورد له ابن بشكوال ترجمة له، وهو أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني، حيث رحل إلى الأندلس كتاجر سنة 429هـ/1037م، وقد عاش ثمانين عاما وهو من أعلام مدينة وهران، وقد لمع اسمه في فترة حكم المرابطين[4]، الذي اشتهر بتضلعه في علوم الطب والرياضيات[5].

1- **الهيلولة** : وهي مناسبة يحتفل بها بالأولياء وأصحاب الكرامات أشهرها هيلولة الرابي شمعون باريوشع، وهو من أشهر القبالين يحتفل به كل بلاد المغرب الإسلامي في 18 أيار، وينتقل اليهود إلى مدافن الأولياء كمدينة تلمسان، كانوا يصبون صلاتهم، ويقرأون ما جاء في التوراة ويشعلون الشموع، ويسهر الحاخامات طول الليل يقرؤون وينشدون. ينظر: المرجع نفسه، ص146.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 249.

3- سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، الجزء 1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص 46.

4- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص ص 26-27.

5- ابن بشكوال، المصدر السابق، مج1، ص 318.

المطلب الثالث: مشاهير الأطباء في قسنطينة:

ومن أطباء قسنطينة أذكر:

حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ القسنطيني (تـ750هـ/1349م):

ولد بمدينة قسنطينة سنة 694هـ/1294م، وتعلّم بها ثم انتقل إلى بجاية، وكان أديبا مرموقا رحل إلى المشرق مرتين، وألف كتابا سماه " المسائل المسطرة في النوازل الفقهية" وله كتاب آخر يدعى "المسنون في أحكام الطاعون"[1].

تحدّث حسن بن علي بن القنفذ في ثنايا هذا الكتاب، عن مرض الطاعون وأحكامه الشرعية، والأحاديث الواردة عنه، وعن سبب تأليفه قال ابنه ابن القنفذ أن سبب تألفه، هو اختلاف طلبته في مسألة الفرار ممن أصيب بهذا المرض[2].

أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفذ الشهير بابن القنفذ (تـ810هـ/1407م):

وهو الإمام الحافظ القاضي المحدث كما ذكره التنبكتي، ولد سنة 740هـ/1339م، أصله من قسنطينة، أخذ العلم عن جملة من علماء بلده أمثال الإمام أبي عبد الله التلمساني وأبي عمران موسى العبدروسي والخطيب ابن مرزوق الجد وغيرهم كثر[3]، ثم قام برحلة علمية إلى المغرب الأقصى؛ فحصل علوما كثيرة وزار أضرحة الصالحين بها[4]، ثم عاد أدراجه إلى قسنطينة بعد عام، ولابن القنفذ العديد من المؤلفات في مختلف فنون العلم، وقد قدّر عددها بحوالي 27 تأليفا في كل من التوحيد والفقه والفلك والطب وغيرها، ومن مؤلفاته نذكر: "أنس الفقير وعز الحقير"، "شرف الطالب في أسنى المطالب

1- ابن قنفذ، الوفيات، ص 7.

2- المصدر نفسه، ص 355.

3- التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 109-110.

4- ابن قنفذ، الوفيات، ص10.

الوفيات" و"أنس الحبيب عند عجز الطبيب" وأرجوزة في الأغذية والأشربة وغيرها من التآليف الأخرى[1].

وما يمكن استخلاصه أن المغرب الأوسط، ساهم في تطوير الحركة الطبية ببلاد المغرب الإسلامي، والإشعاع الحضاري والتطور الفكري والثقافي، الذي شهده المغرب الأوسط طول الفترة الوسيطية، كان بفضل جهود كوكبة من الأطباء والصيادلة، الذين بذلوا قصار جهدهم في خدمة الناس.

1- ابن قنفذ، الوفيات، ص ص12- 14.

اعتنى سكان المغرب الإسلامي بصفة عامة بعلم الطب عناية كبيرة، واستطاعوا أن يكشفوا الكثير من النظريات العلمية، وأن يؤلفوا مؤلفات طبية، كان لها أثر كبير على الحضارة العربية وحتى الأجنبية؛ فقد اهتم الغربيون بترجمة العديد من المؤلفات العربية إلى اللاتينية للنهل مما توصل إليه المسلمون من معرفة في ميدان الطب والصيدلة.

وقد نال المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، حظه من النهضة العلمية التي كان يعيشها المغرب الإسلامي، فبرز العديد من الأطباء، الذين برعوا في مجال صناعة الطب، في مختلف حواضره العلمية طيلة الحقبة الوسيطية، وكان للخلفاء والأمراء المغرب الأوسط، دور فعّال في مواكبة التطور الحاصل أنذلك، وذلك من خلال تشجيعهم وإكرامهم للأطباء، وإنشاءهم للبيمارستانات ودور العلاج، والاهتمام بالرعاية الصحية للرعية.

كما كان للمتصوفة دور مهم في مجال الرعاية الصحية، وممارسة الطبابة ومساعدة المرضى بطرقهم الخاصة، دون إغفال لمساهمة الطب الشعبي القائم على ما تزخر به الطبيعة من أعشاب طبية، التي ساهمت هي الأخرى في معالجة جملة من الأمراض، ونجد الكثير من علماء المغرب الأوسط، قد عزّزوا رصيدهم ومعارفهم الشرعية والفقهية، بالعلوم الطبيعية الطبية منها والصيدلانية، فخلقوا ذلك التوازن بين المادة والروح، وهذه الفئة أطلق عليها مصطلح فقهاء البدن.

وقد واكب تطور العلوم الطبية والصيدلانية التنظيم المراقبة المستمرة القائمة على نظام الحسبة والمحتسب، حيث أوجبت أحكامه على الأطباء، التقيد بالقوانين، التي تحفظ هذه المهنة النبيلة من عبث العابثين وغش الدجالين والمشعوذين.

ورغم قلة المعلومات إلا أنه لا يمكن إنكار، وجود ثلة من العلماء والأطباء والصيادلة بالمغرب الأوسط، حملوا مشعل العلم والمعرفة، وساهموا بقسط وفير في بناء سرح حضارة المغرب الإسلامي، بعلمهم ومؤلفاتهم العلمية، التي لازال التاريخ يذكرها، ولا زالت المكتبات ودور المخطوطات تزخر بها، والتي تحتاج إلى تحقيقها ونشرها للاستفادة منها وإخراجها إلى النور.

خاتمة

ختاما لهذا العمل أود أن أشير إلى أنني حاولت من خلال دراسة موضوع الأمراض في المغرب الأوسط وآفاق المعرفة الطبية خلال العصر الوسيط، فكون هذه الدراسة تندرج في خانة التاريخ الاجتماعي، حاولت الانفتاح على بعض العلوم المساعدة لعلم التاريخ مثل علم الاجتماع، وذلك بهدف فهم ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، في تعاملهم مع الأمراض، وكيف فسّرها بعد أن عجز العلم عن درئها، وكيف تمثلت ممارساته الطبية وطرق العلاج.

وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

كانت الأمراض من أخطر الأزمات التي هددت حياة سكان المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط وقد تنوعت الأمراض حسب العوامل والأسباب والتي أرجعها العلماء والمؤرخون إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية، كما لم يخرج سكان المغرب الأوسط عن العرف السائد حول الأسباب الخفية لبعض العلل وإعطائها تصور ميتافيزيقي.

وتبين من خلال التحليل أن المرض لم يكن مجرد تحول فزيولوجي طرأ على سكان المغرب الأوسط، بل كان ضمن منظومة دينية وثقافية، انعكست أثاره على الممارسات الطبية والعلاجية، والوقائية، وتجسدت كواقع فقهي في المسائل والنوازل الفقهية.

وقد يجد الباحث نفسه إزاء مجموعة من المسائل الشائكة حول الإطار الزماني والامتداد الجغرافي لهذا الإقليم، كونه كان محط صراعات وتوسعات سياسية، من قبل الدول المجاورة، بحكم توسطه المغربين الأدنى والأقصى، وهذا لم يكن عائقا كبيرا بقدر ما كان حافزا لإزالة الغموض، من خلال جمع النصوص المبعثرة في أمهات المصادر وتنسيقها واستنطاقها، وصياغتها من أجل وضع الأطر الزمكانية للمغرب الأوسط، والتي مكنتني من التطرق لموضوع الدراسة، المتمثل في الأمراض في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط وآفاق المعرفة الطبية.

كما توصلت إلى نتيجة مفادها أن أزمة الأمراض خلّفت سلسلة من التحولات الكبرى، والانعطافات الحاسمة في مسار تاريخ المغرب الأوسط، لذلك لم يكن من المستطاع إسقاطها من ذاكرة التاريخ؛ لما خلفته من آثار وانعكاسات، سلبية وأخرى إيجابية، فأما السلبية فقد تجلت في التجاء

بعض السكان إلى التداوي بالمحرمات كتعليق التمائم وحمل الحروز وممارسة السحر والشعوذة، والاعتقاد بالأولياء والمتصوفة وكرماتهم، وأما النتائج إيجابية، فتمثلت في دور السلطة الحاكمة وبناء البيمارستانات ووجود كوكبة من العلماء والأطباء الذين أسهموا في الإنتاج العلمي والمعرفي، والذي تجلى في مؤلفات طبية وصيدلية ومدونات فقهية عالجت موضوع الأمراض، سواء كانت الأطباء من المغرب الأوسط أو الوافدين عليه.

وما يمكن التعويل عليه هو أن المغرب الأوسط عرف نهضة فكرية وعلمية خلال العصر الوسيط، انعكست أثر هذه النهضة على عدة ميادين، وقد كان لطب نصيب منها، وقد ساهم تعلم الطب وتعليمه، في الرقي بالمنظومة الصحية، والممارسة الطبية من خلال البيمارستانات والصيدلة، وتنظيم عملهما، كما بروز كوكبة من الأطباء الأجلاء على سبيل الذكر: إبراهيم الثغري، وأبو جعفر القلعي، وغيرهم، وتركهم مصنفات طبية وأراجيز مثل: أرجوزة ابن قنفذ (ت781هـ/1408م)

وعلى هذا الأساس فإن الدراسة أجابت عن الإشكالية المطروحة بإثبات أن المعرفة الطبية في المغرب الأوسط اتسمت بقدر واضح من النضج والتنوع، رغم محدودية الوسائل والتقنيات، ورغم شح المادة العلمية. لولا الانشغال بالحروب والحصارات وأعمال التخريبات التي طالت العمران كإحراق مكتبة المعصومة وأمهات الكتب التي كانت تزخر بها، لربما كانت هناك آفاق طبية واعدة في حواضر المغرب الأوسط.

وعليه يمكن القول أن حواضر بلاد المغرب الأوسط نالت حظوة كبرى بين مثيلاتها، في مختلف أرجاء المعمورة، وقد صارت كل من تلمسان وبجاية وقسنطينة من كبريات حواضر الإشعاع الفكري والعلمي عبر مختلف العهود، وهو ما أبرزته الصّلات والروابط الثقافية بينهما وبين سائر مراكز الحضارة في مدن المغرب الإسلامي وبلاد المشرق والأندلس، وتواصل نشاط الرحلات العلمية للعلماء بما فيهم الأطباء والعشابين والصيادلة، فشُدّت الرحال نحو حواضره وزاد الإقبال على تلمسان وبجاية للتحصيل والتدريس في مختلف أصناف المعارف بما فيها الطب و الصيدلة، وازدهرت حركة التأليف فيهما فدونت المصنفات الطبية والصيدلانية والأراجيز الطبية، التي تنبؤ عن الزخم العلمي والمعرفي الذي طال بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

أما من حيث التوصيات التي أذيل بها هذا العمل فهي:

دعوة الباحثين والمتخصصين في ميدان تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي عموما، وتاريخ المغرب الأوسط بشكل خاص، إلى المزيد من البحث والتنقيب، حول الحلقات المفقودة لهذا الإقليم، وإماطة اللثام عن دور مختلف شرائحه الاجتماعية في بناء الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط.

ودفع الباحثين إلى تحقيق المخطوطات التي تحمل في طياتها الكثير من المعطيات والمعلومات؛ التي يمكنها إماطة اللثام عن بعض الأحداث التاريخية، كما أنها ستكون إضافة للرصيد التاريخي للمغرب الأوسط في عصره الوسيط، من خلال اقتراح مواضيع عن الطب والصيدلة كمشاريع بحثية وإقامة الملتقيات الوطنية والدولية، حول المخطوطات الطبية لعلماء المغرب الأوسط.

مقارنة التجربة الطبية في المغرب الأوسط بنظيراتها والأقاليم المجاورة بالمغربين الأدنى والأقصى في الأندلس، من خلال إجراء دراسات مقارنة من حيث طرق العلاج والمؤسسات الصحية والمؤلفات الطبية.

إنشاء قاعدة بيانات رقمية للمؤلفات الطبية، لأطباء وعلماء المغرب الأوسط، لتسهيل البحث الأكاديمي وربط التاريخ بالطب والتقنيات الرقمية الحديثة لتسهيل دراسة المخطوطات الطبية وتحقيقها.

ملاحق

الملحق رقم(01):

جدول يمثل النباتات الطبية بالمغرب الأوسط وما جاورها من أقاليم المغرب الإسلامي، وخصائصها العلاجية والأمراض التي عالجتها.

النباتات الطية	خصائصها ومميزاتها	الأمراض التي تعالجها	أماكن تواجدها	المصدر أو المرجع
شرس	يعرف أيضا بشوكة مغيلة	-مفيد في إدرار البول وتفتيت الحصى -مسكن لآلام الأسنان	المغرب الأوسط المغيلة	يوسف جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص 50.
طيان	هو الياسمين البري، ويدعى بالبربرية أيزيزو		المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص 50
بهار	يعرف بالأقحوان الأصفر ويعرف أيضا بالبربرية املال	-يستعمل للأورام الصلبة	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص 50.
اآمليلس	يعرف أيضا بصفيرا	-يقوي الكبد والطحال	يوجد بالمغرب الإسلامي ككل	جودت، المرجع السابق، ص 50.
تانقيت	نوع من النبات الشوكي	-ينفع لعلاج بعض الأمراض	بإفريقية وما ولاها	جودت، المرجع السابق، ص 50.
تاكوت	-وهو اسم للفربيون -بالبربرية بالمغرب الأوسط، ويطلق على حب الآثل ، بالفارسية كازمازك	-ينفع فب علاج وجع عرق النسا -ينفع في عضة الكلب –يعالج القولونج - ينفع لأمراض الكبد - يعالج أوجاع الأسنان.	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص 50- ص 52. عادل بديرة، المرجع السابق، ص 127.
سطرونيون	يعرف في المغرب الأقصى والمغرب الأوسط بالتاغيفيت واللوزن وتاغيغشت.		-المغرب الأوسط -المغرب الأقصى	جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 50.
خمالاون مالس	يعرف عند البربر بالوحيد	يستعمل في قتل الحيوانات المفترسة كالسباع	بالمغرب الإسلامي	جودت، المرجع السابق، ص 50.

النباتات الطبية	خصائصها ومميزاتها	الأمراض التي تعالجها	أماكن تواجدها	المصدر أو المرجع
			وبلاد البربر	
الذراريح	يعررف بالبربرية بأغلال	-ينفع في علاج عضة الكلب	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص51.
ذافنوبداس	-يعرف بالبربرية أدرار	-يهيج القيء -مدر للطمث ومسهل	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص51.
سبع الكتان	يعرف بالكشوت أو كشوث	يعالج كيس المرارة ومقوٍّ للكبد ونافع لانسداد الكبد والكليتين، ونافع من الحُمَّيات وخاصة حُمَّى الصبيان	المغرب الأوسط	-الغساني، المصدر السابق، ص 147.
جوز مائل	-يعرف بشجرة المرقد	-يستعمل كمخدر -مسكر	المغرب والأندلس	جودت، المرجع السابق، ص 51.
عكنة	تعرف باللعبة باللغة البربرية		بجبال المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص 51.
عنب الثعلب	يعرف بحب اللهو وبعنب الذئب ببلاد المغرب الأقصى، ويعرف أيضا بالكاكنج	-يستعمل لعلاج الصداع -يعالج التهاب المعدة - نافع من نفث الدّم واليرقان كما يعدّ دواء مدر للبول نافع من أمراض الكبد والمثانة	بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط	-الغساني، المصدر السابق، ص140-204. جودت، المرجع السابق، ص 5. ابن حمدوش، المرجع السابق، ص 294.
عروق الصباغين	-هي عروق الصفر والكركم وتعرف بقلة الخطاطيف وماميران أو ميمران	- نافع من اليرقان إذا شرب منه مقدار، ومسكن لوجع الأسنان إذا مضغ، ومفيد للمعدة والأمعاء ويعمل كمضاد لتشنج	المغرب الأوسط	-الغساني، المصدر السابق، ص150. - جودت، المرجع السابق، ص 51. -وديع جبر، معجم النباتات الطبية، ط1، دار الجيل، بيروت، 1987م، ص 271.
سندريطس	يعرف بعشبة بلاء	-يدمل الجروح	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق،

النباتات الطبية	خصائصها ومميزاتها	الأمراض التي تعالجها	أماكن تواجدها	المصدر أو المرجع
			والأقصى	ص 51.
بان		-يعالج البرش والنمش الكائن بالوجه -ينفع في علاج الجرب والحكة	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص 51.
حب الزلم	-يعرف بحب العزيز، وهو حب مفرطح، أكبر من الحمص قليلا	- يساعد على زيادة الوزن ويذهب الكنف من الوجه كما يعالج السعال وأمراض الكبد	المغرب الأوسط والأندلس	محسن عقيل، المصدر السابق، ص ص 133-134. جودت، المرجع السابق، ص 51.
الفربيون	يعرف بالتاكوت [تَكاوْت] وهو عبارة عن صمغ	يستعمل ككحل للعينين نافع من عرق النسا والفالج ووجع الوركين وبرد الكلى ومن داء الثعلب إذا خلط ببعض الأدهان	المغرب الأوسط	الغساني، المصدر السابق، ص ص 223-224. جودت، المرجع السابق، ص 51.
طباق	-يعرف بالبربرية بالترهلان أو الترهات	-يستعمل كضاد للكسور -ينفع في علاج الكبد	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص 51.
جوذر	-شجرة صغيرة مشوكة، ثمرها أغبر مدور		ببلاد البربر عامة	
شيطرج	يسمى بالعصاب بالبربرية، وجوز الراعي ينبت كثيرا على القبور والحيطان العتيقة.	نافع من البهاق الأبيض والبرص مسكن للمغص والقيء ومدر للبول وإذا حرق بزره وضمد به على البواسير الناتئة قلعها، إذا جلست عليه النساء نفع من وجع الأرحام	المغرب الأوسط	-الغساني، المصدر السابق، ص ص339-340. جودت، المرجع السابق، ص 51.
الشيح	-نبات دقيق الثمر، مرّ الطعم	-يستعمل لقتل الديدان، وخاصة ديدان البطن يسكن الأورام والدماميل، مدرّ للبول والطمث، نافع لحب القرع	المغرب الأوسط	الغساني، المصدر السابق، ص 339. جودت، المرجع السابق، ص 52.
الشيلم	يشبه نبات الزّرع وله ورق مائل إلى اللون الأبيض ينبت مع الزرع ويعرف بالزّوان	يطحن ويخبز ويقتات من الناس نافع من البهاق إذا مزج مع الكبريت يحلل الأورام والخنازير	المغرب الإسلامي ككل	الغساني، المصدر السابق، ص 140. -سمير إسماعيل الحلو،

النباتات الطبية	خصائصها ومميزاتها	الأمراض التي تعالجها	أماكن تواجدها	المصدر أو المرجع
	ويعرف بجاودار أو جويدار شالم وسلت	يساعد على الحمل إذا بُخّر به مع الصعتر ونافع من عرق النسا		المرجع السابق، ص 89.
سرغنت	-يعرف ببخور البربر، أو سرغندأو اسرغنت	ينفع لزكام – مدرّ للبول يُطيب رائحة العرق	بلاد البربر عامة	- أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص ص 289-290. جودت، المرجع السابق، ص 52.
عاقر قرحا	يعرف بالبربرية بتاغندست وبتَكْنْطِسْتْ	-يسكن وجع الأسنان إذا طبخ ونافع من استرخاء اللّسان وهو نافع لاسترخاء العصب المزمن، وإذا دقّ وشرب مع العسل، نفع من الصّرع. نافع لأمراض المفاصل يستعمل كمسمن	يكثر بقسنطينة	-أبو القاسم محمد بن إبراهيم الغساني الوزير، المصدر السابق، ص202. -جودت، المرجع السابق، ص 52. -السقطي، المصدر السابق، ص 51.
سفندوليون	يعرف أيضا بالكلخ، والكلخ دلبي، وتافيفرا بالبربرية	-ينفع في أوجاع الكبد -يعالج اليرقان والربو وضيق النفس -ينفع في الصداع -ينفع في علاج البواسير	المغرب الأوسط	محسن عقيل، المرجع السابق، ص 292 جودت، المرجع السابق، ص 52.
آاطربلال	اطيريلال أو آطِرِيلال اسم بربري يعني رجل الطائر، ويعرف بمصر برجل الغراب	لعلاج الأمراض الجلدية نافع للإسهال ووجع المفاصل	المغرب الأوسط ببجاية	-ابن النفيس، المصدر السابق، ج1، ص 69. -ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ج1، ص 41. -جودت، المرجع السابق، ص 52.
جوز الريح		-ينفع للمعدة	صحاري بلاد البربر	جودت، المرجع السابق، ص 52.

النباتات الطبية	خصائصها ومميزاتها	الأمراض التي تعالجها	أماكن تواجدها	المصدر أو المرجع
تاسممت	يعرف بالبربرية بالحماض	-ينفع في علاج الأورام –مفيد لقرحة المعدة -مفيد للغثيان	المغرب الأوسط	جودت، المرجع السابق، ص 52.
مورقا	يعرف باسمامن		ينبت ببلاد البربر	جودت، المرجع السابق، ص 52.
ارجنقنة	-يسمى الارجيقن	علاج اليرقان	-ينبت ببجاية وأحوازها وكذلك بسطيف	جودت، المرجع السابق، ص 52.
النبق	هو ثمر السدر	نافع من الإسهال، دابغ للمعدة وورق السدرة يمنع تساقط الشعر ويلين الأورام الحارة ويحللها	في بلاد المغرب الإسلامي ومتواجد بالمغرب الأوسط	– أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص 187.
تامساروت	-يدعى بالمو، أو كمون الجبل		ببجاية	جودت، المرجع السابق، ص 52.
القنطريون	يعرف بمرارة الحنش،	يستعمل لفتح الشهية، وطارد للغازات، طارد للديدان ولعلاج بعض الأمراض الجلدية، ونافع لعلاج الحروق	المغرب الأوسط	محسين عقيل، المصدر السابق، ص 437.
طَرْخون	وهو نبات يشبه الكرفس ينبت في الأماكن الرّطبة ويعرف عن العامة في فاس وتلمسان والجزائر بالمعدنوس	وكان يستعمل لعلاج وجع الحلق والأورام العارضة فيه، كما يطيب رائحة الفم	وتلمسان والجزائر	أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص ص 130-131.
طرفة	الطرفاء وتعرف أيضا بالأثْل وبعبل، تماريكس	نافعة من أمراض الكبد والطحال وأوجاع الأسنان	المغرب الأوسط ومصر وبلاد الشام	-ابن النفيس، المصدر السابق، ص ص168-170
الكمأة	يسما بنت الرعد وترفاس ويعرف بالعربية الفصحى بنبات أوْبر وهو نبات شكله كالكرة وهو لا أوراق ولا ساق ولا زهر له، وهو أنواع كثيرة	قيل إنّ ماءها يقوي البصر	المغرب الإسلامي ككل ويوجد منه بالمغرب	سمير إسماعيل الحلو، المرجع السابق، ص 97. أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص 144.

النباتات الطية	خصائصها ومميزاتها	الأمراض التي تعالجها	أماكن تواجدها	المصدر أو المرجع
	منها الطّراثيث والفُطُر		الأوسط	
عرق السوس	يعرف كذلك بالسوس	وهو نافع من السعال وملين للحلق والصدر والقصبات الهوائية ومسكن للعطش، كما ينفع من الدّاحس إذا سحق وطبخ واستخدم كضمادات، كما يستعمل لإذهاب الظفرة التي تظهر بالعينين، كما ينفع من حرفة البول والتهاب المعدة وإذا شرب من مقدار معين أزال خشونة الحنجرة	ينبت بأرض مصر ونواحي طرابلس وبجاية وبالأندلس	أبو القاسم الوزير، المصدر السابق، ص 272-273.
الأترج	وهو شجرة شائكة لها أوراق أصغر من أوراق لجوز، اسمه بالعربية الفصحة المتك وباليونانية ميريقاميلا أو التفاح الميدى ويعرف بالمشرق بالتفاح الماهى	يستعمل كعلاج للبرص إذا أحرق، ووضع كالطلاء على الموضع نفع المريض من برصه -ورائحة الأُترج تنفع من الوباء واذا اكتحل بالحمض الموجود فيه، فإنه يجل لبصر ويقويه، ويزيل الصفرة من العينين الناجمة من اليرقان.	المغرب الإسلامي	أبو القاسم الوزير، المصدر السابق ص 20. -ابن النفيس، المصدر السابق، ص ص 143-151.
شجر الطلح	وهي شجرة كبيرة شائكة لها أوراق كالعرعار	استعمل أطباء افريقيا الخشب البنفسجي من شجرة الطلح لعلاج الداء الإفرنجي	توجد في قفار نوميديا وليبيا، وكذلك ببلاد السودان	حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص283.

الملحق:(01)

صور من مخطوط أرجوزة نادرة في الأغذية ابن قنفذ القسنطيني[1]

1- ابن قنفذ، أرجوزة نادرة في الأغذية والأشربة، رقم المخطوط:179 مأخوذة من موقع: www.fondation.org.ma، تاريخ الدخول: 2025/6/8على الساعة 13:54.

الملحق(03):

الحمامات العربية [1]

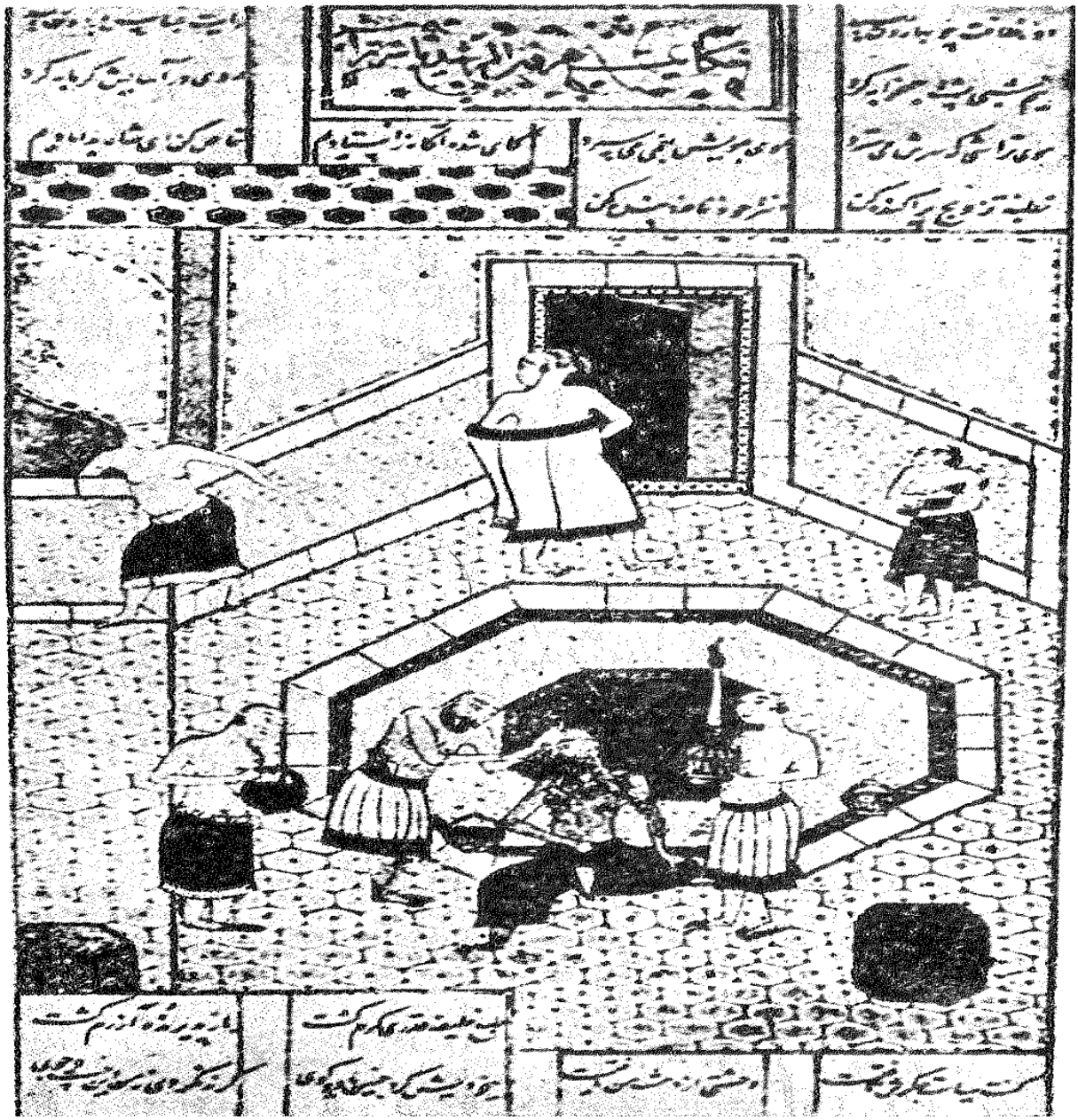

1- زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص 565.

الملحق رقم(04):

مخطط الأساليب الوقائية لحفظ الصحة[1].

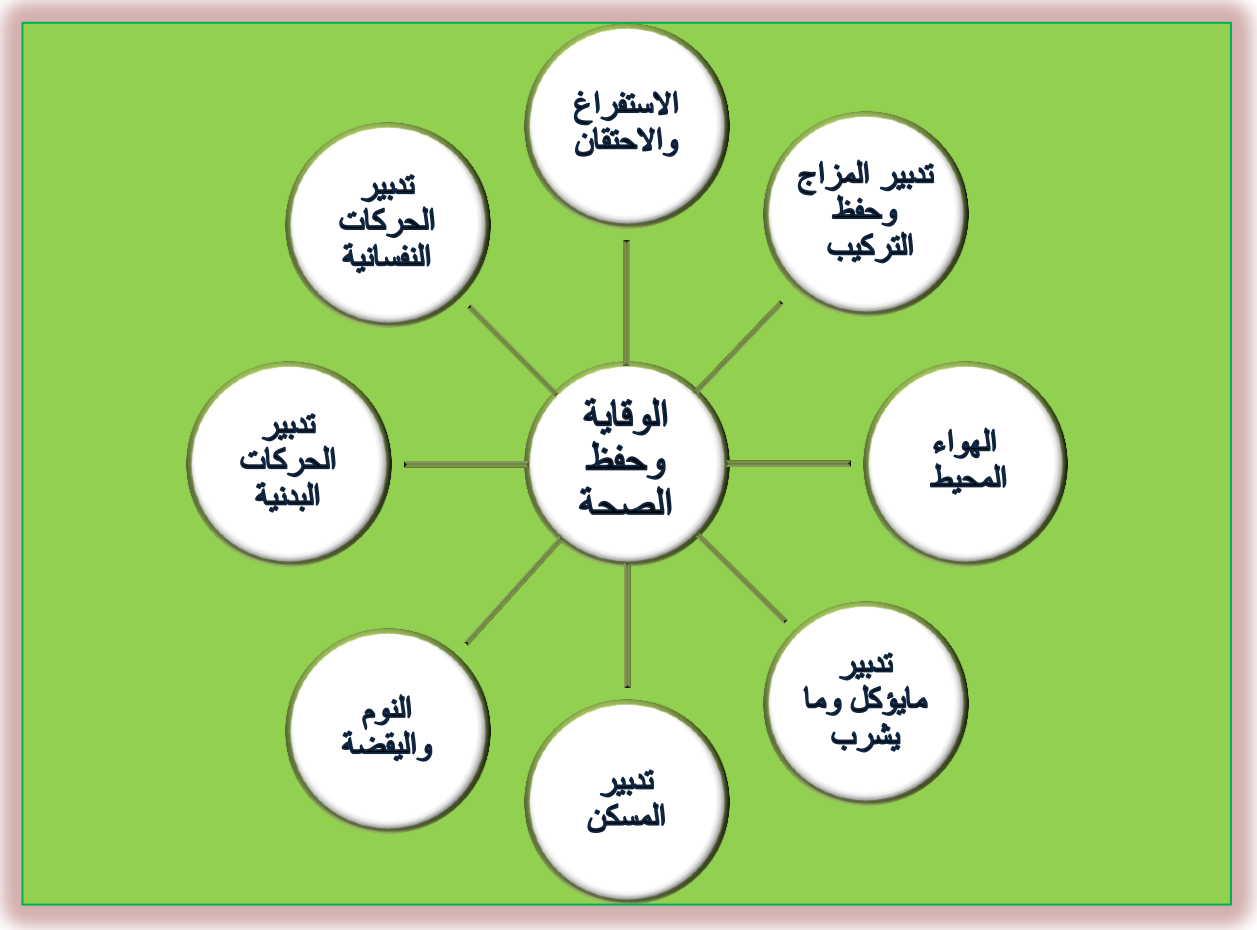

1- مخطط توضيحي من إنجاز الطالبة.

الملحق(05):

نموذج للصيدلة العربية الإسلامية[1]

1- زيغريد هونكه ، المرجع السابق، ص 574.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

أولا: المصادر المخطوطة:

1.ابن البيطار عبد الله بن أحمد(646هـ / 1248م)، المغني في الأدوية المفردة، المجلد الأول، المملكة البريطانية، مخطوطات شرقية، في السجل :2408OR تاريخ جمادى الأولى 851هـ.

2.ابن قنفذ أحمد بن حسن علي القسنطيني، أرجوزة في الأغذية والأشربة، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، رقم المخطوط: 179.

3.أبو علي يحي بن عيسى (ت93هـ/711م)، مخطوط تقويم الأبدان بمداواة الأمراض المجتمعة في ثلاثة أجناس متشابهة وأليه وانفصال الاتصال وأسباب كل مرض وعلامته وتدبير ما يكثر فيه من الأمزجة والأسنان والأزمنة والبلدان.

4. مجوسي علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، المملكة البريطانية، مخطوطات شرقية، المرجعAdd MS 23420.

5.العبادي حنين بن اسحق ، المسائل في الطب للمتعلمين، المكتبة البريطانية: مخطوطات شرقية، المرجع: Or 5725. http://www.qdl.qa/ العربية/archive/81055/vdc_100022931487.0x000001 .

ثانيا: المصادر المحققة:

1) ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الطبعة 2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م.

2) ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجي المعروف، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ودراسة: عامر النجار، الجزء1، الطبعة 1، دار المعارف، 1992م.

3) ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة1، المطبعة الدولية التونسية، تونس، 1986م.

4) ابن الأثير عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987م.

5) ابن الأحمر إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط،1969م.

6) ابن بشكوال أبو القاسم خلف الأنصاري الخزرجي بن عبد الملك، الصلة، الطبعة 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008م.

7) ابن جلجل أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، 1985م.

8) ابن حوقل أبو القاسم، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1872م.

9) ـــــــــ، المسالك والممالك، دون طبعة، مطبع بريل، ليدن، 1876م.

10) ـــــــــ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996م .

11) ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زَكّار، ط4، دار الطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.

12) ـــــــــ، مقدمة، تحقيق: عبد الله الدرويش، الجزئين، الطبعة 1، دار البلخي، دمشق، 2004م.

13) ابن خلدون أبي زكرياء يحي بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزئيين، بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م.

14) ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج1، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م.

15) ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي ، الكليات في الطب، مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية، إشراف، محمد عابد الجابري، سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1999م.

16) ابن زهر أبو مروان عبد الملك، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: محمد بن عبد الله الروداني، د ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

17) ابن زهر أبو مروان عبد الملك، النشاط والقوة والشفاء في الأغذية، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

18) ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، الطبعة 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

19) ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تح، إسماعيل العربي، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

20) ابن سهل عيسى بن عبد الله الأسدي، الإعلام بنوازل الحكام ، تحقيق: نورة محمد التويجري، الطبعة 1، 1995م.

21) ابن سينا أبو علي الحسن بن علي ، دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية- الأرجوزة في الطب- كتاب الأدوية القلبية، دراسة وتحقيق: محمد زهير البابا، معهد التراث العلمي العربي، منشورات جامعة حلب، 1984م.

22) ابن سينا أبو علي الحسن بن علي، القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضنّاوي، الجزئيين، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م.

23) ابن صاحب الصلاة أبو محمد عبد الملك بن محمد، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.

24) ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي، رسالة في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، د ط، 1934م.

25) ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال، الأجزاء4، الطبعة3، بيروت لبنان، دار الثقافة، 1989م.

26) ابن عمران إسحاق، مقالة في الماليخوليا، تح: عاد العماري والراضي الجازي، بيت الحكمة، تونس، 2009م،

27) ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م.

28) ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق وتصحيح: محمد الفاسي وأدولف فور، د ط، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1965م.

29) ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة 4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983م.

30) ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، زاد المعاد في هدي خير *العباد*، المجلد4، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م.

31) ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، الطب النبوي، تق ومرا: عبد الغني الخارق، دار الفكر، بيروت، 1957م.

32) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان 2000م.

33) ابن ماجة أحمد بن أبي بكر ابن إسماعيل البوصري، شروح سنن ابن ماجة، تقديم وتعليق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، عمان، 2007م.

34) ابن ماجة، شروح سنن ابن ماجة، تع: رائد صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، عمان، 2007م.

35) ابن مرزوق محمد، المسند الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

36)

37) ابن البيطار ضياء الدين أبو محمد عبد الله، تنقيح الجامع مفردات الأدوية والأغذية، تحقيق وتقديم: محمد العربي الخطابي، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1990م.

38) ابن الثغري جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وتقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، الجزء 10، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.

39) ابن الجزار أبو جعفر أحمد، طب الفقراء والمساكين، تح: الراضي الجازي وفاروق عمر العسلي، طبعة خاصة، بيت الحكمة، تونس، 2009م.

40) ـــــــــ، طب المشائخ وحفظ صحتهم، تحقيق: عمر العسلي والراضي الجازي، ط1، مطبعة وفاء، تونس، 2009م.

41) ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب إعمال الأعلام ، تح وتع: أحمد مختار العيادي ومحمد إبراهيم الكتاني، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

42) ـــــــــ، الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1464هـ.

43) ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: السعدية فاغية، الطبعة 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1989م.

44) ـــــــــ، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تصحيح: البشير الفورتي، مطبعة التقدم، تونس، 1329هـ.

45) ابن الزيات التادلي أبي يوسف بن يحي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقق: أحمد التوفيق، الطبعة 2، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1997م.

46) ابن العشاب أبو الحسن سعيد بن هبة الله البغدادي، المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض، تح: محمد ياسر زكور، مراجعة: عمر الفاروق محمد غصن، ط1، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/2011م.

47) ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة 3، دار الكتاب المصري، 1410هـ/1989م.

48) ابن القطان أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

49) ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، الطبعة 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، 1410هـ/1989م.

50) ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، د ط، مطبعة الرحمانية، مصر، (د ت).

51) ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي حزم القرشي، الشامل في الصناعة الطبية (الأدوية والأغذية) كتاب الهمزة، تحقيق: يوسف زيدان ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000م.

52) ابن هندو أبو الفرج علي بن الحسين ، مفتاح الطب ومنهاج الطلاب، تح: مهدى محقق ومحمد تقى، طهران، إيران، 1368هـ.

53) ابن ودان، تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم ومحمد عزب، الطبعة 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.

54) ابن الوردي زين الدين عمر بن مطهر، تاريخ ابن الوردي، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1996م.

55) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927م.

56) أبو بكر عبد الله محمد المالكي، رياض النفوس، الجزء 2، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، الطبعة 2، دار الغرب المالكي الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

57) أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنووط ومحمد كامل قروبللي، الجزء 6، طبعة خاصة، دار الرسالة العلمية، دمشق، 2009م.

58) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1982م.

59) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب، الجزء 1، تحقيق: إبراهيم طلّاي، مطبعة قسنطينة، الجزائر، 1974م.

60) أبو الفرج علي بن الحسن بن هندو، مفتاح الطب ومنهاج الطلاب، تح: مهدى محقق، محمد تقي دانش، مؤسسة مطالعات إسلامية، تهران 1368هـ.

61) أبو القاسم بن محمد إبراهيم الغساني الوزير، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تح: محمد العربي الخطابي، الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

62) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، نشر: الأب لويس شنجو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.

63) أبو المنى داود بن أبي النصر العطار، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان، الطبعة الأخيرة المنقحة، المطبعة اليوسفية، مصر ، د ت.

64) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي، الكليات في الطب، مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية، إشراف، محمد عابد الجابري، سلسلة التراث الفلسفي العربي، مؤلفات ابن رشد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1999م.

65) الإدريسي أبو عبد الله محمد، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية من خلال نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه ونشره، هنري بيرس، مكتبة معهد الدرس العليا الإسلامية، الجزائر، 1957م.

66) الإشبيلي ابن الخير ، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح: محمد العربي الخطابي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

67) الإصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ، موسوعة الطب النبوي، دراسة وتحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، طبعة1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2006م /1427هـ.

68) الأزرق إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر، تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة ، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا، 2011م.

69) الأسقف ربيع بن زيد، تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان، دراسة وتحقيق: عبد الباسط عميدي، الطبعة1، مؤسسة GLD، تونس، 2021م.

70) الأنصاري أبو يحي زكريا، خزانة العلوم في تصنيف الفنون الإسلامية ومصادرها، شرح رسالة اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، شرح وتعليق: عبد الله نذير أحمد، د ط، دار البشائر الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، د ت.

71) الأنطاكي داود، تذكرة أولي الألباب والجامع المعجب والعجاب، الجزء 1، المغرب، 1008هـ.

72) ـــــــــ، خلاصة تذكرة داود في التداوي بالأعشاب والنبات، إعداد: سيد مبارك، المكتبة المحمودية، مصر، 2003م.

73) الباروني عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، الجزئيين، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، د ت.

74) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، الطبعة1، دمشق، بيروت، 2002م.

75) البكري أبو عبيد، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الجزئين، د ط ، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

76) البلدي أحمد بن محمد بن يحي، تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق: محمود الحاج قاسم محمد، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م

77) البوني أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف، شمس المعارف الكبرى، المكتبة الشعبية، بيروت لبنان.

78) البيدق أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي ابن تومرت، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق: جلول بدوي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

79) ــــــــــ، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، د ط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

80) التجيبي ابن رزين ، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تح وتق: محمد بن شقرون، إشراف: إحسان عباس،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

81) التجيبي ابن رزين، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، مؤسسة مطالعات تاريخ طب إسلامي، إيران.1388هـ.

82) التجيبي ابن عبدون ، رسالة في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، د ط، د ت.

83) الترميذي أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، الجزء 4، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة 2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1975م.

84) التنبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة 2، دار الكتاب ، طرابلس، ليبيا، 2000م.

85) ــــــــ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000م.

86) التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.

87) التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، الجزء2 ، الطبعة1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1991م.

88) الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الجزئين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

89) الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

90) الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، ج1.

91) الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الطب النبوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1999م.

92) الرازي أبو بكر محمد بن زكريا ، الحاوي في الطب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.

93) ــــــــ ، سر صناعة الطب، خالد حربي، د ط، دار الثقافة العلمية، الإسكندري، مصر.

94) ـــــــــ، أخـــلاق الطبيـــب ، تقـــديم وتحقيـــق: عبـــد اللطيـــف محمـــد العبـــد، الطبعة 1، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1397هـ/1977م.

95) الرّاشـــدي أحمـــد بـــن محمـــد بـــن علـــي بـــن ســـحنون ، الثغـــر الجمـــاني في ابتســـام ثغـــر وهـــران ، تحقيـــق: المهـــدي البوعبـــدلي واعتـــنى بـــه: عبـــد الـــرحمن دويـــب، ط1، عـــالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

96) الرقيق إسحاق إبراهيم بن القاسم، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان، عز دين عمر موسى، الطبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م،

97) الزركشـــي محمـــد بـــن إبـــراهيم اللؤلـــؤي، تـــاريخ الـــدولتين الموحديـــة والحفصـــية، الطبعة 1، بمطبعة تونس، 1872م.

98) الزهـــراوي أبـــو القاســـم خلـــف بـــن عبـــاس، التصـــريف لمـــن عجـــز عـــن التـــأليف، تح: قطب الدين أحمد، مطبعة النامي، 1908م.

99) الســـرمري يوســـف بـــن محمـــد، ذكـــر الوبـــاء والطاعون(تـــ776هـ)،كتـــاب فيـــه ذكـــر الوبـــاء والطـــاعون، تحقيـــق وتعليـــق: شـــوكت بـــن رفقـــي بـــن شـــوكت، ط1، الـــدار الأثرية، عمان، الأردن ، 2005م.

100) الســـقطي أبـــو عبـــد الله محمـــد بـــن أبي محمـــد، في آداب الحســـبة، تـــح: ليفـــي بروفنسال وكولان، المطبعة الدولية باريس، 1931م.

101) الشهرســـتاني محمـــد بـــن عبـــد الكـــريم بـــن أحمـــد أبـــو الفـــتح، الملـــل والنحـــل، تصـــحيح وتعليـــق: أحمـــد فهمـــي محمـــد، الجـــزء1، الطبعـــة2، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.

102) الشـــيرازي عبـــد الـــرحمن بـــن نصـــر، نهايـــة الرتبـــة في طلـــب الحســـبة، نشـــر، الســـيد الباز العرينى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1946م.

103) العبدري محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، د ط، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، 1428هـ،/2007م.

104) العسقلاني ابن حجر أحمد بن علي، بذل الماعون في فضل الطاعون، دار العاصمة، الرياض، د ت.

105) العقباني أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني ، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي ، المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، سوريا، 1967م.

106) الغبريني أبو العباس أحمد، الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، الطبعة 2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

107) الغساني أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم الوزير، حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق: محمد العربي الخطابي، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامين بيروت لبنان، 1985م.

108) القاضي النعمان، افتتاح الدّعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الطبعة 2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

109) القرشي محمد بن محمد بن أحمد، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمود شعبان، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1976م،

110) القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.

111) القلقشندي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء5، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992م.

112) المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبط وتعليق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الطبعة1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1368هـ / 1949م.

113) مسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، الطبعة 2، دار طيبة، الرياض، 2006م.

114) المقديسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة 2، مطبعة بريل، ليدن.

115) المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، الجزء 3، دار صادرن بيروت، لبنان، د ت.

116) المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي عبد القادر العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997م.

117) المواق محمد، ومحمد الرصاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ/1481م)، تحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، 2009م.

118) موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان، واسطة السلوك في سياسة الملوك، د ط، مطبعة الدولة التونسية، 1279هـ-1880م.

119) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، د ط، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، 1985م.

120) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، الطبعة1، دار أبي الرقراق، الرباط، 2005م.

121) الناصري أبو راس الجزائري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: بوركبة محمد، ج2، د ط، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م،

122) النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة 1، مكتبة المعارف، الرياض، د ت.

123) النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء ج1، تح: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004م.

124) الواقدي أبو محمد عبد الله بن عمر، فتوح إفريقية، نشر: عبد الرحمان الصّنادلي، الطبعة1، دار الكتب الوطنية، تونس، 1315.

125) الوزان الحسن بن محمد ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، الجزئيين، الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

126) الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1401هـ، 1981م.

127) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين ضناوي، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1422هـ/2002م.

ج–المعاجم و القواميس:

1– المصادر:

1)ابن زكرياء أحمد بن فارس أبو الحسن، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، مصر، 1979م.

2)ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1999م.

3)الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الجزء3، د ط، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م

4)الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة 15، بيروت، لبنان، 2002م.

5)الصحاري أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي، معجم الماء أول معجم طبي لغوي في التاريخ، تحقيق: هادي حسن حمودي، الأجزاء 2 و3 و4، الطبعة 2، عمان، 1436هـ/2015م.

6)الفراهيدي الخليل ابن أحمد، العين، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي، الجزء 3، الطبعة 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

7)الفيروز الأبادي، القاموس الحيط، تحقيق وتعليق: آنس محمد وزكريا جابر، دار الحديث، القاهرة، 2008م.

2– المراجع:

1) البستاني بطرس، محيط المحيط، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.

2) جهامي جيرار، موسوعة مصطلحات ابن سينا، سلسلة موسوعات مصطلحات أعلام الفكر العربي والإسلامي، مكتبة لبنان، ط1، 2004م.

3) الداية فايز، معجم المصطلحات العلمية العربية للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1990م.

4) زناتي أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1، دار وهران، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011م.

5) صليبا د.لويس، موسوعة الأيورقيدا، الطب الهندي، دراسة علمية ودليل عملي للتداوي وحفظ العافية، د ط، مكتبة بيبليون، جبيل، لبنان، 2006م.

6) وارنغ فيليبا، معجم المعتقدات والخرافات، تر: رمضان مهلهل سد خان، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، د ت.

ثالثا: المراجع:

أ- المراجع العربية الأصلية:

1) ـــــــــــ، صحيح الجامع الصغير وزيادته(الفتح الكبير)، الطبعة 3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

2) إبراهيم بن حمد أبو حذيفة، نفح الطيب في أداب وأحكام الطبيب، ط1، دار الصحابة للتراث بطنطا، ، 1990م.

3) أبو بكر أميمة، هدى السعدي، النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية (ق7م-ق17م)، ط 2، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، مصر، 2004م.

4) أبو حذيفة إبراهيم بن حمد، نفح الطيب في أداب وأحكام الطبيب، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 1990م.

5) أبو زيدون وديع، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005م.

6) الألباني محمد نصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة مرتبة فقهيا، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

7) إمام محمد كمال الدين، أصول الحسبة في الإسلام دراسة أصولية مقارنة، ط1، دار الهداية، مصر، 1986م.

8) بابللي ضحى بنت محمود، الطب البديل، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2007م.

9) البابي إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج2، دت.

10) الباروني أبي الربيع سليمان، مختصر تاريخ الإباضية، مطبعة الإرادة، تونس، 1938م.

11) بحاز إبراهيم بكير محمد بن موسى بابا عمي، وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

12) بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، القرارة، نشر جمعية التراث، 1414هـ/1993م.

13) البزاز محمد أمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن والتاسع عشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992م.

14) بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي22-462هـ/642-1070م، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2001م.

15) بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006م.

16) بك أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي، دمشق، 1357هـ.

17) بكري العيد، الحواضر الصوفية بالمغرب الأوسط بين القرنين(5-6هـ/11-12م)، حاضرة بجاية وتلمسان أنموذجا، من كتاب التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغارب، إشراف وتنسيق: عبد الباسط شرقي، ط 1، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2018م.

18) بلاح بشير، التدافعات الثقافية في الاسطوغرافيا الجزائرية 1998-1962 جذورها والعوامل المؤثرة فيها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2017م،

19) بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج2، مطبعة دار هومه، 2005م.

20) بلغيث محمد الأمين ، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، ط1، أنتير سينيي ، الجزائر، 1428هـ/ 2007م.

21) ـــــــ ، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، د ط، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 1428هـ-2007م.

22) بنحمادة سعيد، الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين 7و8هـ/ 13و14م، إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، 2007م.

23) بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م.

24) بوجرة حسين، الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير(1350-1800)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2011م.

25) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م،

26) بوركبة محمد، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية(160-296هـ/777-909م)، د ط، دار الكفاية، الجزائر، د ت.

27) بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/ 1977 .

28) بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامين بيروت- لبنان، 1995م.

29) بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر، د ت.

30) بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق ل14-15 ميلادي، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م.

31) بولقطيب الحسين، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

32) بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، د ط، البصائر الجديدة، الجزائر، 2019م.

33) البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6 – 8 هـ/ 18 هـ/ 12 – 14)، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، 2008م.

34) التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م.

35) تيتاو حميد، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212- 1465م، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب، 2009م.

36) الثابت وفاق، المجتمع بإفريقية من القرن 3هـ/9م إلى منتصف القرن5هـ/11م، ط1، تونس، 2022م.

37) الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أحسن ما سمعت، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

38) الثعالبي عبد العزيز ، تاريخ شمال إفريقيا، من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق: أحمد بن ميلاد، محمد ادريس، تق: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1987م.

39) جبار أحمد، العلوم العربية في عصرها الذهبي، تر: محمد نعيم، ط1، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2021م.

40) جبرة صابر، تاريخ الصيدلة، د ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2020م.

41) الجرماني براكلسوس، طب الكيمياء والأعشاب، تح: خليل باز، ط1، دار الندى ، بيروت، لبنان، 2003م.

42) جغلول عبد القادر، مقدّمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تر: فضيلة الحكيم، ط2، دار الحداثة، بيروت-لبنان، 1988م.

43) الجوادي محمد، أفاق الطب الإسلامي رؤية علمية وتاريخ فلسفي. دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2015م.

44) الجوادي محمد، أفاق الطب الإسلامي رؤية علمية وتاريخ فلسفي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2015م.

45) الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط2، دار مكتبة الحياة،138 4هـ/1965م.

46) حربي خالد، تاريخ الطب الإسلامي بنية العلم الحديث، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية-مصر، 2015م.

47) الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب والأندلس في العهد المريني (610هـ/1213م)-(869هـ1465م)، ط2، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م.

48) حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.

49) حسن حافظي علوي، الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، كلية الآداب العلوم الإنسانية الرباط، 2011م

50) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

51) حسن محمد، الجذور التاريخية لبلاد المغرب جدلية السلطة والمجتمع والمجال (خلال القرنين الأول والثاني الهجري/ السابع والثامن الميلادي)، ط1، مجمع الأطرش، تونس، 2022م.

52) حسن محمد، ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، بيت الحكمة، تونس، 2013م.

53) الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر ، 1906م.

54) حمدي عبد المنعم محمد حسن، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997م.

55) خضيري حسن أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب(362-567هـ/973-1171م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة.

56) خياطي مصطفى ، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، ط1، المؤسسة الوطنية، 2013م.

57) خياطي مصطفى، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، د ط، منشورات ANEP ، د ت.

58) دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج3، د ط، مؤسسة تاوالت الثقافية للطباعة، طرابلس، ليبيا، 2010م.

59) دحمور منصور بختي ، ظاهرة الولاية وتأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، ط1، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، 2017م.

60) دحمور منصور بختي ، ظاهرة الولاية وتأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)، ط1، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، 2017م.

61) الدراجي بوزيان ، دولة الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

62) الدراجي بوزيان، دولة الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

63) رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت لبنان د ت.

64) زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: أحمد ابن سودة، ج2، ط1، دار الأمير، بيروت، 1415هـ/1995م.

65) زغلول سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، من الفتح إلى بداية الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، ج1، د ط، منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993م.

66) زناتي أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، ط1، دار زهران، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011م.

67) السرجاني راغب ، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، 2009م

68) السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، 2009م.

69) سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

70) سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، الجزء 1، الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.

71) السعداوي أحمد، الآفات والكوارث الطبيعية بالمغرب الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، سبتمبر 1982م.

72) سعيد محمد، مدخل إلى تاريخ الطفل والطفولة بإفريقية في العصر الوسيط مقارنة أنثروبولوجية، ط1، مجمع الأطرش للنشر والتوزيع، 2021م.

73) سنده عبد الله، الطب المجرب والتداوي بالأعشاب من الأمراض الشائعة، ط1، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1428هـ/2007م.

74) سوادى عبد محمد وصالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2004م.

75) شبانة محمد كمال، الدويلات الإسلامية في المغرب، دراسة تاريخية حضارية، ط1، دار العالم العربي، القاهرة،2007م.

76) شحادة عبد الكريم، صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي، د ط، أكاديميا لنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2005م.

77) ضيف شوقي، عصر الدول والإمارات الجزائر- المغرب الأقصى- موريتانيا- السودان، ط1، دار المعارف، القاهرة.

78) طالبي محمود، إشعاع الحضارة المغربية من كتاب تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن الثاني إلى القرن السادس عشر، مج، 4، المطبعة الكاثوليكية ش.م. ل، بيروت، لبنان، 1988م.

79) عاصي حسن، تاريخ العلوم عند العرب، ط1، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م.

80) العامري نللي سلامة، الولاية والمجتمع، مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط2، دار الفارابي، بيروت لبنان، 2006م.

81) العبادي أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس، د ط، دار النهضة العربية، بيروت ، د ت.

82) ـــــــــ، في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، 2006م.

83) عبد الرحيم محمد، الطب في الشعر العربي، ط1، دار راتب الجامعية، بيروت لبنان، 1419هـ/1999م.

84) عبد الرزاق محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرين، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.

85) عبد العزيز عبد الجليل، محمد عبد الواحد حجاني، مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، سلسلة عالم المعرفة، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت،1403هـ.

86) عبد الكريم يوسف جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط، دت.

87) عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

88) العبيدي علي بن سعيد، آثار رحمة الله في المرض والموت، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية –كلية التربية، جامعة الملك خالد- أبها، د ت.

89) العثيمين محمد بن صالح، عقيدة أهل السنة والجماعة، ط4، مكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، السعودية، 1422هـ.

90) العربي إسماعيل، المدن المغربية، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت.

91) العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م.

92) العلاوي أحمد بن مصطفى، المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ط2، المطبعة العلاوية ، مستغانم، 1989م.

93) علي المكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية دراسات نظرية وبحوث ميدانية، كتب عربية للنشر، مصر، 1991م.

94) عوض محمد مؤنس ، في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار العالم العربي، القاهر، مصر، 2010م.

95) عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، جمع وتنسيق، لغليطي حميد وسوسي جمال، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1991م.

96) العيد بكري، الحواضر الصوفية بالمغرب الأوسط بين القرنين (5-6هـ/11-12م) حاضرة بجاية وتلمسان أنموذجا، ط1، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2018م.

97) غالب أدوار، الموسوعة في علوم الطبيعة، تقديم: فؤاد إفرام البستاني، مج1، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1965م.

98) غساني عبد الكريم يوسف، زهير مصطفى يازجي، الفتوحات الإسلامية، ط1، دار النهار، الجزائر، 2013م.

99) فتحة محمد، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن6إلى 9هـ/ 12-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم، الدار البيضاء، المغرب، 1999م.

100) الفقي عصام الدين عبد الرؤف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، مصر، 1984م.

101) القلسي عبد الرزّاق، الاكتئاب والطب النفسي في الحضارة العربية الإسلامية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المملكة المغربية، 2015م.

102) قنواتي شحاته، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ط1، دار أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996م.

103) كاشفي محمد رضا، تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية، تع: أنور الرصالي، ط1، مركز المصطفى العالمي للدراسات والتحقيق، إيران، 1435م.

104) لطيف محمد العادل، الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، تق: محمد الطاهر المنصوري، ط1، زينب للنشر، سلسلة الوراق، تونس، 2019م.

105) لعرج عبد العزيز، علي حملاوي، عبد الكريم عزوق، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، د ت.

106) لقبال موسى، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

107) ـــــــ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة زبانة، الجزائر،1979م.

108) مجموعة من المؤلفين، المخطوطات العلمية المغاربية، أعمال معرض منظم في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، وزارة الثقافة، الجزائر 2011، .

109) محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، د ط، دار الغرب الإسلامين بيروت، لبنان، د ت.

110) محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6-9هـ/12-15م)، سلسلة الأطروحات والرسائل، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1999م.

111) المداني أحمد توفيق، تاريخ الجزائر، د ط، المطبعة العربية، د ت.

112) مزدور سمية، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط، ضمن كتاب مغرب أوسطيات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي، مكتبة إقراء، قسنطينة، 2013م.

113) مسعد مصطفى محمد، انتشار الإسلام في قارة إفريقية – في مصر والسودان وبلاد المغرب وشرقي إفريقية، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ2000م.

114) مطهري فطيمة، تاريخ وحضارة تيهرت الرستمية خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، ط1، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2017م.

115) المغراوي محمد، الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م.

116) الملا أحمد على، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ط2، دار الفكر، دمشق، 1981م.

117) ممدوح حسين وشاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثارها الحضاري 668-792هـ1270-1390م، ط1، دار عمار للنشر، 1419هـ-1998م.

118) المنوني محمد، حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، 1989م.

119) مؤنس حسن، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشاد، القاهرة، مصر، 1421هـ/2000م.

120) الميداني عبد الرحمن حبنكة، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، ط1، دار القلم، دمشق، 1998م.

121) الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ت.

122) الناصري أبو العباس أحمد خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب لأقصى، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.

123) نجمي عبد الله، التصوف والبدعة بالمغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 2000م.

124) نقولا زيادة، إفريقيات، دراسة في المغرب العربي والسودان الغربي، ط1، رياض الرين للكتب والنشر، لندن، 1991م.

125) نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

126) نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980م.

127) يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992م.

ب- المراجع الأجنبية المترجمة:

1) إدريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن10 إلى القرن12م، ترجمة: حمّادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.

2) برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى نهاية القرن15م، ترجمة: حمادي الساحلي، الجزء1 و2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1988م.

3) بل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1969م.

4) تيرنز هوارد ، العلوم عند المسلمين مقدمة مصورة، ترجمة: فتح الله الشيخ، مراجعة: أحمد عبد الله السماحى، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القهرة، مصر، 2004م.

5) جوليان شارل أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة: المنجي سليم، الطيب المهيري، الصادق المقدم وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1976م.

6) دافيد أرنولد، الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية، ترجمة: مصطفى فهمي إبراهيم، ط1، المركز القومي للترجمة، الجيزة، القاهرة، 2013م.

7) دوطي إدمون، السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة: فريد الزاهي، مطبعة بورقراق، الرباط، د ت.

8) ريتشارد ووكر، الأوبئة والطاعون، ترجمة: مركز ابن العماد، ط1، جار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م،

9) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، ط8، دار الجيل، بيروت، 1413هـ-1993م.

10) سورنيا جان شارل، تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة: إبراهيم البجلائي، مطابع السياسة، الكويت، 2002م.

11) فاليرين دومنيك، بجاية ميناء مغربي(1067-1510)، ج1، ترجمة: عمار علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

12) فليب عطية، أمراض الفقر، إشراف: أحمد مشاري العدواني، عالم المعرفة، الكويت، 1998م.

13) كربخال مرمول، كتاب إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الأول، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م.

14) لومبار موريس، الإسلام في مجده الأول من القرن2إلى القرن5هـ (8-11م)، ترجمة: إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990م.

15) لومبارد موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان 1419هـ 1982م.

16) ميراندا أمبروسيوهويثي، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة: عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، د ت.

ج – المراجع الأجنبية:

1. Jamil M. Abun -Nasr ; A history of the Maghrib in the Islamic period ,CAMBRIDE, university ;press ; 1999.
2. Letaief Mohammad al-adel ,la peur au Maghreb médiéval , Edition latrach, Tunis , 2016 .
3. PASCAL BURESI ; MEHDI GOUIRGATE ; HISTOIRE DU MAGHREB MEDIEVAL (XI-XV SIECLE) ; ARMAND COLIN ; PARIS ; 2013.

رابعا: الأطروحات والرسائل العلمية:

1) أعزيبي زهوة، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني،(633-962هـ/1235-1554م) جدل المثال والواقع، (أطروحة دكتوراه منشورة)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019م.

2) بديرة عادل، بادية المغرب الأوسط في العصر الوسيط(دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرهما على السلوك والذهنيات) من القرن إلى القرن7هـ/10-13م، (مذكرة ماجستير منشورة)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018م.

3) بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني633-962هـ/1235-1555م، (رسالة ماجستير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2002م.

4) بلقاسم جدو، تطوّر العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الدول المستقلة(140-296هـ/757-909م)، (مذكرة ماجستير منشورة)،جامعة العقيد الحاج لخضر ، باتنة، 2013-2014م.

5) بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80هـ-699م/362هـ973م) دراسة اجتماعية، (مذكرة ماجستير منشورة) جامعة منتوري، جامعة قسنطينة، 2005-2006م.

6) بوتشيش أمينة، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين، (مذكرة ماجستير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2007م-2008م.

7) بوخاوش مريم، أثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 6-10-هـ/12-16م، (أطروحة دكتوراه منشورة)، المدرسة العليا للأساتذة، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2014-2015م.

8) دهمش سهيلة، المقدّس في ذهنية ساكنة المغرب الأوسط بين المعتقدات والطقوس، (ق 7-9هـ/13-15م)، (أطروحة دكتوراه علوم منشورة)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2022-2023م.

9) ابن سادات نصر الدين، العلاقات السياسية والصلات الاقتصادية بين المغربين الأوسط والأدنى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين، (أطروحة دكتوراه منشورة)، جامعة وهران، 2010-2011م.

10) صديقي محمد، الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي، ما بين القرنين 5-7هـ/11-13م، (أطروحة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ منشورة)، جامعة حمّه لخضر، الوادي، 1441-1442هـ/2020-2021م.

11) قرواش سومية، إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي160-296هـ/777-909م، (أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط منشورة)، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1440هـ/2019م.

12) مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، (مذكرة ماجستير منشورة)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م.

13) ناصري محمد، الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني – دراسة في انعكاسات الحرب على البنى الاقتصادية والاجتماعية والذهنية (633-962هـ1235-1554م)، (أطروحة دكتوراه منشورة)، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2020-2021م.

خامسا: المجلات:

أ- مجلات باللغة العربية:

1) أعراب عبد الهادي، (صورة المرأة في خطاب الممارسات السحرية والدينية بالمغرب)، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، مجلد7، عدد26، المملكة المغربية، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018م.

2) بامي جمال، المعرفة النباتية والطبية بالمغرب بين التراث العلمي والعلاج التقليدي دراسة تاريخية أنثروبولوجية)، مجلة الإحياء، المغرب، مجلد 2013عدد 39-40، 2013م.

3) بكوش فافة، (إسهامات علماء المغرب الأوسط في انتقال وإنتاج العلوم الطبية ما بين القرون (06-09هـ/12-15م))، مجلة عصور، مجلد 22، العدد02، جامعة أحمد بن بلة، وهران1، أوت2023م.

4) بنحيون ماجدة، (مساهمة المناخ في حصول المجاعات وانتشار الأوبئة بشمال إفريقيا خلال العهود القديمة)، مؤتمر الأيام الوطنية العاشرة : المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث والتاريخي، الرباط، 2002م.

5) تريكي فتيحة، (النباتات الطبية والممارسات السحرية في بلاد الأندلس بين العلم والوهم)، مجلة عصور الجديدة، مج8، العدد2، جامعة أحمد بن بلة وهران1، ، 2018م.

6) شباب عبد الكريم، (جوانب من جوائح بلاد المغرب الأوسط- قراءة في المظاهر والتداعيات)، المؤتمر الدولي العالمي، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج2، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، برلين، 2021م.

7) شخوم سعدي، الصناعة الصيدلية في الدولة الزيانية، الناصرية الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مج 4، العدد 01، جوان2013م.

8) شريخي نبيل ، (موقف مجتمع المغرب الأوسط من المجاعات والأوبئة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14و15م) من خلال النصوص النوازلية)، الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس مج12، ع1، 2021م.

9) عبد الكريم شباب، (جوانب من جوائح المغرب الأوسط – قراءة في المظاهر والتداعيات)، المؤتمر الدولي العلمي الافتراضي، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور، ج2، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين-ألمانيا، 2001م.

10) عميرات محمد أمين،(هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط)، مركز الدراسات الأندلسية، الجزائر، العدد 23، كانون الأول، 2017.

11) غفور عبد الباقي، (أهمية الطب الشعبي وتعايشه مع الطب الحديث)، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مجلد، 8، العدد1، جامعة تلمسان ، 2012م.

12) قدوري طاهر، (السمك والتغذية بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط)، عصور جديدة، مج، 03، العدد10، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، ، 2013.

13) محمود ذكار، (هرمينوطيقا المرض بين العلمي والأنثروبولوجي: مقاربة جديدة في فهم المرض)، مجلة أنثروبولوجيا، مج2، ع1 ، الجزائر، 01-03-2016م

14) وهراني قدور، (جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمدينة تاهرت من خلال كتاب " ابن الصغير المالكي")، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مج5، العدد20، 2010م.

15) يحياوي سليمة، (الأضرحة الأثرية بتلمسان في خدمة السياحة الدينية، دراسة موقعية مع توثيق إلكتروني)، مجلة أنثروبولوجية الأديان، تلمسان، المجلد16، العدد02، 2020م.

16) اليملولي رشيد، الناشر محمد أبيهي، (إشكالية التحقيب: العصر الوسيط أنموذجا)، مجلة ليكسوس، العدد11، مارس 2017م.

ب- مجلات باللغة الأجنبية:

17) Christine mazzoli-guintard ; Ibn Hatima et la peste à Almeria : Des mesures de prophylaxie à une éthique médicale au xiv siècle en al-andalous ?dan livre : histoire de l'éthique médicale ;à travers les civilisations en temps de paix(santé) et en temps de guerre(épidémies) actes du congrès international de la société tunisienne d'histoire de la médecine et de la pharmacie; première édition ; Latrach édition ; 2022 .

المواقع الإلكترونية:

-www.fondation.org.ma

فهرس الأعلام

ابن مرزوق ز, 51, 61, 77, 117, 143, 158, 222, 225

أبو إسحاق إبراهيم الداني ,206 215

أبو إسحاق إبراهيم التلمساني220

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السَّمْح المعَافَري.....43

أبو العباس السبتي 133

أبو العلاء ابن زهر 186

أبو العلاء المديوني 143

أبو الفضل المشذالي 221

أبو الفضل محمد..... 222

أبو القاسم الزهراوي 148

أبو القاسم محمد بن أحمد بن خالد المالقي 216

أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي ابن أندراس..... 216

أبو القاسم محمد بن القاسم الشاطبي 222

أبو المهاجر دينار.....40

أبو بكر الرازي 21

أبا الفضل العقباني 145

إبراهيم الثاني الأغلبي 178

إبراهيم بن الأغلب ..177 ,42 ,28

أبقراط... ,59 ,55 ,24 ,21 ,20 151, 179

ابن الأشقر 224

ابن الأكفاني..... 20

ابن القنفذ . ,130 ,117 ,86 ,50 155, 171, 225

ابن النبّاش البجائي.....215

ابن الوحشي الكلداني.....198

ابن خلدون ,31 ,27 ,26 ,22 ,18 35, 40, 41, 46, 49, 51, 66, 73, 105, 111, 112, 126, 162, 187

ابن زهر . ,186 ,140 ,136 ,80 188

ابن سعيد المغربي 34

ابن سينا ,135 ,81 ,73 ,67 ,17 169, 216, 221

أبو علي حسن المراكشي 157
أبو عنان 83, 85
أبو محمد قاسم الإشبيلي 200
أبو مروان عبد الملك .. 138, 186
أبو يحي أبو بكر 157
أبو يوحنا ماسويه..... 177
أبوبكر محمد الجزار..... 180
ابي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن
تاشفين..... 186
أبي الحسني الرّاشدي..... 106
أبي الزبير 16
أبي العباس أحمد 20
أبي المهاجر.....33
أبي الوليد بن رشد 217, 218
أبي الوليد بن رشد أبي الحجاج
يوسف موراطير 217
أبي اليقظان 45
أبي بكر بن الطفيل 190
أبي بكر محمد بن عبد الملك
بن زهر..... 189
أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو
.....85
أبو تاشفين الأول.....222
أبو جعفر الذهبي..... 150, 188
أبو جعفر بن علي البذوخ.....214
أبو حمو موسى الثاني ,111, 113
209, 218
أبو زكرياء يحي الزواوي.....155
أبو زيان 98, 112
أبو زيد عبد الرحمن ابن الإمام .. 87
أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب.118
أبو سهل دونش.....183
أبو عبد الله ابن الحاج بن عامر
الغساني 192
أبو عبد الله الشيعي .29, 89, 136
أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن
علي التلاليسي.....218
أبو عبد الله محمد بن سحنون
المشهور بالندرومي.....217
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
الخزرجي الشاطبي 217
أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد
السلام 216

أحمد بن طولون 204
أحمد بن علي المليانى..... 210
أحمد بن علي بن يوسف البوني 104
أحمد يوسف الراشدي 109
أخدموم الشريف..... 107
إسحاق بن سليمان الإسرائيلي. 180
إسحاق بن عمران البغدادي . ,178
179, 180, 205
إسماعيل بن يوسف الطلاء 178
إفرايم بن إسرائيل النقاوة 223
الإدريسي .... ذ, 34, 106, 129,
166, 167, 194, 195
الأعين بن أعين..... 148
الإفريقي علي..... 217
البستاني 16, 17
البيدري 192
التنسي..... 98, 192
الجوهري.....17
الدون فيرديناند.....90
الرباط.... ,48, 49, 52, 59, 98
102, 106, 130
أبي جمعة التلاليسي.....210
أبي حجلة التلمساني 218
أبي حمو موسى الثاني.. 209, 223
أبي حمو موسى الزياني الثاني..113
أبي داود بن أبي النصر 199
أبي سعيد عثمان 98
أبي عبد الله التلمساني 225
أبي عبد الله الغديري 214
أبي عبد الله الندرومي.....159
أبي عبد الله محمد الجناتي 117
أبي عبد الله محمد بن عيسى ..107
أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة .. 43
أبي عمران موسى العبدروسي...225
أبي غالب النيسابوري 156
أبي محمد بن عبد الله.....224
أبي مدين شعيب 155
أبي يعزى 106, 155, 156
أبي يعقوب يوسف بن علي 80
أحمد الغماري 86, 117
أحمد بن إدريس البجائي 144
أحمد بن النجار.....107

جالينوس 22, 24, 26, 135, 147, 179, 197
جرجير 39
جمال الدين يوسف بن احمد الندرومي 159
حسان 41
حسان بن النعمان 41
حسن بن علي بن الخطيب.... 225
حسن بن علي بن القنفذ القسنطيني 171
حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ 225
حمزة المغراوي..... 106
حنين بن إسحاق 25
زهير بن قيس البلوي.....41
زيادة الله الأول 180
زيادة الله الثاني الأغلبي 179, 205
زيري بن مناد ... 27, 35, 37, 45
سعيد العقباني 22, 24, 67
سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمن بلعيش المقري..... 220
الشيخ الغماري..... 86
العبدري 68
العزيز بالله منصور بن نصر 48
الغبريني...143, 144, 216, 217
القائم بالله العباسي 47
الكاهنة..... 41
المعز بن باديس..... 47
المعز لدين الله الفاطمي ..45, 148
المقري أبو عبد الله محمد التلمساني 85
المنصور الحمادي 214
المنصور الفاطمي 183
المنصور الموحدي.....115
المنصور بن بلكين 46
الناصر الموحدي.....141
الناصر بن علناس 47
باديس بن المنصور بن بلكين ... 46
بلكين بن زيري..... 45, 46
بولطباق 106
جابر بن حيان.....198
جابر بن عبد الله 16

عمرو بن العاص 28, 39
عيسى أبا قريش 198
كسيلة 40, 41
لاسعادة.....99
محمد بن أبي ثابت 224
محمد بن أبي عيشون..... 195
محمد بن الأشعث الخزاعي.....43
محمد بن الحاج بن عامر التلمساني
..... 159
محمد بن أندراس..... 195
محمد بن تومرت 47
محمد بن زكريا الرّازي.....23
محمد بن سعيد 213, 214
محمد بن علي بن فشوش 219،
221
محمد بن يوسف السنوسي... 106,
155, 221
موسى بن نصير.....28
نور الدين بن محمود الزنكي .. 204
هارون الرشيد..... 199, 204
وابن زكري..... 192
يزيد بن حاتم 177
سعيد بن عبد الله محمد بن عبد
الحليم الزواوي المليانى 210
صابر بن سهيل 199
صلاح الدين الأيوبي 204
عائشة..... 120, 142, 165
عبد الباسط بن خليل... 219, 224
عبد الرحمن بن الحكم. 213, 215
عبد الرحمن بن رستم... 43, 213,
214
عبد الرحمن بن غانم 213
عبد الله بن سعد بن أبي سرح... 39
عبد الله بن عمر..... 40
عبد الملك بن مروان..... 41
عبد المؤمن بن علي 30, 49, 80,
189
عبد الوهاب 49, 52
عثمان بن عفان 39, 40, 43,
عقبة بن نافع الفهري 32, 40
عكرمة..... 29
علي بن ثابت القرشي 222
علي بن زينب الدرجيني.....109
علي بن يوسف بن تاشفين 186

يزيد بن عبد الملك 213

يعقوب التفريسي 158

يعقوب الملاري 157

يعقوب المنصور.....150

يغمراسن بن زيان....51, 87, 107

يوسف بن تاشفين ... 30, 48, 94, 186

يوسف بن يعقوب المريني..... 99

فهرس الأماكن

190, 199, 204, 213, 214, 218,
222
القيروان ... ,39 ,36 ,33 ,32 ,30 ,28
40, 42, 43, 45, 177, 179
المدية.....31
المسيلة . 130 ,112 ,46 ,37 ,31 ,28
المغرب14, 26, 27, 28, 29,
30,31, 32, 33, 34, 35, 36, 37,
38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45,
46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 55,
59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66,
68, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 79,
80, 81, 86, 90, 91, 92, 93, 94,
99, 101, 102, 104, 106, 107,
108, 109, 110, 111, 112, 113,
114, 115, 119, 120, 121, 123,
124, 126, 127, 128, 129, 130,
132, 133, 135, 136, 137, 138,
140, 141, 143, 144, 145, 146,
149, 150, 151, 152, 153, 154,
155, 157, 160, 163, 164, 165,
166, 167, 168, 169, 171, 172,
174, 195, 176, 177, 178, 179,
182, 185, 186, 188, 192, 194,

إسبانيا 90
أشير..... 131 ,47 ,46 ,37 ,27
أغمات 30
إفريقية 28, 29, 30, 32, , 35, 36,
37, 39, 40, 41, 42, 46, 50,
51, 90, 177, 178, 208, 217
إقليم الزاب .....177 ,36
الإسكندرية . 177 ,150 ,147 ,38 ,28
الأندلس . , 27, 28, 29, 30, 37, 44,
48, 50, 69, 86, 102, 179, 182,
185, 186, 188, 189, 198,
213, 214, 215, 216, 218,
223, 224, 258
الجزيرة الإيبيريا..... 30
الحجاز .....218 ,16
الرهادنة.....182
السودان .....238 ,132 ,40 ,29
السوس .....237 ,132 ,29 ,28 ,27
السينغال..... 30
الشام.....237
العراق 177
القاهرة ,45 ,37 ,33 ,21 ,17 ,16 ,15
47, 50, 56, 108, 156, 178, 186,

المهدية 45
النيجر..... 30
أَنْكَادْ..... 96
أوروبا 147, 148
باب المرسى..... 156
ببجاية.. 139, 144, 194, 195, 208, 216, 217, 236, 237
بتونس..... 217
بجاية..... 30, 34
بجبل أمسيون..... 155
برقة 28, 29, 33, 39
بسكرة 27, 37, 41, 167
بغداد 178, 204
بلاد البربر .. 40, 59, 60, 101, 235, 236
بلاد الجريد..... 27, 30, 36
بلاد الزاب 41, 51
بلاد السودان ... 26, 27, 29, 90, 183
بلاد النخيل 76
بلاد النوبة 28, 29
بلاد تازة..... 35
بلنسية..... 218
بونة ... 35, 37, 50, 68, 129, 133, 161, 162
بئر ذرْوان..... 160
196, 203, 205, 207, 211, 212,
213, 214, 216, 222, 223, 224,
225, 226, 227, 229, 230, 233,
234, 235, 236, 237, 238, 264
المغرب الأدنى ... 14, 30, 38, 39, 50
المغرب الأقصى 14, 30, 31, 33, 36, 37, 46, 48, 50, 51, 225, 233, 234
المغرب الأوسط. 14, 26, 27, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 42, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 55, 59, 60, 61, 64, 65, 68, 70, 71, 72, 74, 75, 79, 80, 81, 91, 94, 101, 102, 104, 107, 108, 109, 110, 112, 113, 114, 115, 119, 120, 121, 123, 124, 126, 127, 128, 129, 130, 132, 133, 137, 138, 140, 143, 144, 145, 146, 151, 153, 157, 160, 163, 164, 167, 168, 169, 171, 172, 174, 195, 177, 192, 194, 196, 207, 211, 212, 213, 214, 222, 223, 226, 227, 229, 230, 233, 234, 235, 236, 237
المنصورة 201, 209, 219

حمزة..... 49, 106
درنة..... 37
دمشق ,214 ,204 ,107 ,80 ,18 ,16
271
زويلة 28, 29
سبتة 151
سجلماسة ..... 51 ,46 ,42 ,29 ,27
سدراتة 183
سطيف 31
شاطبة..... 217
شذونة..... 213, 214
شرشال..... 128
شلف 128
صقلية..... 28, 29
طبنة..... 47, 129, 133, 172
طرابلس ... ,46 ,41 ,39 ,36 ,33 ,30
177, 237
طرابلس الغرب 43
طنجة 29, 33
عمان 17, 28
غرناطة 50, 85, 90, 128
غزة ..... ت
فاس 31, 48
فزان 29
قرطبة 28, 217, 218
تاهرت ,51 ,47 ,43 ,37 ,32 ,30 ,28
68, 71
تبحريت..... 96
تدلس 216
تسابيت..... 27
تلمسان... ت, د, ز, 28, 30, 31, 32,
33, 34, 35, 36, 37, 40, 48, 49,
51, 61, 63, 64, 65, 67, 68, 71,
72, 76, 77, 81, 85, 86, 95, 96,
98, 104, 106, 117, 126, 139,
145, 152, 167, 168, 169, 192,
201, 208, 209, 217, 218, 220,
221, 222, 223, 224, 258
تنس..... 34, 36, 65
تهودة..... 41
تونس..... 36
تيكورارين 27
تيهرت... ,167 ,61 ,45 ,44 ,32 ,29
183
جبل الأوراس..... 37
جبل الحصن..... 139
جبل جزول 44
جزر البليار..... 28
جزيرتي سردانيا..... 28
جنوب إيطاليا 28

مقرة..... 129
مليانة 27, 35, 36, 128
منداس 44
ميلة..... 35, 136, 137
ميورقة..... 28
ندرومة 37, 96, 217, 223
نهر شلف 31
هرغة..... 49
واد ملوية 31, 38, 46
وادي الشلف..... 38, 129, 133
وادي مينة 44
وارکلان 46
ورجلان..... 31, 35, 183
وسطيف..... 37, 84
وقلعة هوارة..... 128
وهران... 35, 36, 48, 49, 94, 211, 224
يابسة 28
قسنطينة 183 , 225 ,
قلعة بني حماد 28, 47, 149, 208, 214
قورسيقا..... 28
ليبيا 27, 29, 38, 41, 177
مالقة 216, 224
متيجة..... 49
مدينة آسفي..... 31
مراكش ... 30, 36, 151, 186, 200, 207, 215, 218
مرسية..... 195, 215, 216
مستغانم 108, 167
مصر 15, 16, 17, 21, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 39, 41, 45, 46, 47, 56, 90, 108, 112, 148, 150, 156, 170, 177, 178, 182, 186, 187, 190, 197, 199, 203, 204, 213, 214, 237, 265
معسكر..... 35, 156

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

اهداء

شكر وتقدير

قائمةالمختصرات

مقدمة..... .. أز

الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات طبية وجغرافية وسياسية **13**

أولا– مفاهيم واصطلاحات طبية **14**

ثانيا: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط: **26**

ثالثا: التطور السياسي للمغرب الأوسط:..... **39**

الفصل الأول: الأمراض في المغرب الأوسط(الأسباب، الأنواع والانعكاسات) **53**

المبحث الأول: أسباب الأمراض:..... **55**

المبحث الثاني: أنواع الأمراض: **74**

المبحث الثالث: الانعكاسات **101**

الفصل الثاني: طرق وأساليب العلاج في المغرب الأوسط في العصر الوسيط 125

المبحث الأول: الطب الشعبي:..... **126**

المبحث الثاني: الطب العلمي: **146**

المبحث الثالث: أنماط العلاج غير الرسمي(التداوي ببركة الأولياء والصلحاء، والسحروالشعوذة): **153**

المبحث الرابع: الأساليب الوقائية:..... **165**

الفصل الثالث: واقع وآفاق المعرفة الطبية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط **175**

المبحث الأول: الفكر الطبي في المغرب الأوسط: تطوره، تنظيمه، آفاقه المعرفية **176**

المبحث الثاني: المؤسسات العلاجية ودورها في بناء آفاق المعرفة الطبية في المغرب الأوسط: 195

المبحث الثالث: الأطباء وإنتاجهم العلمي والطبي في المغرب الأوسط: 214

خاتمة 228

ملاحق 232

قائمة المصادر والمراجع 244

فهرس الأعلام 279

فهرس الأماكن 286

فهرس المحتويات 291

الملخص:

الملخص:

شهد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط انتشارًا واسعًا للأمراض، تعود أسبابها إلى عاملين رئيسيين: العوامل الطبيعية والتدخلات البشرية. وقد خلّفت هذه الأمراض آثارًا متباينة، سلبية وإيجابية، انعكست على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

في هذا السياق، تنوعت أساليب العلاج بين الطب الشعبي، والطب العلمي، والطب الروحاني، إلى جانب ممارسات وقائية أخرى. كما برز عدد من العلماء والأطباء والصيادلة في المغرب الأوسط، أظهروا كفاءة عالية في مجالي الطب والصيدلة، وأسهموا من خلال مؤلفاتهم العلمية والطبية في إثراء الحضارة الطبية في بلاد المغرب الإسلامي.

Abstract :

During the Middle Ages, the Middle Maghreb experienced a widespread prevalence of diseases, primarily attributed to two key factors: natural conditions and human interventions. These epidemics produced a range of consequences both negative and positive that impacted various dimensions of social and economic life.

In response, therapeutic approaches diversified, encompassing folk medicine, scientific medicine, and spiritual healing, alongside other preventive practices. A number of distinguished scholars, physicians, and pharmacists emerged in the Central Maghreb, demonstrating notable expertise in medicine and pharmacy. Through their scientific and medical writings, they played a significant role in enriching the medical heritage of the Islamic Maghreb.